

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

- بني ملال -



جامعة السلطان مولاي سليمان

- بني ملال -

مركز دراسات الدكتوراه في: "الآداب والعلوم الإنسانية"

تكوين الدكتوراه: اللغة العربية وعلومها

# نحو العلامة وأثره في فهم الخطاب القرآني

## سورة الكهف نموذجاً

إشراف الدكتور:

مولاي احمد اسماعيلي علوي

إعداد الطالب: نورالدين عيساوي

رقم التسجيل: 06/18LAS

السنة الجامعية 2022/2021

# إهداء

إلى روحها النقية الصافية الشفافة أُمي الغالية رحمها الله

إلى صاحب القلب الكبير، سراج الحياة أبي عزيزي

إلى أخواتي

إلى زوجتي رفيقة الحياة

إلى قرّة عيني أولادي: سامي، فراس، وهب

إلى كل من ساندني في الوصول إلى هنا

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل

## شكر و عرفان

الشكرُ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

ثم أما بعد،

أتوجه بخالص الشكر وعظيم الثناء إلى أستاذي فضيلة الدكتور محمد إسماعيلي علوي الذي أشرف على هذا البحث، وأوقع بمداد من نحر عرفاني وتقديري الجميلين له، وأسجل باعتزاز جهوده الصادقة معي، ولولا سعة أفقه، ورحابة صدره، وثاقب فكره، وسمو فضله علما وعطاء وخيرية لما وصل هذا البحث إلى هذه الصورة التي هو عليها

كما أغتم هذه المناسبة لأتوجه بموفور الشكر وعظيم الامتنان إلى من كان لهم الفضل علي، أساتذتي الكرماء، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور مولاي إدريس ميموني؛ منسق وحدة الدكتوراه: "اللغة العربية وعلومها"، فله مني كل التقدير والعرفان على توجيهاته النيرة، ورعايته العلمية، وسهره على تكويننا طيلة المواسم الدراسية التي قضيناها بالماستر والدكتوراه. مع خالص الشكر والتقدير للأساتذة والزملاء الذين تعاونوا معي وقدموا لي يد المساعدة لإخراج هذا العمل.

## مقدمة

استأثر الخطاب القرآني منذ فجر الإسلام باهتمام كثير من العلماء والمفسرين والباحثين والمختصين قديما وحديثا، فنشأت العلوم العربية الإسلامية في ظل هذا الاهتمام، وتحلقت حول دراسة القرآن وفهمه وحفظه وتفسيره وبيان إعجازه، وانصرفت الجهود إلى العلوم الخادمة واللغة التي بها نزل، لتوقف معرفة دلالاته على معرفة خصائصها ونظامها، حتى غدت المدونة التفسيرية للقرآن الكريم تزخر بأكثر عدد من الإنتاجات والمصنفات العلمية في المكتبة الإسلامية، إذ ما فتئت هذه العناية تحاول استنطاق معانيه واستنباط أحكامه وحكمه وتحليل خطابه، من خلال نماذج تفسيرية تستمد مرجعياتها التأويلية من مصادر مختلفة؛ منها ما اعتمد على المخزون التراثي من العلوم العربية والإسلامية (تفاسير الأسلاف)، ومنها ما ارتكز على النظريات اللسانية الحديثة (القراءات المعاصرة)، وغيرها من الدراسات والأبحاث والآراء والأفكار التي اتصلت بالفهم القرآني. وعلى الرغم من هذا الحجم الكبير من الاهتمام والكم الهائل من الإنتاج، فإن المتلقي يظل في بحث دائم عن فهم جديد يواكب مستجدات العصر ومتقلباته، ويستجيب لقضايا الإنسان الراهنة، ويلبي حاجاته الدينية والدنيوية.

وهكذا ظل موضوع فهم القرآن وتحليل خطابه رهانا مركزيا في مسار المعرفة الإنسانية منذ نزول أول آية منه، فعمدت الجهود إلى محاولة الظفر بالفهم الصحيح لمقاصده وأسراره، جهود بذلها كثير من العلماء والمفسرين والباحثين، إلا أن أغلبها انطلق من تصورات معرفية جزئية، أو اكتفى بتطبيق رؤية تفسيرية واحدة، مثل الدراسات التي اعتمدت على المناهج اللغوية الصرفة أو الاجتهادات الموضوعية البيانية... وقلما نعثر على تصور جامع بين عدة علوم، ومؤلف بين كثير من المعارف واللطائف لدراسة القرآن. ولهذا كانت أغلب زوايا النظر قاصرة عن الإحاطة بالمقاصد القرآنية في عمقها وشموليتها، وظلت المعاني تأتي مجزأة ومبتورة، لا تنفي بما يعتمل في السياقات

القرآنية من معان ودلالات، وعلى الرغم من أن بعض الاجتهادات التفسيرية حاولت الكشف عن المضامين القرآنية في بعدها النصي الناهض على عدة علوم ومعارف لا سيما الزمخشري والطاهر بن عاشور، إلا أنها لم تستطع بناء رؤية جامعة وتصور متكامل لدراسة القرآن الكريم، رؤية تستطيع الإجابة عن كثير من الأسئلة المرتبطة بالفهم والاستيعاب بشكل يكون أكثر عمقا وإقناعا واطمئنانا وانسجاما مع مقاصد الوحي.

لقد شهد القرن العشرون قفزة علمية غير مسبوقة - في البيئة الغربية - انتهت إلى ظهور علم اللسانيات الذي أفضى إلى انبثاق مناهج لسانية فعالة إجرائيا في التحليل، ومناول تحليلية ناجعة في التفسير الدلالي، ولكنها لم تسلم من الانتقاد والتجاوز، لأنها ظلت حبيسة رؤى تجزيئية محصورة في حدود معينة، مثل اللسانيات البنوية التي اهتمت بالبنية الداخلية للنص، أو التوليدية التي أبدعت نماذج مختلفة للتفسير، أو اللسانيات الوظيفية التي على الرغم استدرأها لكثير من ثغرات الاتجاه البنيوي، إلا أنها لم تستطع الإحاطة بكل شروط بناء المعنى، أو النظرية السياقية التي اهتمت بالمنهج التسيقي للوحدات اللغوية، لكنها ظلت هي الأخرى دون النظرة التكاملية الشمولية التي تراعي مختلف المداخل والعلامات المؤثرة في المعنى. إلى أن انبثقت لسانيات النص بوصفها حقلا معرفيا جديدا استثمر جميع النظريات اللسانية السابقة عليه من أجل بناء رؤية تحليلية عميقة وشاملة للخطاب/ النص، من خلال طرح معايير نصية تراعي البنية الداخلية والظروف السياقية والخطابية التي يتولد عنها هذا النص، فما كان منها إلا أن صبت اهتمامها على نحو النص في انسجامه واتساقه، وآليات السبك والحبك ومختلف الروابط المتحكمة في بنيته، فضلا عن الشروط السياقية المؤثرة في وجهة المعنى. لكننا "نعتقد أن لسانيات النص - هي الأخرى - ظلت حبيسة بعض المباحث البسيطة، وظلت تدور في فلكها، من ذلك مثلا: الانسجام والاتساق في الخطاب، والروابط

وأنواعها في تماسك بنيتها اللغوية، والمؤثرات السياقية في البنية... إلخ<sup>(1)</sup>، إضافة إلى أن هذا النظر اللساني الحديث نشأ في بيئة غربية، ف جاء لغاية تحليل الخطاب البشري الصرف الذي يعتره النقص وعدم الكمال، في حين أن الخطاب القرآني خطاب إلهي يتصف بالكمال. لهذه المبررات وغيرها تبقى لسانيات النص غير قادرة على الحفر في جوانب مهمة من مساحة الخطاب، وغير قادرة على الإحاطة بكل العلامات الممكنة على اختلاف أصنافها وخصائصها، وخاصة تلك التي يكون لها امتداد في منظومة السُنن الوجودية، أو لها علاقة بمعان شرعية ومقاصد دينية أو لها ارتباط بدلالات سيميائية تستلزم رصدًا عميقًا لكشف خفائها.

من هنا، تكون الحاجة ماسّة إلى تصور بديل يكون أكثر تكاملاً وانسجاماً وإحاطة بشروط إنتاج الدلالة في الخطاب، خاصة الخطاب الشرعي. ولهذا، نعتقد أن تصور «نحو العلامة» اجتهاد معرفي وإطار علمي قادر على أن يكون بديلاً قويا في هذا المضمار، نظراً لاعتماده على استثمار منهجية التفكير بالعلامة في جميع تجلياتها في مجال تحليل الخطاب، وعلى وجه الخصوص تحليل الخطاب القرآني الذي دعا - بنفسه - إلى تدبر العلامة للاهتمام إلى معرفة الله أولاً ومعرفة الحق ثانياً ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (سورة النحل الآية: 16).

إن البحث في الخطاب القرآني هو من صميم البحث في علامات تؤول إلى مقاصد شرعية وأحكام تكليفية، فهو ليس خطاباً كالخطابات التي تستهدف الإمتاع والمؤانسة بالأساليب الأدبية والفنية الأكثر تناسقاً وجمالاً. إنه قول فصل وليس بالهزل، جاء للذكر والتدبر والتفكير. يقول عز من قائل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص. الآية: 29)؛ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (سورة محمد. الآية: 24)، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: «كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبْرُ مَا بَعْدَكُمْ،

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. تكامل مستويات الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني وتحديد النظر فيه: دراسة لسانية تحليلية لسورة يوسف، مجلة تجسير، المجلد الثالث، العدد الأول، 2021.

وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجَنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرِّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (( سنن الترمذي، أبواب فضائل القرآن، 2906).

ومن ثمة، فإن البحث في هذا الكتاب العظيم يستدعي منهجا يراعي خصوصيته ومصدريته، ويستلزم التفكير في جميع الإمكانيات التي تتيحها علاماته المختلفة الظاهرة والباطنة في علاقاتها الداخلية والخارجية في اللغة والوجود والشرع.

وقد ينجلي للباحث المتأمل أنه على الرغم من الأهمية القصوى للعلامة في الوجود عامة، وفي اللغة خاصة، فإنه لا يمكن قراءتها وفهمها والتواصل بها معزولة عن نظام يأويها أو مفصولة عن نحو ينظمها، فالعلامة اللسانية أو غير اللسانية لا تكتسب هويتها الدلالية إلا ضمن سياق نظامي منسجم يتكون من مجموعة من العلامات التي تتفاعل وتتعلق وتتهيا على نحو ما. ولهذا المسوغ بالذات، استرعى انتباهنا البحث في نحو العلامة القرآنية لاستكشاف بعض من مسالك الدلالة التي يمتاز بها خطاب الوحي الإلهي المعجز.

تقتضي عملية تحصيل دلالات الخطاب القرآني المقدم إلى المتلقي عبر اللغة العربية التبحر في كل العلامات على اختلاف أنماطها وخصائصها، والعمل على رصدها في سياقاتها المخصصة ومقاماتها المتنوعة، وفحصها واستنباط معانيها، وتحري التي تكون الأقرب-على الأقل- لصواب المقصود. إنه لا يتأتى هذا المسعى إلا بدراسة النحو الذي تشتغل في ضوئه هذه العلامات، والوقوف على بعض المقومات النحوية والعلاماتية التي جعلت القرآن يستوي كتابا ثقيلًا، وقولا حكيما؛ ونصا معجزا؛ معنى ذلك أن العناية يجب أن تنصرف إلى الدلالة

اللغوية والدلالة الوجودية والسميائية والشرعية، وذلك بدراسة التجليات الإيحائية الكامنة في العلامة اللغوية وامتداداتها الوجودية، ومعرفة كيفيات التدليل على الأحكام الشرعية وسبل تحصيل المعاني الاعتبارية والمقاصد الربانية؛ أي: من خلال رصد التبدلات في الأسلوب والصيغ والتراكيب وفي الأصوات والألفاظ، ومن خلال التمعن في العلامات الوجودية المعنوية والمادية، ومن خلال الاهتداء إلى الإيحاءات الرمزية والسميائية. ولهذا ارتأينا الانخراط في جهود مدارس الخطاب القرآني بوصفه خطابا يكتسي صفة الإعجاز والرفعة والكمال، وبوصفه نصا مفتوحة معانيه على الوعي الحضاري الإنساني في كل زمان ومكان. وقد حظي باهتمامنا تصور ((نحو العلامة)) بوصفه إطارا معرفيا ومنهجيا ذا رؤية تكاملية شاملة تجمع بين علامات متعددة في نسق جامع ومنسجم. وقد اخترنا سورة الكهف لتكون موضوعا للتحليل بالنظر إلى تفرداها بقصص لم ترد في غيرها من السور، وبالنظر إلى ما اختصت به من سياقات معبرة، وما حفلت به من علامات وألفاظ وأساليب غاية في الدلالة والإبداع والجمال.

فكان موضوعنا في نهاية المطاف هو: "نحو العلامة وأثره في فهم الخطاب القرآني -سورة الكهف نموذجاً-"، وكان مسعانا المركزي -من خلاله- تتبع حركية العلامة في النظم القرآني في هذه السورة المباركة، والبحث في كل علامة ذات صلة باللفظ أو المعنى أو المتكلم أو المخاطب أو السياق أو الوجود أو الأحوال وغيرها من علامات من أجل تقصي أثرها وكشف معناها إن استطعنا إلى ذلك سبيلا بتوفيق من الله تعالى.

### ❖ إشكالية البحث

يمكن القول إن اختيار الموضوع نابع من أسئلة بالغة الأهمية، أسئلة شرعت أبواب التفكير في ضروب النحو الذي تهيأ في ضوءه مبنى العلامة في كتاب الله، وقدحت في النفس أعمال النظر في مسالك الدلالة الشرعية. لذلك رمنا في هذا العمل محاولة الإجابة عن الإشكالية التي أثارها الموضوع على النحو الآتي:



- كيف يشتغل «نحو العلامة» في بناء المعنى في الخطاب القرآني؟ أو كيف يتهيأ نظام العلامات في

الخطاب القرآني لنقل المعنى إلى المخاطب؟

وتتولد عن هذا الإشكال المحوري أسئلة فرعية نذكر منها:

- كيف تسهم تحليلات العلامة اللغوية في فهم المعنى القرآني؟

- ما تظاهرات العلامة الوجودية والحالية والسيمائية في السياق القرآني؟ وكيف تتضافر في ما بينها في

استنباط المعاني والدلالات؟

يدفع الوعي بهذه التساؤلات إلى استقصاء حركة العلامة في النظم القرآني، وتتبع تحليلات الدلالة الإيحائية المبتوثة

في بنية الخطاب، ومن ثمة، الوقوف على المقاصد والأحكام التي تُرشّد منهج حياة الإنسان.

## ❖ أهمية الموضوع

تتجلى أهمية الموضوع في أن البحث يفصح عن تصور جديد في مدارس كتاب الله، وذلك باستقراء العلامة

عامة في وجهها اللغوي والوجودي والسيمائي والشرعي، من حيث إن التعامل مع العلامة وتحليل أثرها لا

يكتفي بحصرها في بعدها اللغوي اللساني الصرف (صوتا، وصرفا، ونحوا، ومعجما، ودلالة..)، بل يتعدى حدود

اللغة ويمتد إلى البعد الوجودي الكوني (العلامات الوجودية المادية والمعنوية)، والسيمائي وإلى كل شيء يوصف

بأنه علامة يفضي إلى رصد دلالات مختلفة توجه الفهم والاستيعاب والإدراك.

من واجبنا ههنا أن نذكر بأن تصور «نحو العلامة» من إبداع الأستاذ عبد النبي الكبير، تعرفنا على بعض أسسه

وإجراءاته من خلال مقالاته القليلة المنشورة أو المسموعة، ومنها مقاله الصادر ضمن سلسلة الندوات بجامعة

المولى إسماعيل كلية الآداب - مكناس، والموسوم بـ "نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها"، حيث ربط

نحو العلامة بمجال التعليم للناطقين بغير العربية، لكنه أطرَّ الموضوع بالمقومات الأساسية لهذا التصور، وذكر بعضاً من أسسه قبل إعمال التطبيق على المجال المعني. فضلاً عن ذلك، هناك ورقة علمية ألقاها ضمن فعاليات المؤتمر الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه بفاس كان عنوانها: "نحو العلامة وتجديد التفسير النحوي للقرآن الكريم"، وفي معرضها وظف منهجية نحو العلامة في التحليل، وأتى على نماذج من التفسير النحوي للقرآن، حيث اختار علامات لغوية متفرقة من كتاب الله وبين أثرها في تجلية المعنى. نضيف إلى ذلك محاضرة مرت على قناة محمد السادس، وسمها بـ "لوازم البيان ومراتبه في القرآن الكريم"، تطرق في شق منها إلى وظيفة التفسير النحوي في البيان القرآني من خلال نماذج تمثيلية. هذا كل ما عثرنا عليه لمؤسس هذا التصور وهو بطبيعة الحال قليل جداً.

ثم فتحنا بصيرتنا العلمية بشكل أكثر بياناً ووضوحاً مع الأستاذ محمد إسماعيلي علوي إبان حضورنا محاضراته التي ألقاها علينا بكلية الآداب بني ملال، حيث تناول علاقة "العلامة والمعنى"، ووقفنا معه على طبيعة العلاقة بين "النحو الوجودي والمنطق"، ثم كتابه الأخير (قيد النشر) المؤسس لهذا التصور المعرفي الجديد الذي وسمه بـ: "نحو العلامة الوجودي والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة-"، بالإضافة إلى أربع مقالات علمية شرعت حدود التصور، وأضافت كثيراً من الأفكار والرؤى، حيث وسع من رؤية اشتغال ((نحو العلامة)) فأصبحت أسسه منفتحة على البعدين: الوجودي والسيمائي، فجاءت المقالات موسومة على النحو الآتي بـ:

- اللغة العربية لغة بيولوجية ووجودية.

- اللغة العربية لغة بيولوجية ووجودية الجزء الثاني: الضمائر ووظيفتها الوجودية.

- المنطق الوجودي للنحو العربي وتمثلاته على مستوى القواعد.

- تكامل مستويات الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني وتجديد النظر فيه: دراسة لسانية تحليلية لسورة يوسف.

هذا من دون أن أنسى ما هو مبعوث في ثنايا كتب اللغة والتفسير وغيرها من إشارات قليلة أو كثيرة قريبة أو بعيدة من صلب البحث. لقد أفدت كثيرا من هذا الإنتاج العلمي السالف، وعكفت على الإسهام بما يسر الله من جهد في هذا الصرح العلمي المميز؛ كي أضيف ما استطعت من أفكار ونتائج تزكي فعالية هذا التصور في تحليل الخطاب.

تتجلى أهمية الموضوع كذلك، في كونه يسعى إلى الوقوف على الاختيارات النحوية في بنية الخطاب القرآني من خلال معرفة كيفية تقديمه العلامة واللفظ والبناء والمضمون، ولعل هذا الاختيار يفتح من أبواب الفهم لكتاب الله، ويثبت تفرد النص القرآني بنحو خاص، لا تشاركه فيه أنحاء أقوال الناس ولا أنحاء كلام الفصحاء والبلغاء، وأن تدبر النص القرآني يظل حاجة دائمة وأكدة لتجديد الفهم والإفهام، لأن المخاطب بالقرآن ليس على نمط واحد في العيش والوعي والتفكير وظروف الحياة، فهو متعدد بتعدد الأجيال والأحوال والأزمان، ولذلك يقتضي هذا التعدد تباينا في الرؤية واختلافا في الفهم استجابة لشروط الوجود الذي يحيا فيه. فضلا عن أن الإسهام في بيان قدر من الإعجاز القرآني هو فضل ادخره الله تعالى لمن يبذل فيه الجهد والدأب ويعمق التأمل والروية، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد. وسوف يتجلى بيسر في متن البحث من خلال النماذج التطبيقية أن القرآن الكريم أتى بما يعجز عنه البشر من جهة نظام نحوه ونسق علاماته.

## ❖ دوافع اختيار الموضوع

دوافع اختيار الموضوع كان مبعثها اقتناعي التام بأن تصور ((نحو العلامة)) أفق علمي سيكون له شأن عظيم في الدراسة والتحليل، وخاصة في مجال الخطاب الشرعي، لكونه إطارا معرفيا واعدة نراهن على فعاليته في رصد المعاني الدقيقة، وتفسير العلامات الجلييلة، فضلا عن كونه تصورا جامعا ومنسجما يشغل في ضوء اللغة والوجود وكل ما يمكن أن يشكل علامة هادية إلى المعنى.

تعد سورة الكهف من السور الأكثر تشويقا وإثارة للانتباه ولفتا للأنظار، لأنها متعددة في موضوعاتها بقصص عجيبة وعلامات مخصوصة وحقائق فريدة، أضحت مطلبا للبحث في بنيتها ودراسة علاماتها واستنتاج مقاصدها، فكان الشوق إلى سبر أسرارها بعمق دافعا ومناسبة لتناولها بالدراسة والتحليل.

إن الرغبة الشديدة في تدبر كتاب الله ومدارسته كما أمرنا ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(1)</sup> كانت مبعثا ملحاحا، وذلك لأن البحث عن الكيفيات الأسلوبية والأسرار النحوية في الخطاب القرآني كان هاجسا تملكني إبان تلقينا محاضرات الماجستير في مادة (تطبيقات نحوية) على يد أستاذنا محمد إسماعيلي علوي حفظه الله، نظرا لإعجابي وتأثري البالغ بالإطار النظري: ((نحو العلامة)) والعرض التحليلي الذي كنا نتدارس به آيات كتاب الله. هذا فضلا عن أهمية اكتشاف أسرار الإعجاز القرآني الكامنة في لفظه وبنيته وخطابه المعجز وتذوق لغته العالية وأسلوبه القوي الذي تحدى العرب ولم يستطيعوا معه حيلة. إضافة إلى إيماني بأن الاشتغال في إطار اللغة العربية وعلومها هو من صميم البحث في أجل وأرقى المجالات العلمية إفادة لارتباطه بأعظم كتاب وأقدس خطاب: القرآن الكريم.

---

(1) سورة محمد، الآية: 24.

## ❖ منهج البحث

تروم طبيعة البحث وخصوصيته الاعتماد على الوصف والتحليل والتفسير (الدلالي) في بنية الخطاب القرآني، مع الاستعانة بالجانب الإحصائي والاستقرائي توخيا للدقة في الوصول إلى استنتاجات موضوعية والوقوف على إمكانات خطائية غاية في الكمال والتأثير، حيث ينهض البحث على تتبع المسوغات التي جعلت ورود هذه العلامة بمقوماتها وخصوصياتها في سياق وليست علامة أخرى قريبة منها معنى. وهكذا، عملنا في مطلع الدراسة على تحديد المصطلحات وتدقيقها، لأنها تشكل مفاتيح الموضوع، ولأنها تضع القارئ في الإطار المفاهيمي الذي وظفناه في البحث، ثم بعد ذلك، أتينا إلى التبحر في الأسس والمنطلقات التي تسوغ الحديث عن «نحو العلامة» بوصفه تصورا معرفيا، وإطارا علميا جديدا، ثم ذكرنا نماذج من أنواع العلامات التي يمكن أن نجمع أصنافها في ظل هذا التصور، وبعد ذلك حاولنا استثمار إمكانات هذا النظر في تطبيقات عملنا من خلالها على تتبع ألفاظ وآيات قرآنية عامة وألفاظ سورة الكهف وآياتها، خاصة في الموضع المراد الحديث عنه، تتبعنا استقرائيا يقود إلى رصد خصائص العلامة المعتمدة في سياق الورد، وكشف مقوماتها النحوية في موضعها المخصوص، من حيث إن الأمر يقتضى جمع تفاصيل العلامة من الوجود ومن كتب التفسير واللغة وعلوم القرآن وغيرها، ثم تصنيفها وتحليلها وفق الوسائل والإجراءات التي يوفرها إطار «نحو العلامة» اعتمادا وتأصيلا على المقاصد الشرعية في الذكر الحكيم وسنة النبي الكريم، واستأنسا في ذلك بما جاء في تفاسير علمائنا الأعلام وتصانيفهم، وبما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع مما يوافق منهج القرآن في الفهم والبيان.

## ❖ خطة البحث

اقتضى منا الوصول إلى استنتاجات مقبولة علمياً بتصريف موضوع البحث في خطوات منهجية محكمة، بدأناها بمقدمة اشتملت على أهمية الموضوع ودوافع اختياره، بالإضافة إلى منهج البحث والخطة المتبعة في إنجازه، فضلاً عن الصعوبات التي اعترضتنا. ثم أتينا إلى الفصل الأول الذي اخترنا له من العناوين: "نحو العلامة والسميائيات الشرعية: المفهوم والوظيفة". وقسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول وسمناه بـ: "مدخل مفهومي: النحو والعلامة ونحو العلامة"، وفيه تطرقنا إلى تحديد المفاهيم التي وظفنا في البحث، حيث فصلنا في المقصود بالنحو والعلامة ونحو العلامة. والمبحث الثاني عنوانه بـ: "السميائيات الشرعية ونحو العلامة"، وفيه وضحنا ماذا نقصد بمفهوم السميائيات الشرعية، وأشرنا إلى مجال اشتغالها وكذا علاقتها بنحو العلامة.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ: "نحو العلامة: بحث في الأسس والمنطق الوجودي وأنواع العلامات" فقد قسمناه بدوره إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأول: "الأسس المعرفية والمنطقية والوجودية لنحو العلامة"، حيث بينا المرتكزات المعرفية التي يستند عليها هذا التصور، في ما استعرضنا في المبحث الثاني: "أنواع العلامات" بمختلف أصنافها اللغوية والوجودية والحالية والسميائية. بينما في الفصلين الثالث والرابع حاولنا استثمار آليات تصور «نحو العلامة» في تحليل سورة الكهف، فكان الفصل الثالث بعنوان: "معاني العلامة اللغوية في سورة الكهف" حيث قسمناه إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول خصصناه لـ"الدلالات العامة لسورة الكهف"، فأشرنا فيه إلى المضامين التي عالجتها سورة الكهف: قصة ومثلاً ومطلعا ومنتهى، والمبحث الثاني كان عنوانه: "سورة الكهف: قراءة في العنوان"، درسنا فيه التجليات الإيحائية لاسم السورة، حيث بينا أهم العلامات المؤثرة في معناه، وختمنا الفصل بالمبحث الثالث بعنوان: "أثر العلامة اللغوية في توجيه المعنى في سورة الكهف" ركزنا فيه على استنباط أثر

العلامة الصوتية والصرفية والنحوية ثم المعجمية في توجيه المعنى. وكان الفصل الرابع تحت عنوان: "تجليات العلامات: الوجودية والحالية والسيمائية في سورة الكهف"، حيث قسمناه بدوره إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول رمنا فيه دراسة: "أثر العلامة الوجودية في توجيه الدلالة في سورة الكهف" من خلال تتبع مجموعة من العلامات الوجودية وبيان أثرها الدلالي في سياقاتها الواردة فيها. في حين المبحث الثاني كان مسرحاً لـ"أثر العلامة الحالية (المشاهدة) في بناء المعنى في سورة الكهف"؛ إذ استعرضنا فيه الدلالات العميقة لبعض العلامات الحالية في هذه السورة المباركة، وتطرقنا في المبحث الثالث الموسوم بـ: "تجليات العلامة السيمائية في سورة الكهف" لبعض العلامات السيمائية وبينا أثرها الرمزي في الإيحاء إلى المعنى والإيماء إليه. وفي نهاية المطاف انتهينا إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها وأهم التوصيات. وختمنا الدراسة باستعراض فهرس البحث: فهرس المصادر والمراجع وفهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث النبوية ثم فهرس المحتويات.

## ❖ صعوبات البحث

لا شك أن البحث في ((القول الثقيل)) ثقيل كما يقول الشاهد البوشيخي، وأن هذا الثقل والخطورة ولدت تهيماً عظيماً في نفسي وأنا أقرب من النص القرآني في مجال الفهم والتحليل. وهو شعور ينتاب كل باحث يخشى أن يزيغ عن مقاصد الخطاب المقدس، ومن هذا التهيّب انبثقت صعوبة وجوب إطالة النظر والتأمل في العلامات التي لم ترد فيها أقوال العلماء والمفسرين؛ فكنت أتحرى كثيراً، وأطالع كثيراً، لعلني أظفر بما يعين على الإدلاء بما تطمئن له النفس، ويرتاح له البال إزاء كلام الله، وأحياناً أقف عاجزاً أو أطلب المعونة من أستاذي المشرف محمد إسماعيلي علوي الذي تفضل علي بكثير من النكت واللفتات التي أنارت لي درب الهداية إلى الفهم.

من الصعوبات التي اعترضت مساري في البحث كذلك قلة المراجع المؤطرة لموضوع ((نحو العلامة)) بوصفه تصورا  
بكرا ونظرا جديدا في التحليل، لم يتحصل لنا من أسسه إلا مقالات معدودة للأستاذين المنظرين لهذا الإطار  
المعرفي: عبد النبي الكبير ومحمد إسماعيلي علوي، فكانت مضاعفة العمل وبذل كثير من الجهد مطلبا ضروريا  
لإغناء الموضوع بمزيد من الإيضاح.

كما وجدت صعوبة في انتقاء أو ذكر أقصى ما يمكن من العلامات المتاحة على مدار السورة تجنبا للإطالة، وبعدا  
عن السقوط في شبك الكم عوض الكيف، لأن الرسالة العلمية لا يمكن أن تستوعب الإتيان بكل العلامات  
وإيجاءاتها الكامنة في سورة الكهف.

وفي ختام هذه المقدمة أحمد الله وأشكره، لا أحصي ثناء عليه، على ما أنعم علي به ووفقني إليه، وأصلي  
وأسلم على رسوله محمد الأكرم الذي علم الناس الكتاب والحكمة. واعترافا بالفضل لأهله أتقدم بحالص شكري  
وعظيم تقديري لأستاذي المشرف مولاي محمد إسماعيلي علوي - حفظه الله - الذي شملني بالرعاية العلمية  
والمتابعة والنصح والتوجيه، فجزاه الله عني كل خير وإحسان. كما لا يفوتني بهذه المناسبة أن أشكر جميع من أسهم  
معي بقليل أو كثير من أساتذة أجلاء وأصدقاء ومتعاونين في إعداد هذه الأطروحة، وأخص بالذكر أستاذي مولاي  
إدريس ميموني الذي أتاح لنا فرصة البحث والتكوين في مجال اللغة العربية وعلومها، فله منا أصدق مشاعر التقدير  
والاحترام، من دون نسيان كثير من الأساتذة الفضلاء ممن لا يسعني الحيز لذكر أسمائهم، وأسأل الله العظيم أن  
يجزي الجميع خير الجزاء.

كما أشكر جميع القائمين على إدارة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال وعلى رأسهم السيد العميد على ما  
يبدلونه من جهد في خدمة العلم وطلابه.



# الفصل الأول

نحو العلامة والسيميائيات الشرعية المفهوم والوظيفة

# المبحث الأول

مدخل مفهومي: النحو والعلامة ونحو العلامة

«إن المجتهد لو جمع جميع العلوم لم يبلغ رتبة الاجتهاد حتى يعلم من قواعد النحو ما يعرف به المعاني المتعلقة معرفتها به منه، ولو لم يكن علما معتبرا في الشرع لما كانت رتبة الاجتهاد متوقفة عليه لا تتم إلا به»  
ابن الانباري (لمع الأدلة)

## 1- تمهيد

نستعرض في هذا المبحث التأسيس المفاهيمي لأهم المصطلحات التي يدور حولها البحث، وذلك لوضع القارئ في الإطار الدلالي الذي نشغل في حدوده، وهكذا فلا مناص لنا من إيضاح المقصود بمصطلحات: "النحو" و"العلامة" و"المركب الإضافي" "نحو العلامة".

## 2- المقصود بـ "النحو"

### 1-2- النحو المنطقي الوجودي

يعد تبين حقيقة مفهوم النحو كما سنَّ الأوائل سننَّ الوجودي ومنطقه المخصوص المستمد من بنية اللسان العربي ضرورة منهجية ومعرفية لا بد منها. ولا نريد ههنا، في المستهل، اجترار التعريفات المحروثة والاعتيادية الناهضة على التحديد اللغوي الكامن في متون المعاجم، ثم نبحت بعد ذلك عن الخيط الراتق بين اللغة والاصطلاح، فهذا أمر بدهيٌّ ومطروق في كثير من كتب اللغة، فضلا عن تصدره لكثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت قضايا النحو ومسائله، وإنما نتوخى تأطير مصطلح النحو بالفهم الأليق أو التصور الأنسب - في اعتقادنا - بناء على فهم جامع وهادف، فهم يستمد هويته من النظام العام للسان العربي، ويستوحي أصالته من الفهم العميق الذي بناه سيبويه من حيث إنه "يمثل نضج الفهم النحوي الراشد الذي يعنى بتمييز التراكيب وكشف خصائصها وتواؤمها مع

ملا بساتها<sup>(1)</sup>، فضلا عن تبعه من الخلف، وذلك لأنهم بنوا نحواً منسجماً كل الانسجام مع فكرهم الذي يحملون، ودينهم الذي يعتقدون، حتى إن أصل التقدير عندهم لم يخرج عن رؤيتهم للكون والحياة<sup>(2)</sup> وفق رؤية شمولية كلية.

نعلم أن النحو التعليمي<sup>(3)</sup> قد ضيق من مساحة النحو العربي بعدما حصر حدودها في دائرة القواعد المعيارية الجافة التي عمادها الإعراب والبناء، وهي دائرة "لا تتسع لكشف فاعلية النحو في توضيح النص وتفسيره واستخراج طاقاته"<sup>(4)</sup>. نستطيع القول إن النحو في نظر دعاة النحو التعليمي - علم يهتم بالتغيرات: التي تلحق حركات أو آخر الكلمات، ويراقب تركيب الجملة صحة أو فساداً، ولما راج هذا الفهم في الاستعمال أضحى معه النحو في اعتقاد كثير<sup>(5)</sup> من النزعات التعليمية يرادف الإعراب، بل إن ماهية الإعراب، نفسه، اعتورها القصور في الفهم والاستيعاب، واستبدلت دلالاته الضيقة بمفهومه الشاسع الذي "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ"<sup>(6)</sup>؛ حيث إن

---

(1) حماسة هلال، عبد اللطيف. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. ط1، دار الشروق، 2000، ص 26.

(2) الملح، حسن خميس. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي. ط1، دار الشروق، 2001، ص 133.

(3) النحو التعليمي يطلق على النحو الذي دعا إليه أصحاب دعوات التيسير والتجديد في النحو العربي. وهي الدعوات التي عملت - في اعتقادهم - على تخليص النحو العربي من التعقيد والعسر، والعمل على صوغ قواعد تعليمية سهلة وبسيطة، تيسر تعلم وتعليم قواعد اللغة العربية. وقد أسهم في ذلك تعريف المتأخرين - نذكر منهم: إبراهيم مصطفى في كتابه "إحياء النحو" وإبراهيم أنيس في كتابه "من أسرار اللغة" - للنحو باختزاله في تغيير حركات أو آخر الكلمات من إعراب وبناء. إن النحو في اصطلاح دعاة التيسير والتعليم من النحاة هو "العلم بالقواعد التي يُعرّف بها أحكام أو آخر الكلمات العربية في حال تركيبها: من الإعراب، والبناء وما يتبع ذلك" (عبد الحميد، محمد محيي. التحفة السنوية بشرح المقدمة الأجرومية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 2007م، ص 6). وكانت أولى المحاولات الإحيائية سنة (1937) مع إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)، وشوقي ضيف في تحقيقه لكتاب (الرد على النحاة) (1947) لابن مضاء، وكتابه (تجديد النحو) (1982)، ومهدي المخزومي في كتابه (في النحو العربي) (1966)، وغيرهم.

(4) حماسة هلال، عبد اللطيف. النحو والدلالة. ص 27.

(5) يقول الصبان في حاشيته: واصطلاح المتأخرين تخصيصه بفن الإعراب والبناء وجعله قسيم الصرف، وعليه فيعرّف بأنه علم يبحث فيه عن أحوال أو آخر الكلم إعراباً وبناءً وموضوعه الكلمة العربية من حيث ما يعرض لها من الإعراب والبناء. (حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج1/ ص 24).

(6) ابن جني، عثمان. الخصائص. ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1/ ص 36.

الألفاظ تكون "مغلقة على معانيها حتى يكون الإعرابُ هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها"<sup>(1)</sup>، ويكفي أن دلالة اللغوية عمادها الإبانة والإفصاح والإيضاح. لذلك، فإن النحو ليس هو الإعراب فقط، بل "الصواب أن النحو أشمل وأعم من الإعراب"<sup>(2)</sup>، وما الإعراب إلا لبنة من مجموعة من اللبانات التي تتراص لبناء الصرح الكلي للنحو، وذلك أن الإعراب كان علما من علوم النحو عند العلماء الأوائل.

جعل هذا الفهمُ المُتَّصِرَ النحوَ يزيع عن مفهومه الجامع، وانفصل عن كثير من معانيه العامة، لينحصر في حدود التقعيد المنطقي المعياري الذي أفرغه من حملته وقلص من وظائفه؛ إذ جعل الاهتمام ينصب على معانيه الجزئية التي تتجسد في: الفاعلية والمفعولية والظرفية... لأن النحو التعليمي "يعنيه توضيح جانب واحد من المعنى، وهو المعنى النحوي المجرد؛ أي علاقة الفاعلية والمفعولية وغيرها"<sup>(3)</sup>، من دون باقي المستويات والعلامات اللغوية التي تكشف عن مختلف الوظائف النحوية الشاملة.

لا شك أن "هذا التحديد تضيق شديد لدائرة البحث النحوي، وتقصير لمداه، وحصص له في جزء يسير مما ينبغي أن يتناوله، فالنحو - كما ترى، وكما يجب أن يكون - هو قانون تأليف الكلام، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها"<sup>(4)</sup>، لأن المتوخى من النحو ليس هو ضبط أواخر الكلمات والوقوف على صواب الجملة أو خطئها، وإن كان ذلك جزءا من الغاية، وإنما المسعى أعم وأشمل وأحوط. يقول المسدي "إن الدلالة ليست في الألفاظ وليست في مجرد التركيب، وإنما هي في

---

(1) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. ط3، تح: محمود محمد شاكر. مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، 1413هـ - 1992م، ص 28.

(2) داوود، محمد محمد. العربية وعلم اللغة الحديث. دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001، ص: 167.

(3) حماسة، محمد عبد اللطيف. النحو والدلالة، ص 114.

(4) إبراهيم، مصطفى. إحياء النحو. مكتبة لسان العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص: 17.

آليات الارتباط الحادثة بين الألفاظ عندما تتوالى في الكلام تواليا نسقيا، وليس من مرجع في ذلك إلا النحو<sup>(1)</sup>. معنى ذلك أن النحو يتحكم في إنتاج الدلالة على مستوى اللفظ والبناء والوظيفة. واللافت أن من العلماء من تنبه إلى سعة الفهم النحوي في خلد السلف من العرب، حتى إن منهم من نظم فيه شعرا يقدم توصيفا لهذا المصطلح، يقول ابن مالك:

وبعد، فالتحو صلاحُ الألسنة ..... والتفُّسُ إنَّ تَعَدَمَ سِنَاهِ فِي سِنِّهِ  
بِهِ انْكِشَافُ حُجْبِ الْمَعَانِي ..... وَجَلُوءُ الْمَفْهُومِ ذَا إِذْعَانِ<sup>(2)</sup>

وهذا الكسائي يقول:

إِنَّمَا التَّحْوُ قِيَاسٌ<sup>(3)</sup> يُتَّبَعُ ..... وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعُ  
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ التَّحْوَ الْفَتَى ..... مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعُ<sup>(4)</sup>

مهمة النحو إذن، أوسع مما يعتقد البعض، فهي أولا منطق يكشف حجب المعنى، ويسهم في تجلية مسالك الدلالة، وهي ثانيا ضامن صلاح اللسان من اللحن، ومسدد تراكيب الكلام، وهو ثالثا رافد الخطاب

---

(1) المسدي، عبد السلام. العربية والإعراب. ص 50.

(2) ابن مالك، جمال الدين. شرح الكافية الشافية. تح: عبد المنهم هريدي. ط1، دار المأمون للتراث وجامعة أم القرى - مكة، 1982. ج1 / ص155.

(3) تجدر الإشارة ههنا، إلى أن القياس الذي ورد في نظم الكسائي ليس القياس المنطقي الأرسطي، بما يتطلبه من مقدمات وشروط وقضايا تجزئية لا تلائم منطق اللغة، وإنما هو منطق أكبر وأوسع من ذلك، تتحصل في ضوئه المسائل المطردة، والقواعد المتبعة في القول والبيان، والتي استوى عودها في أذهان أهلها الذين نطقوا بما سليقة.

(4) القفطي، جمال الدين. إنباه الرواة على أنباه النحاة. ط1، المكتبة العنصرية، بيروت، 1424هـ: ج2/ص267. وينظر: الحموي، ياقوت. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). ط1، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ - 1993م، ج4/ ص1747.

بجملة من الأحكام والرتب التي تهيئ للبلاغة سبل الجمال. يمكن القول إنه، بعبارة أخرى، علم "له وظائف كثيرة تتعدى الوظيفة العملية؛ فمن وظائفه اقتراح التراكيب المعبرة عن المعنى المراد، ومن وظائفه اقتراح ترتيب هذه التراكيب في سلسلة الكلام، ومن وظائفه اقتراح طرق التعالق بين هذه التراكيب"<sup>(1)</sup>.

كان النحو الذي جمع سيبويه شتاته، وأسّس أصوله، يتقصد فهما عاما لمداره، واستيعابا شاملا لمفهوماته بوصفه نظاما مرهونا بالبناء الكلي للسان العربي، وليس نحوا مدرسيا يتمثل في رزنامة من القواعد والقوانين الجامدة التي تفصل نحوية الكلام عن دلالاته ومقاصده. وحينما تكلم سيبويه في النحو "فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به حتى إنه احتوى على علمي البيان والمعاني ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني"<sup>(2)</sup>.

يعد النحو، بهذا الكلام، أنحاء تستمد أصولها وفروعها من الدفق الذي تمدنا به الأساليب العربية وتراكيبها، وتستوحى سننها من معهود العرب في التخاطب. فهو بعبارات مختلفة: "علم مقاييس كلام العرب"<sup>(3)</sup>، وهو "المقاييس العامة التي ينبغي أن تتبع وأن ينتفع بها"<sup>(4)</sup>، وهو "صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى"<sup>(5)</sup>، وهو يتبع ما في طباع

---

(1) العموش، خلود. الجملة الابتدائية ووظائفها النصية. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد السادس، العدد4، 2010.

(2) الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن. ط 1، دار ابن عфан، 1417هـ/ 1997م: ج5/ 54.

(3) السيوطي، جلال الدين. الاقتراح في أصول النحو وجدله. ط 1، حققه وشرحه: فجال محمود، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، دار القلم، دمشق، 1409 هـ - 1989 م، ج1/ ص 32.

(4) أبو المكارم، علي، أصول التفكير النحوي. ط 1، دار غريب، القاهرة 2006، ص 30.

(5) الاقتراح في أصول النحو، ج1/ ص 31.

العرب<sup>(1)</sup>، وهو كذلك "انتحاء سميت كلام العرب"<sup>(2)</sup>؛ والسمة حياة اللغة في القوم، فهو شيء مجرد غير مادي، لا يمكن تحسسه، بل يمكن تذوقه والانفعال به إذا عاشه الإنسان على استقامته ونمطه.

وفقا لهذه الحقائق، نستطيع القول إن النحو في المعهود العربي في القول والبيان هو أن ينحو المتكلم المنهج الحياتي العربي الذي "استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة"<sup>(3)</sup>، والمبتدئون بهذه اللغة لهم معهودهم الخاص في التخاطب؛ فالكلام بالنسبة إليهم ليس مجرد دلائل تحمل مدلولات، أو قوالب هيكلية جامدة، وإنما الأمر أكثر من هذا التوظيف الآلي للكلمات والجمل، بل القصد انتحاء معهود العرب في التخاطب أو انتحاء نحوهم في إنتاج الدلالة.

لقد تنبه عبد القاهر الجرجاني لهذا الأمر، فقال: "وليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"<sup>(4)</sup>؛ لأنه يبقى الحكم في تسويغ قالب العبارة من حيث اختيار ألفاظها وتعليقها وترتيبها وتسييقها وإنتاج دلالاتها، وذلك بوصفه كشافا قويا للبنية النظرية ومولدا لأنساق جملها<sup>(5)</sup>.

ليس النحو العربي، بهذا الفهم، إلا ترتيبا للكلام وفق أصول في التواصل، وبناء للعبارة على نهج أعراف في التبالغ، فهو نسج على منوال دقيق، يقود إلى "الحق المعروف أو إلى العادة الجارية"<sup>(6)</sup> كما يقول التوحيدي، والمقصود ههنا، أن امتلاك الكفاية النحوية للتعبير عن الأغراض التي من أجلها توظف الأصوات اللغوية يقتضي تأليف

---

(1) التوحيدي، أبو حيان، المقابسات. ط 2، تح: السندوي حسن، دار سعاد الصباح، 1992م، ص 170.

(2) ابن جني، عثمان. الخصائص، ج 1/ص 35.

(3) ابن السراج. الأصول في النحو. تح: الفتلي عبد الحسين. مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت: ج 1/ص 35.

(4) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ص: 81.

(5) بودرع، عبد الرحمن. في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج. ط 1، دار كنوز المعرفة، 2016، ص 52.

(6) التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، ص: 171.



التراكيب بين المفردات والألفاظ وفق منطق النظم الذي يحكم بنية اللسان العربي، لأن اكتساب الكفاية النحوية يعني تمكن الإنسان من "القدر الذي يفهم به خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه"<sup>(1)</sup>. يقصد الغزالي بالكلام أعلاه أن الغاية في نهاية المطاف أن يكون المرء حاذقا باللغة العربية، مدركا لأسرارها ومجاريها وقوانينها في البيان والإفهام، باحثا عن المعنى ضمن سياقه وتداوله الخاص والعام. ولهذا أشار أبو حيان حينما قال: "إن علم النحو موضوعه أمور كلية"<sup>(2)</sup>، فهو كلي وشامل لمستويات لسانية وغير لسانية تتقاطع وتتكامل، لتأدية أصل المعنى ومراعاة مقتضيات أحوال التخاطب ومقامات التبليغ، لذلك كان يوصف بكونه معادلا موضوعيا للعربية بمعناها العام، حيث كانوا يسمونه علم العربية<sup>(3)</sup>. ولهذا، لا مشاحة أن يكون النحو العربي من إبداع التفكير العربي، وابتكار ذهنية أهله، بل من الطبيعي أن تكون اللغة التي بها يتكلمون الوسيلة الفعالة في الاستجابة لحاجاتهم وميولاتهم وأذواقهم وفق منطق يرشّد العلاقة بين الإنسان والفكر، لا سيما أن المنطق هو بحثٌ في الفكر باللغة.

وعليه، نقول مع من قال إن "النحو منطق عربي، والمنطق نحو عقلي"<sup>(4)</sup>، فهو عقلاني في مدركه، وإنساني في ابتداعه، واجتماعي في انتمائه، ما دام يمثل جملة القوانين التي يضعها المجتمع ويتواطأ عليها لتمثيل الظواهر

---

(1) الغزالي، أبو حامد. المستصفى. ط 1، تح: عبد الشافي، محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، 1413هـ-1993م، ج/ص 344.

(2) السيوطي، جلال الدين. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ط 1، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية-بيروت، 1418هـ-1998م، ج/ص 37.

(3) في هذا الصدد، نسب الأشموني إلى ابن عصفور قول: "المراد بالنحو ما يرادف قولنا علم العربية لا قسيم الصرف" (ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ج/ص 24).

(4) التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، ص 169.

الكلامية وإبداعها<sup>(1)</sup>، وهو منطق مخصوص في أساسه وتجريدي في عمومه، يتوخى تمثيل النسق اللساني العربي من خلال الارتكاز على عُمد فلسفة الوجود الكوني، واستمداد قانونه وقواعده لأن "الكلام مرآة تعكس في أمانة تامة ظواهر الوجود والأشياء والمتصورات، فلا بد إذن، أن نجد في الكلام نفس القوانين المحركة للتفكير وللطبيعة وللحياة أيضا"<sup>(2)</sup>. يستمد النحو العربي فلسفة اشتغاله من النحو الوجودي عامة، من حيث إنه "أنحاء جزئية تختص بجهة محددة في دراسة اللغة، ونحو كلي يجمع بين الأنحاء الجزئية ويستثمر نتائجها"<sup>(3)</sup>، وهذه الأنحاء الجزئية ما هي إلا مستويات ومداخل تشتغل في تفاعل لتخريج المعاني النحوية وإبراز دلالات مخصوصة وفق طبيعة العلامات اللغوية وغير اللغوية التي تستجيب لشروط الأحوال والمقامات.

صفوة القول، إن النحو الذي نفهم أو الذي ينبغي فهمه هو النحو الوجودي الإنساني الكلي الجامع والمتكامل الذي تنتظم في ضوئه اللغة والوجود والأشياء والحياة والناس، ومن ثمة، فالنحو نحو وجودي منطقي يمثل منهج الحياة ونظام الكون ونمط العيش وقواعد الوجود، لكونه يتأسس على مقومات وضوابط عامة تتحكم في التفكير الحضاري الإنساني، من حيث إنه يمثل "كل القواعد والسنن المنظمة للكون وتطوره، ولا يمكن النظر إلى قاعدة منها إلا بربطها بباقي القواعد (السنن) الكونية الأخرى لتعالقها الشديد، ولأن خرق قاعدة وجودية سيؤثر بالضرورة على جملة من القواعد المتصلة بها"<sup>(4)</sup>. وعلى هذا المنحى في التفكير ينبغي أن نفهم كيف تنتظم مختلف

---

(1) عياشي، منذر. العلاماتية (السيمولوجيا) قراءة في العلامة اللغوية. ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2013، ص 122.

(2) المسدي، عبد السلام. التفكير اللساني في الحضارة العربية. ط2، الدار العربية للكتاب، 1986م، ص 32.

(3) ميموني، مولاي إدريس. الحلقة الثالثة من سلسلة حلقات تكوينية لفائدة طلبة الدكتوراه، "نظرية النحو البياني المفهوم والموضوع" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، يوم 2018/05/15.

(4) إسماعيلي علوي، محمد. المنطق الوجودي للنحو العربي وتمثالاته على مستوى القواعد (مقال قيد النشر).

العلوم والظواهر اللغوية والمعارف اللسانية مثل: الصوتيات والمسائل الصرفية والمعجمية والتركيبية، والدلالية... في تفاعل تام مع مختلف العلامات غير اللسانية: الوجودية والسياقية والحالية...

### 3- العلامة: المفهوم والمسار

#### 3-1-3- العلامة: المفهوم

##### 3-1-1-3- العلامة لغة

يقول ابن فارس: (علم) العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفة. يقال: عَلِمْتُ على الشيء علامة. ويقال: أَعْلَمَ الفارس، إذا كانت له علامة في الحرب. وخرج فلان مُعْلِمًا بكذا. والعَلَمُ: الراية، والجمع أعلام. والعَلَمُ: الجبل، وكل شيء يكون مُعْلِمًا: خلاف المجمل<sup>(1)</sup>.

يقال أيضا: "أعلمت التَّوْبَ إذا جعلت فيه علامة أو جعلت لهُ عَلَمًا. وأعلمت على مَوْضِعٍ كَذَا من الكتاب علامة"<sup>(2)</sup>. والعلامة: السمة، والجمع عَلَامٌ... والعلامة والعَلَمُ: شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة. وبين القوم أَعْلُومَةٌ: كعلامة<sup>(3)</sup>. ونقل ابن سيده: عن "أبي عبيد": السِما والسمياء والسمة والسومة: العلامة، وعن ابن السكيت أن: الأمانة: العلامة<sup>(4)</sup>. والدليل: الأمانة في الشيء<sup>(1)</sup>. يقول ابن يعيش حينما يتحدث عن الاسم:

---

(1) ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، 1399هـ - 1979م. مادة (علم).

(2) الأزهرى، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. ط1، تح: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001م، ج2/ص254.

(3) ابن منظور، محمد. لسان العرب. ط3، دار صادر - بيروت، - 1414هـ، ج12/ص419.

(4) ابن سيده، أبو الحسن. المخصص. ط1، تح: خليل إبراهيم جفال. دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1417هـ، 1996م، ج4/ص99.

"وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من "السمة"، وهي العلامة"<sup>(2)</sup>، وفي اللغة سمة الشيء أي علامته وهو بهذا الاعتبار يشمل الكلمات الثلاث فإن كلا منها علامة على معناه<sup>(3)</sup>.

بناء على هذه النخبة المنتقاة من التحديدات اللغوية يظهر أن العلامة هي اسم لما يعلم به الشيء وينماز به من غيره. ومع تميز مادة (ع ل م) بكثرة التصاريف<sup>(4)</sup>، فإنها تؤول إلى العلم والإدراك والفهم والإبانة، وهي مفاهيم لن تحصل إلا بوساطة أثر يحيل على ما يفهم ويعلم ويدرك وهو العلامة.

### 3-1-2- العلامة اصطلاحا

يعد مصطلح العلامة هو ذلك اللفظ الذي يسمي مفهوم العلامة في أنساق التواصل اللسانية وغير اللسانية، لذلك، فهو يكتنز معاني دقيقة على الرغم من صعوبة تحديد تعريف جامع مانع لحده. يقول أبو هلال: "علامة الشيء ما يعرف به المعلم له ومن شاركه في معرفته دون كل واحد كالحجر يجعله علامة لدفين تدفنه فيكون دلالة لك (...) فالعلامة تكون بالوضع<sup>(5)</sup>، معنى ذلك أنها هي التي يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول<sup>(1)</sup>. تستخدم

---

(1) ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة، ج2/ص259.

(2) ابن يعيش، أبو البقاء. شرح المفصل للزمخشري. ط1، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422 هـ - 2001 م، 83/1.

(3) ابن هشام، عبد الله. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تح: عبد الغني الدقر الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا، ص18.

(4) وردت هذه المادة مثلثة الحرف: علم وعلم وعلم؛ ف (علم) التي تتعدى لمفعول واحد تكون المعرفة إزاءها حسية؛ أي: عن طريق الحواس تقول علمت الشيء أعلمه علما: عرفته وخبرته. بينما (علم) التي تتعدى لمفعولين والذين أصلهما مبتدأ وخبر فتكون بمعنى الظن والحسبان، ولذلك أجازوا علمتي كما قالوا ظننتي ورأيتني وحسبتي؛ أي إن للعقل والتصوير فيها مدخلا و(علم) أي (علم) ساد العلماء والفُقهاء. و(علم) أي جعل لها علامة تقول: ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها، وأعلم حمزة يوم بدر. (ينظر لسان العرب ج12/ص419 وما بعدها).

(5) العسكري، أبو هلال. الفروق اللغوية. ص71.

العلامة "من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما، أو الإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر هذه المعرفة"<sup>(2)</sup>. يوضح عبد السلام المسدي -زيادة في التدقيق والتحديد- أن العلامة: "ما يدرك بالحس - رؤية أو سماعا أو لمسا - وإدراك الحس له يدرك به شيء غيره"<sup>(3)</sup>، بينما العلامات في سياق النسق اللغوي المخصوص هي "أعلام منصوبة في مسالك القول يهتدي بها القراء إلى المقاصد، ويستترشد بها النقاد إلى منار بلاغة القول إلى لحنه الدال على شجاعته أو ضعفه، إذ اللغة في أبسط تعريف لها تحد بأنها: نظام من العلامات تعبر عن أغراض الناس"<sup>(4)</sup>.

تأسيسا على ما استرفدنا من رؤى اصطلاحية لمفهوم العلامة يبدو أنها وسيط بياني تكمن وظيفته في التدليل على المعنى ومعرفة حقائق الأشياء، والإحالة على موضوعات معينة لتيسير الفهم وتحقيق التواصل. ومهما يكن من أمر، فالعلامة لا تكتسب قيمتها الدلالية إلا بشرط المواضعة بين أهل مستعملها، فهي تُبنى لتحيل على شيء، أو لتمثيل معنى، غير أن هذه الإحالة أو هذا التمثيل قد يختلف الناس في استكناه مدلوله، أو تحصيل معناه، تبعا لمنهج تفكيك بنية العلامة وتحليل تركيبها.

نشير أن العلامة مفهوم محوري، تدور في مداره المفاهيم الآتية: الأمانة والآية والسمة والدليل، وعلى الرغم من أننا لا نسلم بترادفها نظرا للفروق الدقيقة الحاصلة بين حدودها، فإنها مفاهيم تبدو متعاقبة ومتواشجة، يحيل بعضها

---

(1) المرجاني، الشريف. التعريفات. ط 1، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1403هـ - 1983م، ص 36.

(2) إيكو، أمبرتو. العلامة تحليل المفهوم وتاريخه. ط 2، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010م، ص 47.

(3) المسدي، عبد السلام. الأسلوب والأسلوبية. ط 3، الدار العربية للكتاب، ص 152.

(4) الدكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق).

على الآخر، بيد أن العلامة هي المصطلح الأحوط والأشمل والأعم الذي يشمل كل المفاهيم بوصفها علامات مخصوصة<sup>(1)</sup>.

### 3-2- العلامة المسار

#### 3-2-1- العلامة في التراث العربي

كان العلماء العرب القدامى قد نظروا إلى العالم رؤية قرآنية ملؤها الاهتداء بالعلامة، فهم تأملوا الوجود بوصفه رمزا دالا -تماما كما أن اللغة رمز دال- يدل على حكمة خالقه، وهي علامة على الإنسان أن يتأملها وأن يقرأها ليصل إلى الخالق وحكمته في الخلق كما أن المتأمل في العربية يصل إلى حكمة العرب<sup>(2)</sup>. لذلك، تناولوا قضية العلامة وما يدور في مدارها في كثير من إنتاجهم، فلفتوا الانتباه في كثير من مصنفاتهم إلى طبيعتها وأنواعها والمقصود من وظائفها.

بعد الجاحظ في طليعة من وعى بأمر العلامة في التداول، وذلك حينما عد الأسماء الرائجة بين الناس علامات على مسميات، حيث قال: "الأسماء التي تدور بين الناس إنما وُضعتْ علامات لخصائص الحالات"<sup>(3)</sup>. يعني بذلك أن كل الأشياء المطروحة للتداول بين الناس (موجودات، أغراض، أشياء..) اتفقوا على نعتها بتسميات (علامات) مخصوصة تشير إليها وتعادلها ذهنيا، غير أن ما يبين بجلاء عمق النظر الجاحظي لأمر العلامة هو ما أتى به من بيان لأصناف الدلالة أو أنواع العلامة التي بها ينكشف قناع المعنى ويتحقق التواصل. فيقول: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم

(1) ينظر: الفروق اللغوية ص71، والعلامة في التراث اللساني العربي، ص 87.

(2) قاسم، حسام أحمد. الأسس المنهجية للنحو العربي. ط1، دار الآفاق العربية. 2006، ص277.

(3) الجاحظ، أبو عثمان. رسائل الجاحظ. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384 هـ - 1964م، ج1/ ص262.

الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبته، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعمامها، وعن طبقاتها في السار والضار<sup>(1)</sup>.

نستلهم ما قاله النص، لنقول إن المعاني أو الفهم والإفهام يتحصلان بوساطة خمسة أنواع من العلامات:

- العلامة اللسانية التي تتركز على الألفاظ المنطوقة أو المسموعة لإيصال الأفكار.
- العلامة الإشارية التي تعتمد إلى تمرير فحواها عبر الإحالة الإشارية بالجسم أو بغيره.
- العلامة الخطية فتلك يتقصد منها الكتابة.
- العقد هو المخصوص بلغة الحساب.
- والعلامة الحالية التي لا تنطق، بل تشير بحالها.

يكون الجاحظ - بهذا التصور - قد أسهم في إغناء المعطيات العربية في مجال الدلالة في بعدها الشامل، وذلك بعدما وسع من دائرة التعبير بالعلامة حينما تناولها بصبغة شمولية في شقها اللفظي وغير اللفظي، لا سيما أن هذه الأنواع من العلامات هي مدار العملية التواصلية التي غايتها البيان، وهذا البيان يقع بأي جنس كان الدليل، ويشمل "كل ما يقال له دليل، كان مفيدا للقطع أو الظن، وسواء كان عقليا أو حسيا، أو شرعيا أو عرفيا، أو قوليا أو سكوتا، أو فعلا أو ترك فعل، إلى غير ذلك"<sup>(2)</sup>.

---

(1) الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبيين. دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1/ص82.

(2) الأمدي، أبو الحسن. الإحكام في أصول الأحكام. تح: عبد الرزاق عفيفي. المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان، ج3 / ص26.

من زاوية أخرى، وقفنا على التناول الواعي للآمدي بشأن العلامة، حينما وجدناه قد أشار إلى كيفية وقوع الحدث اللساني بقوله: "من اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلامية والعبارات اللغوية. وهي إما ألا تكون موضوعة لمعنى، أو هي موضوعة. والقسم الأول مهمل لا اعتبار به، والثاني يستدعي النظر في أنواعه، وابتداء وضعه وطريق معرفته، فهذان أصلان لا بد من النظر فيهما"<sup>(1)</sup>.

نفهم من هذا الكلام أنه من التكوين الصوتي تنطلق نشأة العلامة اللسانية، فتأخذ بالوضع معنى أو لا تأخذه، فتكون التي لها معنى مؤهلة للاستعمال في وضعيات التبالغ والتواصل، والعلامة التي ليس لها معنى يكون مصيرها الإهمال، فالحاجة إلى التواصل على العلامة حاجة ضرورية حتى يستطيع كل واحد من أهل الجماعة التواصل مع الآخر عبر تبادل المعلومات المتضمنة في العلامة، وذلك أن اللفظ تكمن حقيقة دلالاته على المعنى بالوضع المقصود، وليس اعتباطاً أو صدفة؛ لأن دلالات الألفاظ تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وليست غاية في ذاتها.

يشرح الآمدي هذه المسألة إمعاناً في توضيح حقيقة العلامة اللسانية بقوله: "كلفظ الإنسان، فإن (إن) من قولنا إنسان، وإن دلت على الشرطية فليست إذ ذاك جزءاً من لفظ الإنسان، وحيث كانت جزءاً من لفظ الإنسان لم تكن شرطية"<sup>(2)</sup>، فدلالة العلامة اللسانية في اعتقاد الآمدي دلالة تجمع بين مكونين متلازمين (دال) و(مدلول) مكتملي العناصر، ولا يمكن لجزء من الأجزاء المكونة للدال أن يدل في ذاته على المدلول المقصود.

---

(1) المصدر نفسه، ج1/ ص13-14.

(2) المصدر نفسه، ج1/ ص14.



أصفي العلامات وألطفها وظيفية في نقل المعنى في الأنساق التواصلية هي العلامة اللغوية، ولهذا تنبه صاحب (جمع الجوامع)، عندما قال: "من الألفاظ حدوث الألفاظ اللغوية ليعبر بها عما في الضمير وهي أفيد من الإشارة والكتابة وأيسر"، ولذلك فهي الأكثر رواجاً وشيوعاً في التداول الإنساني.

لقد صرف ابن جني اهتمامه إلى تصنيف العلامة اللسانية من حيث الدلالة إلى ثلاثة أصناف: لفظية وصناعية ومعنوية، حيث قال: "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر؛ إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: "فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية"<sup>(1)</sup>.

يظهر أن ابن جني تفتن إلى مراتب الدلالة في مسلك العلامة اللغوية؛ فهي تنحو - في تصوره - إزاء المعنى المعجمي للمفردة الملفوطة الذي تستمد من المخزون القاموسي، وذلك مثل دلالة مادة (ع ل م) على حدث العلم أو العلامة، أي: المتصور الذهني لهذا الجذر في ذاكرة الجماعة المتكلمة، بينما المعنى الصرفي الصناعي وهو معنى لاحق على الأصلي مثل دلالة الفعل (عَلِمَ) على زمن الماضي، أما المسلك المعنوي فهو الدلالة النحوية التي تحكم العلاقة بين الألفاظ والبنية والوظيفة، وذلك أنه حينما نقول: (عَلِمَ) فنحن أمام فعل وقع في زمن الماضي يستلزم شخصاً قام بهذا الفعل أو يسند إليه.

يعد كذلك، الراغب الأصفهاني من الأعلام الذين تنبهوا لأمر العلامة، حيث تناول الدلالة بوصفها معادلاً للعلامة بقوله: "الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالات الإشارات والرموز والكتابة. وسواء أكان ذلك بقصد من يجعله دلالة أم لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي. قال تعالى: ﴿مَا دَهُمُ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾<sup>(2)</sup><sup>(1)</sup>. معنى ذلك أن ما يتوصل به إلى تمثل الأشياء في التصور الذهني ومعرفة

(1) ابن جني، عثمان. الخصائص، ج3/ص 100.

(2) سورة سبأ، الآية: 14.

حقيقتها هو العلامات الدالة عليها، مهما كانت طبيعة تلك العلامات: لغة أم إشارة أم رمزا، المهم أن تتحصل الجدوى من تهيؤ الدليل عليها.

لقد آثر أبو هلال العسكري تحديد الفروق المفهومية الدقيقة بين مصطلحي: العلامة والدلالة حينما صرح بأن: "الدلالة على الشيء ما يمكن كل ناظر فيها أن يستدل بها عليه كالعالم لما كان دلالة على الخالق كان دالا عليه لكل مستدل به، وعلامة الشيء ما يعرف به المعلم له ومن شاركه في معرفته دون كل واحد كالحجر يجعله علامة لدفين تدفنه فيكون دلالة لك دون غيرك ولا يمكن غيرك أن يستدل به عليه إلا إذا وافقته على ذلك، كالترصيف يجعله علامة لمحيء زيد، فلا يكون ذلك دلالة إلا لمن يوافقك عليه، ثم يجوز أن تزيل علامة الشيء بينك وبين صاحبك فتخرج من أن تكون علامة له ولا يجوز أن تخرج الدلالة على الشيء من أن تكون دلالة عليه، فالعلامة تكون بالوضع والدلالة بالافتضاء"<sup>(2)</sup>.

يدل هذا التناول المفهومي الدقيق على وعي واضح بوظيفة العلامة في خصوصيتها وحركية الدلالة في عمومها، وكيف تسهم في كشف المعنى وكيفية بنائه، وخاصة أن شرط المواضعة في العلامة يعد عاملا حاسما في تدويلها في الوسط التواصل للجماعة ما، فالاتفاق على حمولة معنوية للعلامة يجعلها ذات فائدة تبالغة مهمة، بيد أن قصديتها تعد مسوغا لاستعمالها. والمعنى الذي بإمكان العلامة نقله هو: "اسم للصورة الذهنية لا للموجودات الخارجية، لأن المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصده القاصد وذلك بالذات هو الأمور الذهنية، وبالعرض الأشياء الخارجية، فإذا قيل: إن القائل أراد بهذا اللفظ هذا المعنى، فالمراد أنه قصد بذكر ذلك اللفظ

---

(1) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم. المفردات في غريب القرآن. تح: صفوان عدنان الداودي. ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، - 1412 هـ، ص 316-317.

(2) العسكري، أبو هلال. الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 70 - 71.

تعريف ذلك الأمر المتصور"<sup>(1)</sup>.

غير أن الفهم الذي أمدنا به الإمام الغزالي للعلامة يدفع إلى الادعاء بأن رأيه يتقاطع في كثير من طروحاته مع التصور الحديث للعلامة في بعدها اللساني السيميائي. يقول في هذا الصدد: "ولا متكلم إلا وهو محتاج إلى نصب علامة لتعريف ما في ضميره"<sup>(2)</sup>. وهذا قول صريح في أن العلامة اللسانية عنصر حامل للمعاني النفسية التي يسعى المتكلم إلى إخراجها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل. أما من جهة العلامة المحيلة على الشيء بعينه فهو يشير في بيان (حد الاسم)<sup>(3)</sup> إلى أن: " للأشياء وجودا في الأعيان ووجودا في الأذهان ووجودا في اللسان؛ أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي، والوجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري، والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي؛ فإن السماء مثلا لها وجود في عينها ونفسها ثم لها وجود في أذهاننا ونفوسنا لأن صورة السماء تنطبع في أبصارنا ثم في خيالنا حتى لو عدت السماء مثلا وبقينا لكانت صورة السماء حاضرة في خيالنا .... وهي كالصورة المنطبعة في المرآة فإنها محاكية للصورة الخارجة المقابلة لها وأما الوجود في اللسان فهو اللفظ المركب من أصوات قطعت أربع تقطيعات يعبر عن القطعة الأولى بالسين وعن الثانية بالميم وعن الثالثة بالألف

---

(1) الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب. ج 1، ص 37.

(2) الغزالي، أبو حامد. المستصفى. تح: محمد عبد السلام عبد الشافي. ط 1، دار الكتب العلمية، 1413 هـ - 1993 م، ص 185.

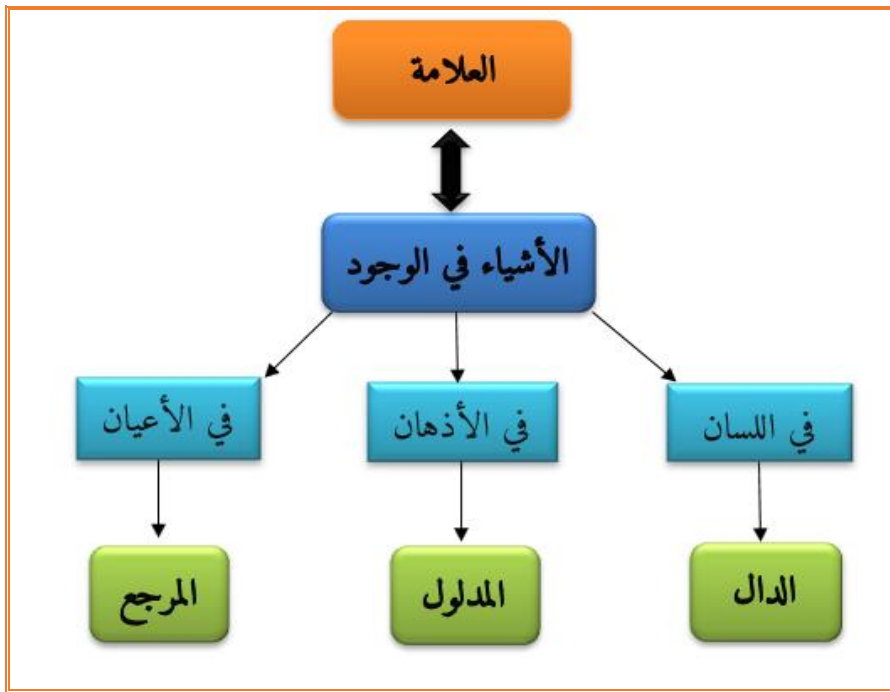
(3) يقول الإمام السهيلي معضدا هذا التصور: (الاسم الذي هو "السين" و "الميم" عبارة عن اللفظ الذي وضع دلالة على المعنى، والمعنى هو الشيء الموجود في العيان - إن كان من المحسوسات - كزيد وعمرو - وفي الأذهان - إن كان مع المعقولات - كالعلم والإرادة. فذلك الموجود الذي في العيان أو الموجود الذي في الأذهان وضعت له عبارة في اللسان. بما يترجم عنه، ويتوصل إلى فهمة والكشف عن حقيقته، ثم ذلك الشيء المعبر عنه - وهو الشخص مثلا - كما استحق بأن يكون له عبارة بين المتخاطبين يترجمون بها عنه. وهي "الزاي" و "الياء" و "الذال" مع قولك "زيد" مثلاً، فكذلك استحق هذا اللفظ المؤلف من هذه الحروف أن يعبر عنه بعبارة أخرى يعبر بها عنه، لأنه شيء موجود في اللسان، مسموع في الأذان). ينظر (نتائج الفكر في النحو، ص 30).

وعن الرابعة بالهمزة وهو قولنا سماء"<sup>(1)</sup>.

نستخلص من هذا الاستشهاد الوافي أن العلامة اللسانية عند الغزالي تتشكل وفق أبعاد ثلاثة، يمكن تمثيلها في

الشكل الآتي:

الشكل رقم (1): يمثل مكونات العلامة عند الغزالي



نستطيع مقابلة مفاهيم الشكل أعلاه بالاصطلاحات الرائجة في العرف اللساني المعاصر كما يأتي:

- الأشياء في الوجود : العلامة.
- في اللسان : اللفظ الدال على المعنى الذي في النفس، الصورة السمعية أو الدال.

---

(1) الغزالي، أبو حامد. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى بسام. ط1، تح: عبد الوهاب الجابي. الجفان، والجابي - قبرص 1407هـ - 1987م، ص 25-26.

- في الأذهان : المتصور الذهني، أو المدلول.

- في الأعيان : الشيء المحال عليه (الحقيقي) أو (الفعلي) أو (المرجع).

تأسيسا على ذلك، يمكن القول إن العلامة أو الدليل اللساني يندرج في إطار مكون تسيجه ثلاثة أبعاد: الأذهان واللسان والأعيان، أبعاد تسمح بتيسير التواصل بين الناس من حيث التصورات الذهنية للأشياء، ومن حيث الصورة الفيزيائية الماثلة في الأصوات ومن حيث الوجود في حقيقته الواقعية.

من جهة أخرى، يرى ابن سينا أن "الإنسان قد أوتي قوة حسية ترسم فيها صور الأمور الخارجية.. فترسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا، وإن غابت عن الحس... ومعنى دلالة اللفظ (هو) أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أوردته الحس على النفس التفتت إلى معناه"<sup>(1)</sup>. تغدو العلامة اللسانية، بهذا المنظور، ثنائية المبنى: مسموع اسم يرتسم في الخيال، ومعنى مفهوم يرتسم في النفس؛ إذ بهذا التقسيم المنهجي نجده يتوافق مع ثنائية الدال والمدلول التي سنها دوسوسير للعلامة<sup>(2)</sup>. وإذا جاز لنا أن نضع إسقاطات اصطلاحية متوازية بين التصويرين، يكون "المسموع" هو "الصورة السمعية" ( Image acoustique)، و"المفهوم" هو "متصور ذهني" (Concept).

اللافت أن من العلماء العرب الذين كان لهم شأن عظيم في قضية اشتغال العلامة بوصفها الوعاء الذي يحمل المعاني النفسية نجد عبد القاهر الجرجاني؛ إذ ما فتئ يؤكد على أن المعاني النفسية تتم ترجمتها إلى معان نحوية في الخطابات عبر علامات لغوية تستجيب للسياقات والنوازل التي ترد فيها، حيث جاء في كلامه أن اللغة: "تجري

(1) ابن سينا، الشفاء المنطق 3- العبارة. تح: محمود الخضيرى. دار الكتاب العربي القاهرة، 1970م، ص1-2 .

(2) سنأتي إلى تفصيلها بعد (ينظر: 2-2-2- العلامة في بعض الدراسات اللغوية الحديثة).

مجرى العلامات والسمات ولا معنى للعلامة والسمة حتى يمتثل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه"<sup>(1)</sup>.

نلتقط من فحوى هذا الكلام إحالة على ثلاثة مصطلحات لها علاقة بالمعنى: العلامات والسمات والدليل؛ وهي مفاهيم تؤول إلى أداء الوظيفة التواصلية المنوطة بها، مادام يتيسر بوساطتها التبدليل، فالعلامة اللغوية دليل راشد إلى المعنى إذا احتملت ما يقتضيه الشيء المدلول عليه في ظروف وأحوال مخصوصة به. يضيف الجرجاني بيانا لسيرورة المعنى في ضوء العلامة اللغوية: "المعنى) و(معنى المعنى)، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى هو أن تعقل من لفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"<sup>(2)</sup>؛ إذ يومئ اللفظ بوصفه علامة إلى معنى أولي أو يعين دلالة مباشرة، وهذه الدلالة أو هذا المعنى يشكل بدوره علامة تحيل على معنى مضمّر يحدده السياق. وهكذا، تتوالد المعاني في سيرورة متراكبة تتوالى بين المعنى التعييني ثم المعنى الضمني.

انطلاقا من هذه النخبة من الرؤى التي اقتصرنا على استرفاد إفادتها وغيرها كثير مما قدمه اللغويون والأصوليون والبلاغيون والفلاسفة يتضح أنها إسهامات - على الرغم من شتاتها بين مظان عديدة- كانت تتحلق حول مفهوم العلامة في علاقته بالدلالة والمعنى، إذ تعامل أسلافنا مع العلامة من حيث هي منطلق لاستحضار المعاني الغائبة الكامنة خلف ما يظهر للعيان حسا شاهدا، أي: إنها تمثيل لشيء ما، وعليها أن تكون وسيطا لاستدعاء هذا الشيء بوصفها بديلا عنه، فكانت النتيجة أن توصلوا إلى "تعميم مجال أبحاث الدلالة على كل أصناف العلامات... وتبقى أبحاثهم التي تتناول تعيين نوعية دلالة الألفاظ المركبة أو بوجه عام العلامات المركبة وتحليل الدلالة المؤلفة من تسلسل عدة توابع دلالية مدخلا جديدا ذا منفعة قصوى للسيميائية المعاصرة"<sup>(3)</sup> التي يأتي

---

(1) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص 202.

(2) المصدر نفسه. ص 263.

(3) فاخوري، عادل. علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة. ط2، دار الطليعة، بيروت 1994م، ص 70.

في طليعة مؤسسيها: (دو سوسير) و(بورس).

### 3-2-2- العلامة في بعض الدراسات اللغوية الحديثة

يعد دو سوسير المؤسس الأول للسانيات العامة بوصفها فرعاً عن علم جديد سماه السيميولوجيا، حيث استند نسقه النظري إلى مفهوم العلامة. إنها مصطلح مركزي مفتاح في تصوراته اللسانية التي امتدت فلسفتها إلى الدراسات اللسانية والسيميائية الحديثة.

يمضي دو سوسير في تحديد ماهية العلامة حينما يجزئها منهجياً إلى عنصرين يشكّلان وجهيها الأساسيين: وجه مادي أو تعبيرى أو محسوس سماه: الدال (Signifiant)، وهو صورة سمعية متوالية من الأصوات، ووجه ثان غير مادي أو مجرد وسمه بـ: بالمدلول (Signifié)، يمثل هذا الأخير المفهوم أو المتصور الذهني الذي يحيل عليه الدال عند سماع أصواته، بينما عملية إدماج الوجهين تفضي في نهاية المطاف إلى تشكيل العلامة اللسانية (Signe linguistique)<sup>(1)</sup>؛ إذ لا يستقيم أودُ العلامة إلا بالتحام عنصري: الصوت والمتصور.

لقد اختزل سوسير العلامة في ثنائية: الدال والمدلول بعدما استبدل (الدال) بالصورة السمعية و(المدلول) بالمتصور الذهني، لكنه حافظ على مصطلح العلامة، ما دام أنه لم يجد له مقابلاً يكون بديلاً له. ويمكن تلخيص هذا التصور المنهجي لمفهوم العلامة في الشكل الآتي:

---

(1) ينظر: F.de Saussure. Cours de Linguistique Générale. p 73-74.

الشكل رقم (2): يمثل وجهي العلامة عند دوسوسير



يوضح الشكل (2) أن العلامة عند سوسير ينحصر تكوينها في عنصرين أساسيين: (دال) = (صورة سمعية)

و(مدلول) = (متصور ذهني)، وليست الصورة السمعية هي تسلسل الأصوات المادية المتحققة في جهاز النطق،

وإنما هي الأثر النفسي المترتب عن سماع ملفوظ تلك الأصوات أو قراءتها أو تخيلها.

يستشهد سوسير على وجهة مذهبه بخصوص بصمة الصورة السمعية في نفوسنا بما يقع في الإدراك أثناء حديث

النفس الداخلي من دون تحريك الشفتين أو حينما نكلم أنفسنا بلغة صامتة، أو عندما نقرأ قصيدة شعرية من دون

كلام، والسبب في ذلك أن ألفاظ اللغة تتمثل إلينا بوصفها صورا سمعية<sup>(1)</sup>. لذلك، من يقف على رأي<sup>(1)</sup> سوسير

---

<sup>(1)</sup> ينظر: F.de Saussure. Cours de Linguistique Générale. p 74



في العلامة يلحظ إلحاحا على حصر هويتها بين حدين اثنين: (الدال) و(المدلول)، وليس بين شيء موجود فعليا واسم أو بين اسم ومسمى كما يعتقد من يظن أن اللغة مجرد ثبت من الألفاظ تسمى أشياء.

والجدير بالذكر أن العلامة عند سوسير تركز على مبدئين مهمين: الاعتبارية والخطية: أما الاعتبارية (Arbitraire) مفادها أن "الدال ليس مرتبطا بالمدلول بأية علة مهما كان نوعها، أو أي سبب مهما كانت طبيعته، ومن ثمة لا شيء يفرض علينا أن نربط هذا الدال بذلك المدلول أو بغيره"<sup>(2)</sup>، ثم ضرب مثلا لادعائه بلفظ (الأخت)(sœur)؛ حيث إن معنى هذا اللفظ "لا يرتبط بأي علاقة داخلية معللة مع سلسلة أصوات لفظ (sœur) [s-ö-r] التي تمثل دالا عليه؛ لأنه يمكن تمثيله بأي سلسلة أخرى من الأصوات تدل عليه"<sup>(3)</sup>.

لقد عضد سوسير حججه باختلاف مسميات الأشياء باختلاف اللغات عند الناس؛ إذ إن مدلول لفظ (bœuf) تمثله المتوالية الصوتية [b-ö-f] داخل حدود مكانية معينة، بينما تكون له دوال أخرى مثل (ochs)[o-k-s] خارج هذه الحدود"<sup>(4)</sup>.

نلفت الانتباه- بالمناسبة-، أن مبدأ الاعتبارية الذي أضفاه سوسير على العلامة اللغوية انطلاقا من دراسته اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها لا يستقيم مع فلسفة العلامة في اللسان العربي وخاصة في ارتباطه بالنص الشرعي، وحتى لو سلمنا افتراضا بقبول قضية الاعتباط من جهة المواضع، فإن القصدية في إنجاز المعنى الذي يتحصل من العلامة اللغوية رغبة في تحقيق التواصل لا يمكن أن يتأسس على الاعتباط أو التعسف، وذلك لأن "العلامة أو الرمز الدال

---

(1) ينظر: F.de Saussure. Cours de Linguistique Générale. p 73- 74

(2) غلفان، مصطفى. اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول. ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، يناير 2017م، ص 276.

(3) ينظر: F.de Saussure. Cours de linguistique générale. P 75

(4) ينظر: F.de Saussure. Cours de linguistique générale. P 75

على معنى، لربط تواصل ما هي إرسالية إشارية للتخاطب بين جهتين أو أكثر. فلا صدفة فيها ولا اعتباط<sup>(1)</sup>، لا سيما أن اللسان العربي هو النظام العلاماتي الحامل للمقاصد القرآنية التي لا يمكن أن تستقيم مع مبدأ الاعتباط، لأن الله سبحانه هو الدال أو هو الذي أوحى بالدليل أو العلامة اللسانية القرآنية، والدليل الذي هو الآية أو العلامة ينقسم إلى ما يدلّ بنفسه، وإلى ما يدلّ بدلالة الدالّ به؛ فيكون الدليل في الحقيقة هو الدالّ به الذي قصد أن يدلّ به. وقد جعل ذلك علامةً وآيةً ودليلاً<sup>(2)</sup>.

وإذا كان الأمر على هذا النحو فإن إزاحة الصفة الاعتباطية عن العلاقة بين طرفي العلامة في اللسان العربي أمر لا يمكن إغفاله، فالسمات الدلالية التي يجمع الدال تفاصيلها لبناء المعنى لا يمكن إنتاجها عفويا. إن ابن جني كان قد فصل في قصديّة اللسان العربي في ما يعرف بالاشتقاق الأكبر أو تقلبيات الجذر اللغوي الواحد، فأثبت أن تصاقب المعاني لتصاقب الأصوات؛ هذا، فضلا عن أن بنفنيست (E. Benvenst) في معرض رده على سوسير، يقر بأن العلاقة بين الدال والمدلول في الرمز اللغوي ضرورية، ولا يمكن حصولها اعتباطا، أما العلاقة بين الدال والمدلول فليست اعتباطية كما يقول سوسير، إنما هي علاقة ضرورية (إلزامية) لأن الدال هو الذي يحدد المدلول والعكس صحيح... لأن التصور (ثور) سيكون في شعوري بالضرورة مطابقا أو مماثلا للمتتالية الصوتية (الدال) /ثور/. وكي يكون الأمر بخلاف ذلك وبينهما تلاحم وثيق جدا لدرجة أن التصور (ثور) هو روح بالنسبة إلى الصورة الأكوستيكية /ثور/، وذلك لأن الذهن لا يتضمن صورا فارغة أو تصورات غير مسمات<sup>(3)</sup>.

---

(1) الأنصاري، فريد. سيمياء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة. سلسلة اخترت لكم، رقم 16، ط1، منشورات ألوان مغربية، 2003 م-1424 هـ، ص 22.

(2) ابن تيمية، تقي الدين. النبوات. تح: عبد العزيز بن صالح الطويان. ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420 هـ/2000 م، ج2/ ص 737.

(3) غلفان، مصطفى. اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول. ص 309.

يعد مفهوم الخطية (Linéaire) هو المبدأ الثاني المميز للعلامة اللغوية؛ معنى ذلك أن نسق العلامة اللغوية يخضع للمبدأ التعاقبي الذي يضيف على العلامة الصفة الخطية في التواجد، فهي تُصنع بشكل تعاقبي زمنياً؛ إذ لا يمكن توليد العلامة اللسانية إلا عبر تسلسل زمني لوحدها الصغرى أو لأصواتها سمعاً أو كتابة. إن السمة الأساسية للمادة الصوتية أنها تتقدم إلينا كسلسلة لفظية، وهو ما يترتب عليه مباشرة الطابع الزمني الذي ليس له إلا بعد واحد يمكن أن نسميه البعد الخطي<sup>(1)</sup>، يسمح هذا المبدأ بتمييز التباينات النطقية بين الوحدات الصوتية، فلا يمكن إجرائها الحصول على وحدتين صوتيتين في الآن ذاته، وإنما يحصل ذلك بالتوالي، الأمر الذي يسهم في دراسة العلامة وتحديد معالمها الخاصة.

ما يلاحظ على دوسوسير هو إقصاؤه في التمثيل ما تحيل عليه العلامة في العالم الخارجي أو الوجود الفعلي للشيء، أو ما يسمى بالمرجع. الأمر الذي نجده حاضراً في نموذج بورس (Charles Sanders Peirce) الذي تناول بنية المعنى في العلامة بخلفية منطقية شاملة، بعدما آمن بأن العلوم كلها تدرس على أساس سيميائي أو سيميوطيقي، فعمد إلى تعريف العلامة بوصفها "شيئاً ما ينوب لشخص ما عن شيء ما، من وجهة ما وبصفة ما"<sup>(2)</sup>.

يعني بذلك أن الشيء الذي (ينوب لشخص) هو الوعاء الذي يحمل المعلومة أو الذي عبره يُتقل المعنى، و(لشخص ما) هو المنوب له، أي: الإدراك أو الفهم الذهني للشخص المستقبل الذي تنشأ في عقله علامة معادلة، (عن شيء ما) يقصد به الشيء الموجود في الواقع، أي: الموضوع المنوب عنه بواسطة اللغة.

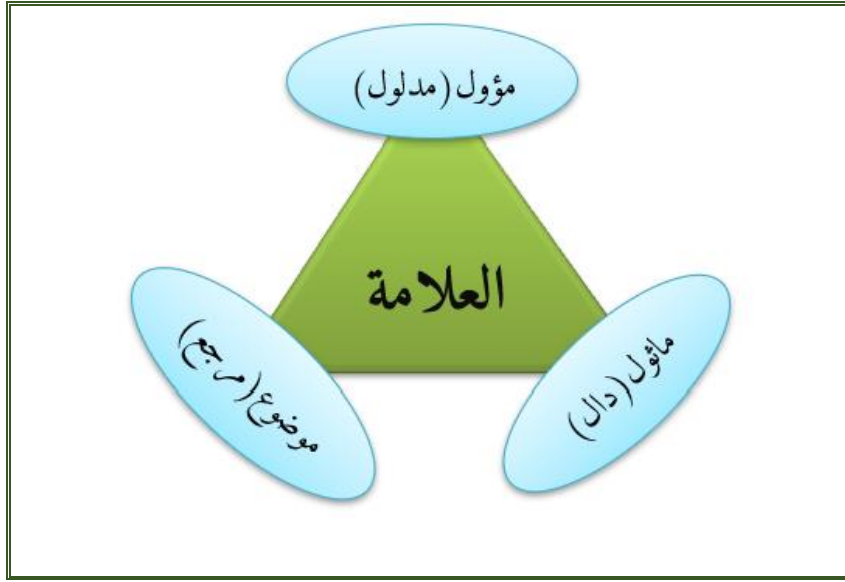
---

(1) غلفان، مصطفى. اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول. ص 282.

(2) قاسم، سيزا. أبو زيد، نصر حامد. أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، إشراف سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، طبعة دار العالم العربي، دار إلياس العصرية، القاهرة، ص 138.

حاول بورس، في ضوء هذا التحديد، تفكيك بنية العلامة إلى ثلاثية سمى عناصرها على النحو الآتي: "موضوع" (Objet) وهو الأمر الذي لم يشير إليه سوسير، ف"مؤول" (interprétant) الذي هو المدلول عند سوسير، ثم "مائل" (1) (Représentant) الذي يقصد به الدال. يمكن تمثيل هذا المثلث وفق الشكل الآتي:

### شكل رقم (3): يمثل مكونات العلامة عند بورس



يشكل هذا المثلث ترابطا جدليا بين عناصر ثلاثة؛ فسماعنا متوالية صوتية معينة يحدد لنا عنصر (الدال)، ثم تتشكل في متصورنا الذهني صورة ذهنية تحيل على عنصر (المدلول)، ثم يحيلنا هذا المدلول بدوره على صورة شيء متحقق في الوجود الفعلي أو المتخيل، وهو عنصر (المرجع). وعليه، لا يمكن للعلامة أن تتحقق إلا من خلال العلاقة التي تربط بين المؤول (مدلول) بوصفه الواسطة بين المائل (دال) والموضوع (مرجع)، فلا يمكن الانتقال من (المائل) إلى (الموضوع) إلا عبر (المؤول)، هذا الأخير هو الذي يحدد للعلامة قيمتها، ويضعها رهن التداول كواقعة

(1) استمد البحث ترجمة المصطلحات من: بنكراد، سعيد. المؤول والعلامة والتأويل، مجلة فكر ونقد، العدد: 16-1991.

إبلاغية، والموضوع أو المرجع هو ما يقوم الماثول بتمثيله سواء كان للمرجع وجود فيزيائي أو عقلي؛ فقد يكون "فكرة أو شكلا حلميا أو مخلوقا متخيلا"<sup>(1)</sup>.

عمل بورس بهذا التقسيم الثلاثي الرئيس على تأطير الهوية الدلالية للعلامة انطلاقا من إبرازه سيرورة الاشتغال المتحكمة في توليد المعنى والتي تتحقق وفق منطق السيميوزس<sup>(2)</sup>، وهي السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما بوصفه علامة<sup>(3)</sup>؛ فكل عنصر من العناصر الثلاثة المؤطرة للعلامة قابل للتحويل في سيرورة متحركة، يتفاعل بعضها مع البعض الآخر، معنى ذلك أن العملية تتأسس على متوالية تأويلية مفتوحة، نتحصل في كل منزلة منها على معنى معين، يشكل هذا المعنى بدوره علامة تؤول إلى معنى آخر وهكذا. لا يفوتنا أن نشير إلى أن الهاجس الرياضي المنطقي الذي استبد بمرجعية بورس جعله يوغل في التعقيد والتقسيم وهو ينظر لفلسفة العلامة سيميائيا؛ حيث انطلق من ثلاثة أشكال ليصل إلى حوالي ستة وستين تفرعا<sup>(4)</sup>، الأمر الذي أضفى على جهده بعضا من التعقيد والغموض. نذكر في هذا المضمار الأصناف الثلاثة الرئيسية التي انطلق منها<sup>(5)</sup>:

- الرمز: وهي علاقة تحيل على موضوع أو تنوب عنه. يرى بورس أن الرمز عمل تقليدي يخضع لضوابط الثقافة؛
- الأيقونة: هي علامة تصويرية تعمل على التوصيل المعرفي عن طريق المشاهدة أو المطابقة كما في الرسم والتصوير.

---

(1) شولز، روبرت. السيميائ والتأويل. ط1، ترجمة: سعيد الغانمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994م، ص241.

(2) تحيل العلامة التي هي ماثول (représentant) على موضوع (objet) عبر مؤول (interprétant)، وهذه الحركة (توالي الحالات) تشكل في نظرية بورس ما يطلق عليه السيميوزس.

(3) بنكراد، سعيد. السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها. ط3، دار حوار للنشر والتوزيع، سورية - اللاذقية، 2012م، ص58.

(4) ينظر: قاسم، سيزا. حامد ابو زيد، ناصر. أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، دار إلباس العصرية، القاهرة 1986، ص12.

(5) السريغني، محمد. محاضرات في السيميولوجيا، سلسلة الدراسات النقدية. ط1، دار الثقافة للتوزيع والنشر، البيضاء، 1887م، ص57.

- المؤشر: ويرتبط موضوعه بعلاقات المجاورة أو الشواهد المادية، وهذا النمط الأخير من العلامة لا يعتمد على شفرات أو قواعد اجتماعية، بل على فهم عملي للعالم المادي، ومثال ذلك الدخان الذي يدل على وجود النار.

نورد كذلك رأي بنفنيست ختاماً لآراء أبرز المحدثين في قضية العلامة، لأهمية ما أفاد به في هذا الصدد، والأهمية تبرز في تأكيده على أن اللغة تمثل النموذج السيميائي الأسمى والأمثل؛ إذ إن طبيعة اللغة الاجتماعية ووظيفتها التعبيرية تسمح لها بأن تكون نموذجاً أعلى للأنظمة السيميائية كلها، لأنها نظام أكثر تعقيداً وأكثر بيانا لطبيعة العلامة<sup>(1)</sup>، وذلك لأن النسق اللساني يؤسس قواعد نظامه بالارتكاز على العلامة وشؤونها، من حيث هي شيء محسوس يستدعي شيئاً آخر بوصفه بديلاً له. والعلة التي تسوغ لأي نظام أن يندرج ضمن الأنظمة السيميائية هي قدرة ذلك النظام على الدلالة، أو قدرته على تحقيق مدلوليته (signifiante) انطلاقاً من احتوائه وحدات دالة أو علامات تدللية، تسعف في إثراء مقومات النظام السيميائي وضبط خصائصه<sup>(2)</sup> التي تعنى:

- 1- بكيفية تأدية الوظيفة (الطريقة التي يعمل بها النظام) . par son mode d'opération .
- 2- بمجال صلاحيته (المجال الذي يفرض النظام نفسه فيه) . par son domaine de validité .
- 3- بطبيعة علاماته وعددها (ما تمثل هذه العلامات في النظام par la nature et le nombre de ses signes
- 4- بنوعية توظيفه (العلاقة التي تربط بين العلامات وتمنح كل علاقة سمة فارقة ومستقلة) par son type de fonctionnement

(1) Ed Gallimard, 1974. Problèmes de linguistique générale. Tome2, Emile Benveniste. p 49.

(2) ينظر: (قاسم، سيزا، أبو زيد، نصر حامد. أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، ص178) و(حساني، أحمد، العلامة في التراث اللساني العربي، ص 30).

ومهما يكن من أمر، فإن نظرية العلامة في العصر الحديث بنت عُمدتها على التأصيل المنهجي الذي بشر به دوسوسير في إطار السيميولوجيا، والتأسيس المنطقي الذي نظّر له بورس في إطار فلسفة شاملة لأنساق العلامات.

### 3-2-3- العلامة في نحو العلامة

تنطلق العلامة في تصور ((نحو العلامة)) من أن كل شيء في الوجود يعد علامة على معنى ما، أي: إنه لا يمكن معرفة شيء في الوجود إلا بعلامته الدالة عليه، لأن "العلامة قاعدة وجودية قبل أن تكون قاعدة لغوية، وهي سبيلنا إلى إدراك القضايا الظاهرة والقضايا الغيبية والمعنوية والعقلية والمنطقية، خاصة أنه يصعب الفصل بين اللغة والوجود الذي تحيا فيه، لأن الموجودات والأشياء هي عبارة عن أجسام وذوات كما هي على حقيقتها وصفاتها في الوجود/ الكون، وهي علامات لغوية يعبر بها عن تلك الذوات"<sup>(1)</sup>.

تتميز هذه العلامة بتنوع أصنافها وتكامل علاقاتها وانسجام مكوناتها في إطار نحو ينظمها على الرغم من اختلاف مصادرها بين الوجود واللغة والأحوال والشرع وكل ما يمكن أن ينتج المعنى، وذلك أنه يمكن دراسة العلامة من حيث طبيعتها وأنواعها ودلالاتها ووظائفها، فهي "أنواع تتداخل وتتكامل، وتتقارض وتتناظر وتتباين... وهي مجملة وذهنية وخطية ولكل منها فروع"<sup>(2)</sup>، معنى ذلك أن العلامات متشعبة التداخل ومتنوعة الأصناف والعلائق، لذلك، يكون النظر إليها من جهة علاقتها بما تدل عليه، وكيف تدل عليه، ومن جهة كيفية انتظامها في نسق

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودي والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة-، ص 41، (كتاب قيد النشر).

(2) الدكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق).

جامع، لأنها "سبيلنا إلى إدراك القضايا الظاهرة والقضايا الغيبية والمعنوية والعقلية، وعلى قدر تمكننا من ضبطها وفهمها يكون فهمنا لما نسعى إلى إدراكه"<sup>(1)</sup>.

نستطيع الاستشهاد بما استنبطه سيويوه وهو يستقرئ الجمل والنصوص العربية اعتمادا على علامات توطر القانون النحوي في بنية الكلام العربي، الأمر الذي أفضى به إلى تقنين ضوابط العلامة في شقها الإعرابي في الجملة العربية، حيث قال: "هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية وهي تجري على ثمانية مجار: على النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف"<sup>(2)</sup>، ثم يشرح في شرح هذه المجاري وكيف تشتغل علاماتها بقوله: "وهذه المجاري الثمانية، يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف. وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه - وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب"<sup>(3)</sup>.

يظهر أن سيويوه رصد العلامات اللغوية (المجاري) التي توجه المعنى في الجملة العربية بناء على القرينة الإعرابية، وعدّد أصنافها ومواقعها ثم علاقتها بما قبلها، والتأثيرات التي قد تنجم عن توظيف هذا الضرب أو ذاك في الجملة العربية، علما أن الإعراب يمثل عنصرا من عناصر النظام العلاماتي في اللغة العربية<sup>(4)</sup>.

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. تكامل مستويات الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني وتجديد النظر فيه: دراسة لسانية تحليلية لسورة يوسف (مرجع سابق).

(2) سيويوه. الكتاب. ج 1/ ص 13.

(3) المصدر نفسه.

(4) المهيري، عبد القادر. نظرات في التراث اللغوي العربي. ط 1، دار الغرب الإسلامي، 1993، بيروت-لبنان، ص 56.



ولئن كان كل مكون حاضر في نسق العبارة العربية يضطلع بعلامة دالة، فإن غيابه أو خفائه يعد علامة بديلة، والربط له علامته أيضا. نستدل على ذلك بما شرحه ابن يعيش حينما عد العلامة أمانة "قد تكون بعدم الشيء، كما تكون بوجوده، ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان، وأردت أن تميز أحدهما من الآخر، وصبغت أحدهما، وتركت صبغ الآخر، لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر"<sup>(1)</sup>، وفي السياق نفسه يؤكد المرادي أن: "ترك العلامة علامة"<sup>(2)</sup>، وهو يقصد ههنا أن غياب أي علامة عن سياقها المؤلف يعد مؤشرا على أن هذا الغياب له منحى تدليلي اقتضاه سياق المقام.

نضيف، فضلا عن ذلك، أن المعنى قد تدل عليه علامة واحدة أو علامتان أو أكثر من علامة، وإذا اتحدت علامتان تؤديان المعنى نفسه، فإن هذا الاتحاد ينتج عنه معنى آخر. بكلمة موجزة، يمكن القول إن العلامات تدل إذا حضرت وتدل إذا غابت، وعندما تحضر قد تدل بما تقول وقد تدل بما توحى به دون أن تقوله، وربما أوهمت أنها تقول<sup>(3)</sup>.

وإذا كانت اللغة في أعم تعريف لها أنها ((نظام من العلامات))، فإن هذا النظام يشتغل وفق نسق محكم تتفاعل فيه مستويات لسانية وغير لسانية، تيسر التعبير، وتحقق التواصل. ولعل تتبع عملية بناء المعنى انطلاقا من تساند العلامات اللسانية في سياق الأحوال المختلفة: النفسية أو الاجتماعية كفيل بتأطير الخطاب، وذلك بالوقوف على النحو الذي تشتغل في ضوئه بنية العلامات بوصفها وسائل أو أوعية تحمل أفكارا ومقاصد.

---

(1) ابن يعيش، أبو البقاء. شرح المفصل. ج1/ص223.

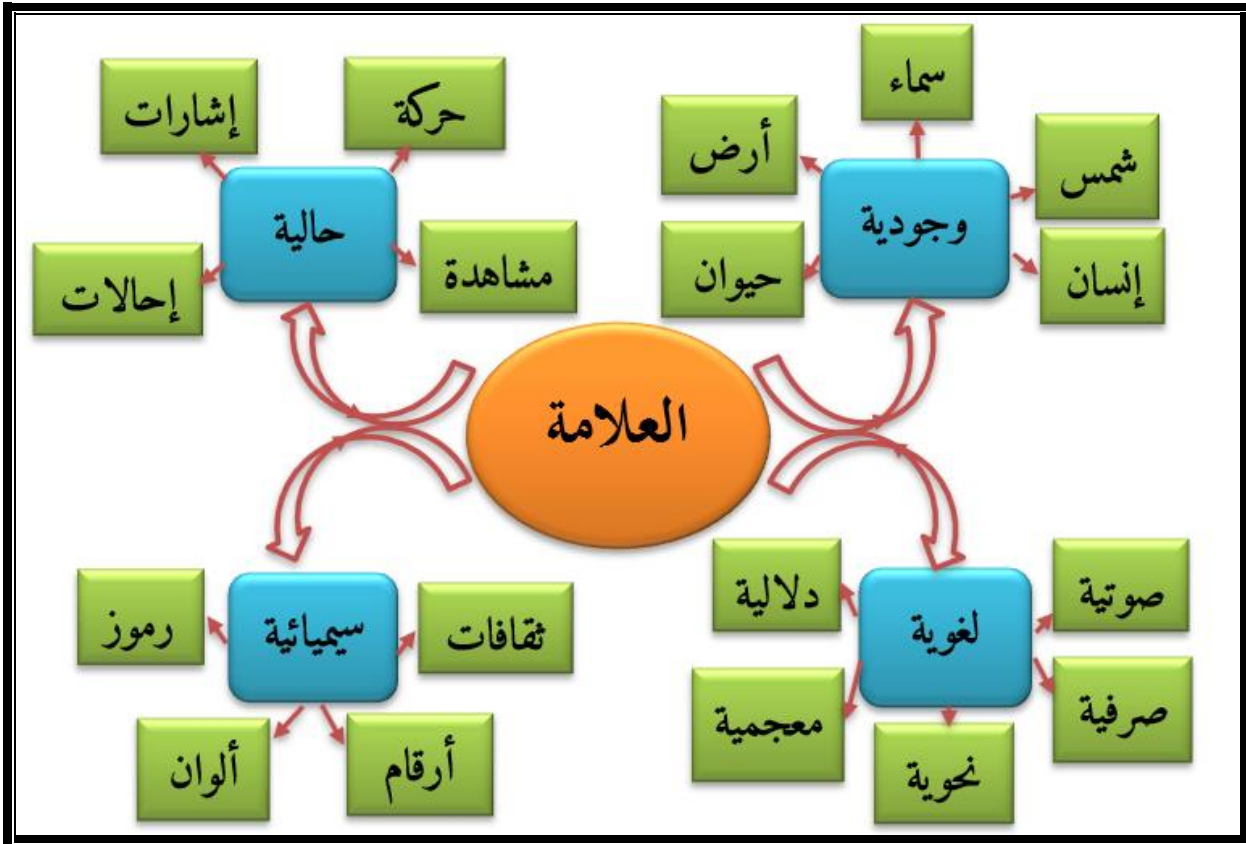
(2) المرادي، أبو محمد. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. ط1، شرح وتح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، 1428هـ - 2008م، ج1/ص292.

(3) ينظر: المسدي، عبد السلام. السياسة وسلطة اللغة. ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة مصر، 2007، ص165.

تأسيساً على ما سلف، يتهيأ لنا أن العلامة في نحو العلامة مفهوم يشتغل على أساس أن لكل شيء علامة تدل عليه وفق تنوع علاماتي يحكمه نظام جامع ومنسجم تتكامل فيه العلامات الوجودية واللغوية والشرعية والسميائية.

يكفيها مؤونة أن نقترح هذا الشكل الذي يلخص أبعاد المفهوم في حقيقته وتنوعه:

شكل رقم (4): يمثل تأطيراً لمفهوم العلامة في تصور «نحو العلامة»



يوضح الشكل (4) أعلاه الفروع التي تؤطر مفهوم العلامة، وهي أربعة أنواع بأصنافها: العلامة اللغوية، والعلامة الحالية، والعلامة الوجودية ثم السميائية وحينما يكون الاشتغال إزاء الخطاب الشرعي فإننا نضيف العلامة الشرعية

لخصوصية مجال الاشتغال. نشير أن الأصناف التي ذكرنا لكل علامة هي فقط نماذج تمثيلية وإلا فهناك أمثلة أخرى.

#### 4- نحو العلامة: إطار معرفي

##### 4-1 نحو العلامة: مقومات التصور

يقول الأستاذ عبد النبي الدكير: "تمت إضافة النحو إلى العلامة في هذا التركيب: (نحو العلامة) لتكوين مركب إضافي يتغى تحديد مجال اشتغال النحو، فهو ينطلق من العلامة، ويحتكم إليها، ويعتمد عليها"<sup>(1)</sup>، معنى ذلك أن مصطلح «نحو العلامة» يجهر بمركب إضافي يتكون من مفهومين: "النحو" و"العلامة"؛ حيث أضيف النحو إلى العلامة ليعرف بها، ويتحدد مجال اشتغاله بمقوماتها وخصائصها.

يُغنى «نحو العلامة» إذا، بدراسة النصوص والخطابات بوصفها علامات تستهدف التبدليل على معان مقصودة بالأصوات والبنىات والتراكيب والأحوال ومقامات التواصل، وما يرتبط بذلك من إحالات وإشارات وجودية وسيميائية. إنه معنى يتتبع النسق اللغوي في أداء وظيفته، وفي حركية اشتغاله، ومعنى بقراءة سنن الوجود في علاقتها بمنطق اللغة والتواصل، ومعنى بدراسة العلامة في مجالها الشرعي، كل ذلك من أجل كشف العلاقة الواشجة بين المعنى والعلامة، ومن أجل الارتحان إلى تحديد مسالك الدلالة التي تُنظّم بناء المعنى في عمقه وأصالته.

تجدر الإشارة إلى أن «نحو العلامة» مفهوم وليد رؤية جديدة<sup>(2)</sup> تطرح تصورا معرفيا، واجتهادا منهجيا في

---

(1) الدكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق).

(2) رؤية جديدة أو اجتهاد نظري اقترح مقوماته الأولية الدكتور عبد النبي الدكير في مقال وسمه ب: "نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها" المنشورة ضمن أعمال ندوة تعليم اللغات: نظريات ومناهج وتطبيقات أيام: 24/23/22 أكتوبر 2002، بكلية الآداب والعلوم

تحليل الخطاب / النص، ويعتقد أصحاب هذا التصور المعرفي - ونحن معهم - أن هذا النظر في التحليل والتفسير يقدم مقارنة فعالة في تحليل الخطاب حيث يسعى إلى استقراء العلامة في تكاملها وشموليتها حتى يكون أكثر إحاطة بمحددات المعنى من القراءات اللسانية القديمة أو الحديثة، وذلك أنه إطار معرفي ينشغل بكل شيء يوصف بأنه علامة، سواء كانت العلامة لسانية أو غير لسانية أو سيميائية أو وجودية.. إنه قراءة تتقصد دراسة مختلف العلامات المشكلة للنص / الخطاب انطلاقاً من ألفاظه وبنيته ونسقه النحوي، ومقاماته، وإحالاته السيميائية والوجودية. ومن ثمة، يشكل نافذة تحليلية تفتح من خلالها القراءة الدلالية على تعدد البنيات الداخلية ومصاحباتها الخارجية، وذلك بتعدد الكيفيات النحوية التي تسمح بصناعة الجمل المعبرة عن الأغراض والمقاصد على نحو مخصوص، لذا تصير القراءة الدلالية منهجا علاماتياً<sup>(1)</sup>.

يختلف «نحو العلامة» عن نظريات تحليل الخطاب التي تركز على عمد اللغة في الرؤية الوجودية التي يتبناها، حيث يهتم بفلسفة الوجود الذي نحيا فيه بمختلف علاماته الممتدة في الآفاق، فضلاً عن المكون اللغوي الذي نطق به ونفكر به، معنى ذلك أنه "ينطلق من المستويات اللسانية المختلفة - باعتبارها علامات - في إطار من التكامل والانسجام في ما بينها أولاً، وبينها وبين العلامات الوجودية والكونية ثانياً"<sup>(2)</sup>. إنه إطار علمي يعمد إلى

---

الإنسانية مكناس، فضلاً عن محاضرة: (نحو العلامة وتجديد التفسير النحوي للقرآن الكريم)، أقيمت بالمؤتمر العالمي الثاني للباحثين في القرآن الكريم وعلومه (آفاق خدمة النص والمصطلح في الدراسات القرآنية)، أيام 13/12/11 أبريل 2013. وأضاف الدكتور محمد إسماعيلي علوي إلى هذه النظرية أفكاراً جديدة، ووسع من إجراءاتها ومناولاتها التحليلية بمقال في جزئين: الأول موسوم ب: (العربية لغة بيولوجية وجودية)، والثاني ب: (الضمائر ووظيفتها الوجودية)، ثم أغناها بتفاصيل دقيقة ومعطيات تحليلية وافية أثناء المحاضرات التي ألقاها على طلبة ماستر الدرس اللغوي والخطاب الشرعي بكلية الآداب بني ملال 2013-2015. ومنها: "النحو العربي والوجود الإنساني والمنطق" و"بنية الخطاب القرآني: العلامة والمعنى".

(1) عياشي، منذر. العلاماتية (السيميولوجيا)، ص 121.

(2) إسماعيلي علوي، محمد. تكامل مستويات الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني وتجديد النظر فيه: دراسة لسانية تحليلية لسورة يوسف (مرجع سابق).

تبني منهج تكاملي بين العلوم الخادمة للمعنى، وينظر في كل ما تجود به اللغة وغيرها من الأنساق الوجودية والسميائية والحالية في نسيجها الكوني، معنى ذلك أنه يهتم بدراسة العلامة اللغوية في مستوياتها: (الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية والدلالية والتداولية)، والعلامة السيميائية: (رموز، هيئات، ثقافات...)، والعلامة الوجودية: (إنسان، سماوات، جبال، شمس، نجوم...)، وحينما يتعلق الأمر بالخطاب الشرعي بوصفه موضوعا للدراسة تنضاف العلامة الشرعية: (أحكام فقهية، وتكاليف شرعية...) بحكم خصوصية الخطاب ومصدره.

لا نقصد بهذا الغنى العلاماتي أن لكل علامة من العلامات البانية للمعنى نصيبا محددًا في هذا البناء نجمع أقساطه لتكوين جملة الدلالة؛ إذ ليس الكل فقط حصيلة مجموع الأجزاء، فالذي يجعل الكل كيانا آخر غير كيان الأجزاء هو نمط العلاقات المخصوصة التي تقوم بين الأجزاء<sup>(1)</sup>، يدل ذلك على أن تدقيق المعنى أو تخصيصه أو تحديد وجهته قد تتكفل به علامة أو علامتان أو علامات مجتمعة، لكنها تتكامل وتتآلف وتتسجم وفق نظام جامع، ووفق شروط خطابية خادمة لهذا المعنى.

استنارة بهذه المعطيات، لا بد للمقبل على تحليل الخطاب، وخاصة الشرعي منه، أن ينظر فيه من مداخل متعددة تتكامل في مستوياتها مختلف العلوم اللغوية وغير اللغوية والعلوم الإسلامية، وذلك من أجل تحليل منطقي صائب أو -على الأقل- أقرب إلى الصواب، ولعل تلك المداخل أصناف معرفية استوت علومها، كل علم وحده، في عالمه من المعالم ما هو علامة معلمة على التداخل والتكامل<sup>(2)</sup> بين مستوياتها، علوم تتساند في ما بينها لتشكيل كتلة متجانسة لصناعة المعنى وتخريج الدلالة، ولذلك نجد جنوحا لدى علمائنا الأسلاف إلى التمسك بمزية تكامل المعارف والعلوم في دراسة مختلف القضايا والظواهر عكس النظرة التجزيئية الموغلة في التفرع والتخصيص. لأن فهم

---

(1) المسدي، عبد السلام. العربية والإعراب. ص 77.

(2) الدكير، عبد النبي. التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم اللغوية من أين؟ وكيف؟ دراسات مصطلحية، العدد الأول، 2001.

العلامة في سياقها يقتضي النظر إليها بوصفها نسقا كليا متكاملا ومتفاعلا، وليس مكونات مجزأة ومستقلة، لأنه وإن استدعى التحليل تفكيك العناصر، وفصل المكونات، وتشريح مختلف أنواع العلامات، فإن ذلك لا يعدو أن يكون اقتضاء منهجيا، وإجراء تقنيا، يستهدف أغراضا تحليلية محضة، بينما يقتضي استنباط المعاني النحوية تصورا كليا ينتظم في نسق فكري جامع ومندمج ومتكامل.

إن ما يهم الباحث في الخطاب "ليس المادة التي تتكون منها الوحدات، سواء تعلق الأمر بالوحدات الصوتية، أو المادة الصرفية أو غيرهما، وإنما تهمه الصورة، والمقصود بالصورة (...) مختلف العلاقات التي تجمع بين الوحدات"<sup>(1)</sup>، حيث تتصرف أصوات اللغة في تسلسل خطي مخصوص لتوليد صيغة معينة، تعبر عن دلالة ما، فتنجم عن ذلك علاقة تأثير وتأثر بين البنية والأصوات، لأن الصيغة الصرفية تنبني على مكونات صوتية، والصوت والصيغة كلاهما يؤثر في توجيه المعنى، والوحدات الصرفية تتعالق مع التشكيل النحوي من حيث الذكر والحذف والترتبة والموقع وغيرها من العناصر التي قد تحدث أثرا نحويا، فضلا عن علاقة النحو بالدلالة من جهة بيان دلالة المفردات في التراكيب ووظيفتها النحوية، وذلك في مراعاة تامة لأسباب السياق ومنطق القوانين الوجودية وأثرها في المعنى. ولئن كانت العلامة بطبيعتها وبتعددتها وتنوعها مجالا شاسعا وغنيا، فإن النحو بوصفه نظاما عاما هو الذي يضبط اشتغالها ويحكم فلسفتها، إذ بالنحو تنتظم كل الأشياء والعلامات، ولا يمكن استيعاب نظامه إلا بمكونات هي العلامات من حيث جوهرها وعلاقاتها وقوانينها المادية والنفسية والاجتماعية التي تحكمها.

تأسيسا على ما سلف، يمكن القول إن نحو العلامة- وفق تصورنا- يعد نظرا علميا وإطارا منهجيا يسعف في تحليل الخطاب عامة، والخطاب الشرعي خاصة، يربط بين مفهومين كبيرين: مفهوم العلامة، ومفهوم النحو؛

---

(1) غلفان، مصطفى. اللغة واللسان والعلامة، ص 252-253.

العلامة بمختلف تجلياتها اللغوية: (صوتية، صرفية، نحوية، معجمية...) والسيمائية: (رموز، إشارات، ثقافات...)،  
والشرعية: (أحكام فقهية، تكاليف...)، والنحو بما هو منظم هذه العلامات في أصنافها وتفاعلاتها وعلاقاتها وفق  
نسق جامع ومنسجم غايته كشف المعنى وتحديد مسلك الدلالة، ومقصد الأحكام إذا تعلق الأمر بالخطاب  
الشرعي.

#### 4-2- الخطاب القرآني ونحو العلامة

استأثر النص القرآني باهتمام كثير من الدراسات والأبحاث التي تهتم بتحليل الخطاب، إذ ما فتئت تنهض  
بمناهج علمية تأويلية تحاول البحث عن الدلالة القرآنية، إلا أن معظم هذه الاجتهادات التحليلية<sup>(1)</sup> تناولت  
جوانب جزئية أو جانب واحد من مستويات اللغة، فكانت النتائج جزئية غير محيطة بالمعنى في كليته وشموليته  
اللغوية، لأن مستويات اللغة كل لا يتجزأ، تتساند وتتفاعل في بناء المعنى، بينما خصوصية الخطاب القرآني وقوته  
الدلالية تقتضي النظر في كل العلامات على اختلافها وتنوعها، واستقراء سياقها واستنتاج بنياتها من أجل فهم  
الخطاب على وجهه الأكمل وتحصيل المعنى الأقرب -على الأقل- لمقصود الآيات القرآنية.

وعليه، نعتقد أن تحليل الخطاب القرآني يستلزم منهجيا مراعاة مختلف المستويات اللغوية وغير اللغوية في  
تكاملها وشموليتها، بل ينبغي إضافة مستوى العلامة السيميائية، ثم العلامة الشرعية، ما دام النص القرآني نصا  
إلهيا غير عاد يقتضي قراءة كل شيء (علامة) يهدي إلى القبض على المقاصد الشرعية.

---

(1) نذكر -تمثيلا- بعضا من هذه الدراسات: "الصوت اللغوي في القرآن" لمحمد علي الصغير، و"سورة الكهف-دراسة صرفية" لإلياس  
الحاج إسحق، و"لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول" لبلقاسم بلعرج، و"دلالات الأفراد والشئبة والجمع في  
القرآن الكريم" لمحمد أحمد محمود شلي...

لهذا المسوغ تبيننا مقارنة «نحو العلامة» التي تنهض بتصوير جديد، يحاول التأسيس لفهم جديد، يساير الرؤية المقاصدية القرآنية المواكبة لحركية الزمان والمكان في ما استجد واستحدث في حياة الناس، وذلك لأن المضامين القرآنية منقولة في نص مفتوحة مقاصده على الشروط الزمانية والمكانية والحضارية التي يحيا فيها الإنسان، لأنه كلما تشعبت الحياة وتكثفت أنماط العيش في الوسط الإنساني إلا وتطلب الأمر فهما جديدا لمحتوى القرآن، فهم قد يكون غاب عن الأولين أو مفارقا لوعيهم المؤلف لديهم؛ إذ لكل عصر شروط وحيثيات وملابسات تقيد حياة الناس.

جاء في الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»<sup>(1)</sup>، وتجديد الدين هو تجديد فهم الدين في كل الأحوال والنوازل. ولما كان «نحو العلامة» معرفة رواؤها العربية بمنطقها ونظامها الخالد، فإنه "يتميز بمميزات اللسان العربي وخصائصه، لسعة العلامات وكفائيتها، ولتعاقبها وتضادها، ولترادفها واشتراكها، ولنيابة بعضها عن بعض لتغليب معنى أو لتضمين آخر"<sup>(2)</sup>.

تتكامل العلامات في نظام «نحو العلامة» في علاقته بالخطاب الشرعي عامة، والقرآني خاصة، من جهة اللغة وعلومها (صوتا وصرفا ونحو...). ومن جهة العلامة السيميائية (الدلالة الإيحائية) التي تتحصل بالاستقراء العام لسياقات ورود ثم من جهة العلامة الشرعية (العلامة الفقهية) التي تتكئ على المعرفة الشرعية (أسباب النزول والتفسير والفقه والأصول...)، لأنه ما دام التعامل والاشتغال منصبا على النصوص الشرعية؛ قرآنا وسنة فإنه لا

---

(1) الحديث عن رواية أبي هريرة، في سنن أبي داود، كتاب الملاحم.

(2) الدكتور، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها، ص 109 (مرجع سابق).



مناص من الأخذ في الحسبان خصوصية هذا الخطاب وقدسيته.

نلاحظ -مثلا- في الآيات الآتية:

- ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(1)</sup>.

- ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾<sup>(2)</sup>.

- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(3)</sup>.

أن العلاقة بين الله الخالق والإنسان المخلوق يحكمها الضابط الديني، وذلك أن علاقة الله تبارك وتعالى بالمشركين وعلاقته سبحانه بإبراهيم وعباده العلماء لا يمكن فهمها على وجهها الحق إلا بتحقيق الضابط اللغوي، ولذلك فأي تغيير غير سليم في العلامة النحوية رتبة وإعرابا قد يسفر عن معان لا تتوافق مع المقاصد الشرعية، لأنه لو أغفلنا ضبط علامات الرفع والنصب في الكلمات: ﴿وَرَسُولُهُ﴾، ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿اللَّهِ﴾ كم سيشق علينا تجاوز الإبهام الذي قد يسقط فيه المتلقي أثناء البحث عن المعنى! من ههنا، يبرز أثر التكامل بين العلامة الشرعية والعلامة اللغوية في تسديد المعنى وتحديد وجهته الصائبة.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 3.

(2) سورة البقرة، الآية: 124.

(3) سورة فاطر، الآية: 28.

# المبحث الثاني

السيمائيات الشرعية ونحو العلامة

## 1- تمهيد

نسعى من خلال هذا المبحث إلى تقديم مفهوم السيميائيات الشرعية وبيان أهمية هذا المجال في دراسة المعنى في الخطاب الشرعي، ثم نبرز مشروعية التدبر السيميائي ودوره في بناء المعنى في إطار تصور ((نحو العلامة)).

## 2- مفهوم السيميائيات الشرعية

### 2-1- السيميائيات لغة

يقول ابن فارس: "الواو والسين والميم: أصل واحد، يدل على أثر ومَعْلَم. ووسمَّت الشيء وسما: أثرت فيه بسمة. والوسمى: أول المطر؛ لأنه يسم الأرض بالنبات (...). وسمي موسم الحج موسما؛ لأنه مَعْلَم يجتمع إليه الناس. وفلان موسوم بالخير. وفلانة ذات ميسم: إذا كان عليها أثر الجمال. والوسامة: الجمال... وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(1)</sup>: الناظرين في السمة الدالة"<sup>(2)</sup>. ويقول صاحب مختار الصحاح: "السومة بالضم: العلامة تُجعل على الشاة، وفي الحرب أيضا. تقول منه تسوم. وفي الحديث "تسوموا فإن الملائكة قد تسومت". والخيل المسومة: المرعية، والمسومة أيضا: المعلمة. وقوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾<sup>(3)</sup>. قال الأخفش: يكون مُعَلِّمِينَ ويكون مُرْسَلِينَ، من قولك: سَوَّمت فيها الخيل أي أرسلها. ومنه السائمة... وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِن طِينٍ مُسَوَّمَةٍ﴾<sup>(4)</sup>: أي عليها أمثال الخواتيم. والسيمي مقصور من الواو، قال الله تعالى: ﴿سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾<sup>(5)</sup> وقد

(1) سورة الحجر. الآية: 75.

(2) ابن فارس. مقاييس اللغة. ج6/ ص 110.

(3) سورة آل عمران. الآية: 125.

(4) سورة الذاريات. الآيتان: 33- 34.

(5) سورة الفتح. الآية: 29.

يحيى السيماء و السيمياء ممدودين<sup>(1)</sup>؛

أما ابن منظور فيرى أن: " السومة والسيمة والسيما والسيما: العلامة ... أنشد أسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عميلة حين قاسمه ماله:

غَلامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا ❖ ❖ لَهُ سِيمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ

هذا للمد، أما القصر فمنه قول شمر في تأنيث السيماء مقصورة:

وَهُمْ سِيمَا، إِذَا تُبْصِرُهُمْ ❖ ❖ بَيَّنَّتْ رَبِيَّةً مَنْ كَانَ سَأَلٌ " (2)

والسيمة والسيما والسيما، بكسرها: العلامة<sup>(3)</sup>.

ملاك الأمر، يتحلق مدار لفظ السيمياء أو السيماء في كتب اللغة العربية وشؤونها حول معنى العلامة<sup>(4)</sup>، مع

إشارته إلى فهم واحد سواء ذكر ممدودا أو مقصورا (سيمياء).

---

(1) الرازي، زين الدين، مختار الصحاح. ط5، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت- صيدا، 1420هـ / 1999م، ص 158.

(2) ينظر: ابن منظور. لسان العرب. مادة (سوم). // الأزهرى، أبو منصور. تهذيب اللغة. ط1، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 2001م، ج13/ ص 76 // الجوهري، أبو نصر. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. ط4، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، 1407هـ - 1987م، ج5/ص1956.

(3) الفيروزآبادي، مجد الدين. القاموس المحيط. ط8، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرفسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1426هـ - 2005م، ص1124 // ينظر كذلك: الزبيدي، محمد. تاج العروس من جواهر القاموس. تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، ج32/ ص 432.

(4) وورد أيضا بمعنى السمة والأمرة والأثر والدليل، وهي كلها معان تحيل على العلامة، يقول ابن فارس (دل) "الذال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمرة تتعلمها... والدليل الأمرة في الشيء" (مقاييس اللغة، ج2/ص252).

## 2-2- السيميائيات اصطلاحا

لم نثر لمصطلح "السيميائيات" بهذه الصيغة الجمعية على وجود - في حدود اطلاعنا- في المتن المعجمي العربي؛ إذ هو مصطلح وليد الثقافة المعاصرة، فهو مصوغ من لفظ "سيمياء"، وذلك بإضافة ياء النسبة إليه، ليصبح "سيميائي"، فدخلت عليه علامة جمع المؤنث السالم، ليتشكل في صيغته النهائية "سيميائيات"<sup>(1)</sup> على غرار "اللسانيات".

ولعل إثثار هذا المصطلح، يستمد قوته من رواج مدلولاته في الموروث اللغوي العربي. يقول عادل الفاخوري: "فالعلم نفسه أي ال Semiotics يترجم ب: السيمياء، السيمية، السيميائية، السيميوطيقا، السيميولوجيا والرموزية. والأفضل "السيمياء" لأنها كلمة قديمة متعارفة على وزن عربي خاص بالدلالة على العلم"<sup>(2)</sup>. تضيف الباحثة جميلة حيدة: "ولعل ترجمة مصطلح سيميولوجيا أو سيميوطيقا بالسيميائيات أو السيمياء هي الأقرب إلى الصواب، لشيوعها في الاستعمالات العربية القديمة"<sup>(3)</sup>.

نلفت الانتباه إلى أنه على الرغم من أن معجم هاشيت (Hachette) الموسوعي قدم تعاريف واضحة بين هذه المصطلحات؛ حيث عرف "السيميولوجيا" بأنها "علم يدرس العلامات وأنساقها داخل المجتمع"، وحدد "السيميوطيقا" بأنها "النظرية العامة للعلامات والأنظمة الدلالية اللسانية وغير اللسانية"، وذكر أن "السيميائيات

---

(1) أثر هذه التسمية عدد من الباحثين المغاربة - على الخصوص - المنفتحين على الثقافة اللسانية والسيميولوجية المعاصرة، لأنه يستمد معالنه من الحقل الدلالي العربي - الذي أشرنا إليه أعلاه- نذكر منهم تمثيلا لا حصرا: محمد مفتاح، مبارك حنون، سعيد بنكراد، أحمد يوسف، رشيد بنمالك، محمد خريف وآخرين غيرهم.

(2) فاخوري، عادل. حول إشكالية السيميولوجيا (السيمياء)، مجلة عالم الفكر، المجلد 24، العدد 3، 1996.

(3) حيدة، جميلة. النقد الأدبي المعاصر حول الشعر بالمغرب (1960م-1990) أطروحة جامعية لنيل درجة الدكتوراه مرقونة مسجلة بمخزنة كلية الآداب (وجدة)، تحت رقم 118، ص 288. (نقلا عن فريد أمعششو: المنهج السيميائي).

(Sémantique) هي "دراسة اللغة من زاوية الدلالة"<sup>(1)</sup>، إلا أن هذه المصطلحات تروج بمفاهيم مترادفة في كثير من الأبحاث والدراسات بسبب التباينات الحاصلة على مستوى الترجمة، خصوصاً، بعد أن قررت "الجمعية العالمية للسيمياتيات" -التي تأسست عام 1974م- والمؤتمر العالمي للسيمياء تبنى مصطلح: "Sémiotique"، "السيمياتيات"، "Semiotics"<sup>(2)</sup>.

تُعنى السيميائيات عند كثير من الباحثين<sup>(3)</sup> بدراسة العلامة؛ إذ تهتم بمختلف العلامات والآثار الدالة: اللغوية منها أو غير اللغوية، معنى ذلك أنها تنزع إلى "دراسة الشفرات، أي الأنظمة التي تمكن الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى"<sup>(4)</sup>.

يذكر سعيد بنكراد في واحد من تحديداته للمصطلح، أن السيميائيات هي: "دراسة التمفصلات الممكنة للمعنى أو هي طريقة في رصد المعنى وتحديد بؤره ومطانه"<sup>(5)</sup>، وبهذا المنطق تصح المقاربة السيميائية "كل عملية تأمل للدلالة، أو فحص لأنماطها، أو تفسير لكيفية اشتغالها، من حيث شكلها وبنيتها، أو من حيث إنتاجها واستعمالها وتوظيفها"<sup>(6)</sup>.

---

(1) أمعضشو، فريد. المنهج السيميائي، مجلة ضفاف، العدد 6، مايو 2004.

(2) ينظر: فاخوري، عادل. حول إشكالية السيميولوجيا(السيمياء)/ المنهج السيميائي.

(3) نذكر منهم: دو سوسير(Firdinand de Faussure)، ش. س بورس(Charles Sanders Peirce)، أمبرتو إيكو

(UmbertoEco)

(4) شولز، روبرت. السيمياء والتأويل، ص 13-14.

(5) بنكراد، سعيد. السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 52.

(6) المرابط، عبد الواحد. السيمياء العامة وسيمياء الأدب. ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، 2010م،

ص 7.

انطلاقاً من هذه الآراء، يكون قد يتهياً لنا أن السيميائيات تتوسم دراسة مجاري العلامات التي جعلت دلائل على مسارب المعنى ومسارات القصد، من حيث إنها تتقصى العلاقة بين المعنى والعلامة من جهة شروط بنائه وتفسير تظاهراته وأصنافه ومن حيث تجلياته، أي: هي عملية تتبع مآل المعنى حيث تنتقل من المستوى التعييني (الظاهر) إلى المستوى الضمني (الخفي).

## 2-3- السيميائيات الشرعية

نروم من وراء وصف "السيميائيات" بـ: "الشرعية" تخصيص مجال الاشتغال الذي يشمل نصوص الخطاب الشرعي: قرآناً وسنة، وذلك من أجل تحصيل الدلالة الشرعية، وفهم حقيقة العلامة التي ترتبط بمقتضيات الخطاب الشرعي ومقاصده؛ إذ تتجه العناية إلى لغة الخطاب القرآني والحديثي وما يتعلق بها بوصفها دلائل مرشدة لتخريج المعنى أولاً، ثم الفائدة الشرعية ثانياً، يتم ذلك من خلال الوقوف على بنية الخطاب الموظفة في التعبير عن المقصد الشرعي، انطلاقاً من تحديد التعالق الدلالي بين العلامات: اللغوية والسيميائية والشرعية؛ لأن التواصل الشرعي يعتبر أولاً: تواملاً لغوياً. وثانياً: متحققاً في مجال الشرع بناء على شروط وجودية مخصوصة<sup>(1)</sup>. نضيف فضلاً عن ذلك، أن الخطاب القرآني أورد لفظ "السيما" في كثير من آياته<sup>(2)</sup>، وفي ذلك ما فيه من إشارات لافتة لقيمة السيمياء في الإيحاء إلى الدلالة، وتوجيه العناية إلى الأسرار التي تكون خلف العلامات الظاهرة.

---

(1) ينظر: النقاري، حمو. المنهجية الأصولية من خلال أبي حامد الغزالي وتقي الدين بن تيمية. ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013م، ص 29 – 30.

(2) يقول تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَاءً﴾ (البقرة. الآية: 273)، وقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف. الآية: 46)، وقوله: ﴿نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (الأعراف، 48)، وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح. الآية: 29)، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

ترتكز السيميائيات الشرعية على عُمد نحو العلامة في دراسة متن الخطاب الشرعي، وذلك بربط العلامة بسياقات الخطاب القرآني أو الحديثي، مادام النص الشرعي ينماز بخصوصية دينية ومقاصدية تستوجب تحليل علاماته وفق منهجية معرفية تناسب الرؤية القرآنية. تحليل يسعى إلى رصد كل علامة تفيد في توجيه المعنى سواء على المستوى اللساني من حيث إن الدلالة السيميائية تكون متضمنة أو خفية في ظل المعاني اللغوية الأولى، أو على المستوى السياقي في علاقته بالوجود والأحوال والأشياء والثقافة والناس.

نشير أن تسمية مصطلح "السيميائيات الشرعية" كان من اقتراح الأستاذ محمد إسماعيلي علوي، بتزكية من الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله، من دون أن ننسى عثورنا في أثناء مسار البحث على وجود هذا المصطلح في كتاب المنهجية الأصولية لحمو النقاري في القسم الأول من الكتاب الذي عنوانه ب: "السيمياء الشرعية الإسلامية...".

### 3 - أهمية السيميائيات الشرعية في نحو العلامة

#### 3-1- مشروعية التدبر السيميائي

إن فهمنا للعلامة يتأسس على توجيه قرآني عظيم: "وهو أن لا شيء في موجودات هذا الكون الفسيح إلا له دلالة سيميائية، ومعنى رمزي لوجوده، وهو مسمى (حكمة) الخلقية"<sup>(1)</sup>، لأن منصة الوجود تظل فضاء مفتوحا على العلامات للتأمل والتدبر واستمداد المنطق الذي يحكم الكون والأشياء والناس. إلا أننا نسجل أنه على الرغم من انفتاح التصور الدلالي المعاصر - وخاصة عند بورس - على دراسة كل الظواهر الإنسانية والطبيعية على أساس أعمق علامات، إلا أنه أقصى تماما - بصريح العبارة - المجال الروحي الديني من أي تفكير يدرس العلامة وشؤونها.

---

أَعْمَالِكُمْ ﴿﴾ (محمد، 30)، وقوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (الرحمن. الآية: 41). وذكر بصيغة الاسم المفعول في (آل عمران. الآية: 14 - 125) و(وهود. الآية: 83) و(الذاريات. الآية: 34).

(1) الأنصاري، فريد. سيمياء المرأة في الإسلام، ص 5.



يقول في هذا الصدد: "أما الكيفية التي يفكر بها إله ذو علم حدسي يتجاوز العقل فغير واردة في مجال هذه الدراسة"<sup>(1)</sup>.

يبدو أن هذه القناعة تستمد مرجعيتها من التفكير المادي الذي لا يؤمن إلا بالتفسير المادي للوجود والأشياء "وذلك لأنها فلسفةٌ تغفل الصلة الرابطة بين الله والإنسان"<sup>(2)</sup>، ونحن نرد هذه القناعة جملة وتفصيلاً، لأن للبعد السيميائي حظ وافر في الاقتراب من المعاني الغيبية والروحية، ولذلك استأثر النظر السيميائي في علاقته بنحو العلامة باهتمامنا في مجال الخطاب الشرعي، من منطلق أن الخطاب الشرعي مفتوحة حقوق فهمه لكل قارئ يبحث عن تحصيل دلالاته في كل زمان ومكان؛ لأنه كلما تشعبت الحياة المدنية، وازدادت معارف الإنسان إلا وتولد فهم جديد في القرآن، لم يكن مألوفاً أو لم تكن حيثياته تتطلب هذا أو ذاك السبيل من الفهم.

ولئن كان لكل عصر نوازل، ولكل حضارة شروط وأحوال، ولكل أناس وعي مفارق للسابقين واللاحقين؛ فإن قراءة الخطاب القرآني من منظور سيميائي "هي قراءة متعددة ومنفتحة تخرج النص من بنياته المغلقة إلى أقدار مدلولاتها لتستشرق المعاني"<sup>(3)</sup>. وعليه، فإن أي فهم يقدم نفسه على أنه الصواب القطعي الذي عناه المشرع من خطابه، فهو يتعسف في مصادرة حق فهوم الآخرين. ثم إن الذي ينادي بانغلاق المعنى الدلالي للنص وحصره في ما توصل إليه الجهد التفسيري التراثي، ورفض آليات التحليل الجديدة المجددة للفهم المواكبة لمستجدات العصر، يكون قد تجاوز دعوة الشرع نفسه إلى الاجتهاد والتجديد في فهم نصوص الوحي، وهي دعوة تسمح لقارئ

---

(1) سيزا، قاسم. أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة. ص 138.

(2) الطيب، دبة. التفكير السيميائي في اللغة والأدب، دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي. ط1، عالم الكتب الحديث، 2015 إربد - الأردن، ص 48.

(3) درقاوي، مختار. كروش، حيزرية. تحليل الخطاب القرآني في ضوء المنهج السيميائي. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثاني، 2017.

الخطاب القرآني في أي زمان ومكان بالاتصال بالكلام الإلهي ومحاولة القبض على الفهم الصالح أو -على الأقل-  
القريب من الصلاح لسياق الواقع الثقافي والمعرفي والاجتماعي.

ومن ثمة، تبقى أحقية التدبر في نصوص الوحي مشروطة بامتلاك آلة اللغة التي بنحوها نزل الخطاب الرباني، وهي  
من الشروط الضرورية والأساسية التي أكد عليها كثير من العلماء ومنهم الشافعي الذي قال: "لا يعلم من إيضاح  
جمل علم الكتاب أحد، جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه، وتفرقها. ومن علمه انتفت عنه  
الشبه التي دخلت على من جهل لسانها"<sup>(1)</sup>.

يظهر أنه رأي واضح المغزى؛ إذ إن الجهل باللسان الذي نزل به القرآن يجلب الشبهة والاتهام لمن ادعى  
الفهم فيه، وإنما الأمر متاح لمن خبر اللغة في نظامها، وعرف نحوها في علاماته، بل الأمر في حكم الأوجب لكل  
من رام فهم الخطاب الشرعي قرآنا وسنة. يقول ابن فارس: "إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم  
بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله صلى  
الله عليه وسلم عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله عز وجل، وما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل  
كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا"<sup>(2)</sup>. يضيف ابن خلدون في هذا المضمار قائلاً: "فلا بد  
من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وتفاوت بالتأكيد بتفاوت مراتبها...والذي يتحصل أن  
الأهم المقدم منها هو النحو إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة"<sup>(3)</sup>.

---

(1) الشافعي، أبو عبد الله. الرسالة. ط1، تح: أحمد شاكر، مكتبة الخلي، مصر، 1358هـ-1940م، ص47.

(2) ابن فارس، أحمد. الصحاحي في فقه اللغة العربية. ط1، تح: أحمد صفر، عيسى الباي الحلبي - 1977م، ص50.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ط2، تح: خليل شحادة، دار  
الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، ص753.

نلاحظ بوضوح صريح أن ابن خلدون أعطى أهمية قصوى للمكون النحوي بوصفه علما تدرج في نسقه باقي المستويات اللغوية التي تتكامل وتتفاعل وتنسجم في ضوئه، وذلك أنه على كل راغب في استنباط معاني الشريعة وأحكامها وتكاليدها أن يمتلك آلة اللغة وما يتعلق بها.

### 3-2- تكامل المعنى اللغوي والعلامة السيميائية

نستطيع القول إن فهم الخطاب الشرعي متوقف على تحصيل دلالاته، ولن يتأتى ذلك إلا بالوقوف على علامات الخطاب وعلاقتها بإنتاج المعنى، من خلال تحديد أنماطها وخصائص تراكيبها وسيرورة اشتغالها الدلالي؛ إذ "لو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا يَحْسُنُ فيهما أثره ويطيب في الدارين ثمرة"<sup>(1)</sup>، فالخصائص والمجاري والمصارف والدقائق ما هي إلا تجليات اشتغال نحو العلامة في العربية، فالقواعد والأحكام والإحالة والإيجاء لدلائل راشدة إلى ما يؤول إليه الخطاب من معان ومقاصد، تكون لها صلة وثيقة باستنباط الأحكام ومعرفة التكاليف الشرعية، وذلك من خلال استقراء علاماتها الخاصة والعامة، وفحص قيمها الشرعية؛ إذ هي ليس "مجرد حامل آلي للمدلول، أو الفكرة، بل هي معبر عن منطق خاص في إنتاج هذا المدلول، والتعبير عن المعنى، وأن القول بأن الخطاب القرآني صادر بلسان عربي مبين لا يحجب تلك الحقيقة، ولا يحجب أن نقول إن القرآن على المستوى الدلالي خالق لمعناه وليس انعكاسا مجردا لمعان موجودة أصلا"<sup>(2)</sup>.

(1) النعالي، فقه اللغة وسر العربية. ط1، تح عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربيين 1422هـ-2002م، ص15.

(2) نحر، هادي. النحو القرآني الدلالي. ط1، عالم الكتب الحديث، 2018م، ص18.

وعلى هذا الأساس، تنبني وظيفة السيميائيات الشرعية في نظام نحو العلامة. وذلك بما يضيفه تفاعل مستويات العلامة اللغوية والسيميائية والفقهية من أثر على تقرير الحكم الشرعي، لا سيما أن تحديد دلالة النص الشرعي تبدأ انطلاقاً من خصائص اللغة التي بها نزل، ثم ربط ذلك بالبعد السيميائي وبالحكم الفقهي المقصود، لأن "الشرعية ليست مجرد ألفاظ لغوية أو جملاً وعبارات منظومة وإنما هي قبل كل شيء دلالات ومفاهيم تجسد روح التشريع ومقاصده"<sup>(1)</sup>. فليست مفردات القرآن الكريم مجرد علامات لغوية تستودع معاني لغوية فقط، بل هي علامات شرعية أيضاً تحمل معاني شرعية، لأن مفاهيم "الصلاة والزكاة والصيام والحج والإسلام والإيمان والإحسان والعدل والإرث والموت والحياة والجهاد هي في أساسها علامات لغوية، لكن الباحث في الخطاب القرآني لا يمكن أن يقف عند حدودها اللغوية الصرفة، وإنما يربطها بدلالاتها الشرعية التي تؤدي إلى اختلاف في فهم أحكامها الشرعية بين الوجوب والندبة والكراهة والحل والحرام"<sup>(2)</sup>.

لقد راعى منهج «نحو العلامة» كل هذه الحثيات، ويعمل على بلورة إجراءاته، وتجويد آلياته طلباً لتتبع المعنى في ظل الأسباب والقرائن والسياقات التي تحيط بالخطاب الشرعي، لأنه لما "كان النص الشرعي متمياً إلى نسق شرعي مخصوص، وجب تحديد دلالاته، بالإحالة إلى مجموع النسق الشرعي الذي ينتمي إليه"<sup>(3)</sup>؛ إذ لا بد من استثمار البعد السيميائي ووضع البعد الفقهي في الحسبان من أجل التدليل على المعنى الشرعي بعد مقارنة الخصائص اللغوية: الصرفية والنحوية والدلالية والتداولية وغيرها. ومن ثمة، كان «نحو العلامة» "التصور المعرفي الجديد تصوراً يخدم الدراسات اللغوية واللسانية، والدراسات الشرعية مرة واحدة، ويجعلها متكاملة في ما بينها. وهو

---

(1) ميموني، إدريس. مستلزمات الإبداع اللغوي في الخطاب الأصولي وعلاقته بالمقاصد الشرعية، مجلة كلية الآداب، بني ملال.

(2) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودي والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة-، ص 58، (مرجع سابق).

(3) النقاري، حمو. المنهجية الأصولية، ص 151.

بهذا المنحى يعيدنا إلى طبيعة الدراسات المرتبطة بالنص الشرعي؛ قرآنا كان أو حديثا<sup>(1)</sup>.

وفق هذا المنحى، يغدو التكامل والانسجام واضحين بين العلامة اللغوية من جهة المعاني الأول التي يتصل به القارئ والعلامة السيميائية من حيث كون مآلها يمر عبر المعنى الأول للوصول إلى المعنى الثاني أو الضمني غير الصريح. يتجلى ذلك التكامل وفق التآلف والاتساق بين العلامات الآتية:

✓ **أولها: العلامة اللغوية:** وهي المرتكز والمنطلق، وتكمن في أن النص المقدم إلى المتلقي مقدم عبر علامات

لغوية تختلف تجلياتها الإيحائية باختلاف مستوياتها اللسانية صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة وسياقا...

✓ **ثانيها: العلامة السيميائية** بوصفها العلامة المحيلة على الدلالة الإيحائية الرمزية؛ ويتم رصد معالمها

بالاستقراء العام، من حيث إنها ليست ظاهرة في المتناول (خفية/ضمنية)، بل إنها تكون متوارية وبعيدة

عن الظهور، وغالبا ما تكون ذات ارتباط بالمنطق الوجودي والمكون الثقافي.

✓ **ثالثها: العلامة الشرعية أو الفقهية:** وهي المتعلقة بالنص الشرعي بوصفه خطابا يحمل أحكاما وتكاليف

ومقاصد شرعية، لذلك، فإن تحديد دلالاته يتعلق بمجال الأحكام والتكليف والقيم والمصالح التي يسعى

الشرع إلى تحقيقها.

وإذا صح تأطيرنا للإشكال السيميائي في علاقته بنحو العلامة في المجال الشرعي، فإن الاعتماد على التصور في

مدرسة القرآن الكريم أمر فيه من الوجاهة ما يقنع، لأن العلاقات النحوية في الكلام على مستواه الأفقي هي التي

تخلق أبنيتها التصويرية والرمزية والسيميائية، وعلى مستواه الرأسي هي التي تحدد وتخلق توازنه، وتحكم توازنه وأنساقه،

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودي والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة-، ص 19.

وهذا كله يؤسس بنية الكلام الدلالية<sup>(1)</sup>. يكفينا مؤونة في التفصيل والحجة على ما افترضنا ابن تيمية الذي قال إنه "من لم يحكم دلالات اللفظ ويعلم أن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي إما في الألفاظ المفردة وإما في المركبة، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي يتغير به دلالاته في نفسه، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه وسياق الكلام الذي يعين أحد احتمالات اللفظ أو يبين أن المراد به هو مجازه إلى غير ذلك من الأسباب التي تعطي اللفظ صفة الظهور وإلا فقد يتخبط في هذه المواضع"<sup>(2)</sup>.

بناء على خلاصة هذا الرأي يظهر بوضوح أن منهج الاشتغال يقتضي استدعاء المعاني اللغوية التي توحى بها الألفاظ والتراكيب في جملها المخصوصة ونصوصها المدروسة لبناء المعنى اللغوي أولاً، وبعد ذلك يتم تعقب كل الممكنات الدلالية التي تفيد في تعقب المعنى السيميائي في تجلياته وسيورته الإيحائية، وذلك بالاعتماد على المسوغات اللغوية وما يتعلق بها من ملابسات وأسباب سياقية وحالية وثقافية مصاحبة، وذلك أن تأويل العلامة سيميائياً يرتكز بشكل أساس على السياق الذي يؤطرها، بمختلف عناصره (أطراف التخاطب، الوعي الديني والثقافي والحضاري..)، لأن ما يشكل علامة سيميائية عند متلق قد لا يكون كذلك عند متلق آخر.

---

(1) نهر، هادي. النحو القرآني الدلالي، ص 321.

(2) ابن تيمية، تقي الدين. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط 1، 1408هـ-1987م، ج6/ص475.

## خلاصة الفصل الأول

تطرقنا في الفصل الأول إلى تحديد المفاهيم والاصطلاحات التي تُكوِّن مدار التصور الذي نحن بصدد دراسته، فكان عنوانه: "نحو العلامة والسيمائيات الشرعية: المفهوم والوظيفة"، قسمناه إلى مبحثين؛ المبحث الأول عبارة عن مدخل مفاهيمي، فكان لا بد لنا فيه من أن نمكث قليلا عند مفهوم النحو، لبيان مقصودنا بهذا المصطلح الذي كان عماده النحو المنطقي الوجودي، ثم وقفنا إزاء مفهوم العلامة لغة واصطلاحا، ثم تعقبنا مساره في البيئة التراثية وفي بعض الدراسات الغربية الحديثة، بعد ذلك أوضحنا المقصود بالمركب الإضافي (نحو العلامة)، وبيننا علاقة هذا التصور بالخطاب القرآني. والمبحث الثاني خصصنا مساحته لعلاقة السيمائيات الشرعية بنحو العلامة حيث سلطنا الضوء على مفهوم السيمائيات الشرعية بوصفه مجالاً له علاقة مباشرة بالخطاب الشرعي كتاباً وسنة، وعللنا مشروعية التدبر السيمائي في هذين المصدرين التشريعيين، كما بينا التكامل المفترض بين المعنى اللغوي والعلامة السيمائية على مستوى تحليل الخطاب الشرعي خاصة، من حيث إن المعنى اللغوي الأول يكون منطلقاً لتحصيل المعنى السيمائي.

# الفصل الثاني

نحو العلامة: بحث في الأسس والمنطق الوجودي وأنواع العلامات



# المبحث الأول

الأسس المعرفية والمنطقية والوجودية لنحو العلامة

"الكلام مرآة تعكس في أمانة تامة ظواهر الوجود

والأشياء والمتصورات، فلا بد إذن أن نجد في الكلام نفس

القوانين المحركة للتفكير وللطبيعة وللحياة أيضا"

عبد السلام المسدي (التفكير اللساني في الحضارة العربية)

## 1- تمهيد

اخترنا الحديث في هذا المبحث عن أهم الأسس المعرفية والمنطلقات المرجعية التي يرتكز عليها تصور ((نحو العلامة))، من أجل بيان وجهة هذا الإطار المعرفي في تحليل الخطاب، ومن أجل إيضاح فلسفته المنطقية والوجودية في الاشتغال، ولا يخفى أن الأسس المعرفية تمثل الخلفية المرجعية التي هي عماد التصورات والنظريات ومصدرها الأساس في مجال العلوم.

## 2- القرآن الكريم والسنة المباركة مصدران أساسيان في التفكير بالعلامة

### 2-1- القرآن كتاب علامات

لا يخفى أن القرآن الكريم منقول إلينا بوساطة علامات لسانية تحمل مقاصد شرعية، وعلى المتلقي قراءة هذه العلامات وتدبرها وتفسيرها لاستنباط معانيها الجليلة، علامات يتوزعها المكون اللغوي الذي أنزل بلسان عربي مبين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾<sup>(1)</sup>، والمكون الوجودي الذي نتواجد في فضائه وملزمون بالنظر في ملكوته وعلاماته من أجل الاهتداء إلى الحق؛ إذ إن كثير من الآيات تتكلم عن ضرورة النظر إلى عالم الإنسان والنبات، والحيوان، والطبيعة وكثير من الآفاق، بغرض التفكير والتأمل لتبيين

---

(1) سورة الشعراء. الآيات: 193-194-195.

الحق ﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(1)</sup>.

لهذا، يمكن القول إن إيماننا بالقرآن الكريم مصدرا أساسا وموجها رشيدا لمنهج التفكير بالعلامة، والباعث الحقيقي للمعرفة العلاماتية، وانسجام فلسفة بناء المعنى فيه مع نظام العلامات أمور جعلتنا نستمد حجة هذه القناعة من خلال دعوة القرآن نفسه في كثير من الآيات إلى تدبر العلامة والعناية بها، للاهتمام بوساطتها إلى المقصدية الدينية، والتمكن من بنيتها الدلالية بوصفها الدليل الراشد إلى معرفة الله أولا وقبل كل شيء، ثم إلى إدراك الحقائق ومعرفة المقاصد والأحكام ثانيا. يقول سبحانه: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(2)</sup>، ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(3)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(4)</sup>، وقوله جل جلاله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(5)</sup>.

نفهم من هذا الوحي الرباني أنه أوامر إلهية تدعو إلى تأمل علامات العالم المنظور (الكون والوجود)، ودعوات قرآنية تأمر بالتفكير في علامات الكتاب المسطور ﴿وَالطُّورِ﴾\* وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾<sup>(6)</sup>، المنزل بلسان عربي مبين من أجل

(1) سورة فصلت. الآية: 53.

(2) سورة النحل. الآية: 16.

(3) سورة البقرة. الآية: 164.

(4) سورة يونس. الآية: 101.

(5) سورة ص. الآية: 29.

(6) سورة الطور. الآيتان: 1-2.

قراءتها وتدبرها وتحليلها واستنطاق مظاهرها واستخراج ما تنطوي عليه بواطنها من مقاصد وحقائق وأسرار تكون دليلاً مرشداً إلى الله وإلى الطريق المستقيم. ولهذا فلا سبيل إلى الهداية إلا من خلال قراءة العلامات المنظورة في الوجود وتأمل المسطورة في الكتاب المنزل، علماً أن أولى الألباب الذين أشارت إليهم الآية الأخيرة أعلاه هم الراسخون في العلم والباحثون المتخصصون الذين يستنبطون المعاني والمقاصد بتجاوز الظواهر من الأشياء وبالنفوذ إلى عمقها وإيجاءاتها اللسانية والوجودية والسيمايائية.

وهكذا، تشكل المنهجية القرآنية المعرفية مرجعاً أساساً نستمد منه تأطيراً لتصور ((نحو العلامة))، وذلك "أن نحو (نظام) القرآن كله هو نحو علامة"<sup>(1)</sup>، وأن العلامة عموماً تشكل قطب الرحى الذي تدور عليه تفاصيل التحليل، وعليه مدار التأويل، وتُقرأ في إزائه سياقات الخطاب في بعدها اللغوي وامتداداته على منصة الوجود.

## 2-2- السنة المباركة وتوظيف العلامات

إذا كان القرآن الكريم قد وظف العلامات بمختلف أصنافها في نقل معانيه ومقاصده إلى المخاطبين، وانسجمت مضامينه وأحكامه مع نظامها وفلسفة اشتغالها، فإن سنة محمد صلى الله عليه وسلم لن تخرج عن هذا المنهج في الخطاب، لأنها هي نفسها علامات مفسرة للقرآن وشارحة له، بل هي التطبيق العملي للقرآن الكريم ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(2)</sup>، والسنة في أعم تعريف لها هي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير؛ والقول: علامات لسانية، والفعل: علامات عملية، والتقرير: إشارات أو ردود أفعال. وبذلك تكون السنة المحمدية كلها علامات بانية للمعنى ومنشئة للأحكام وحاملة

(1) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودية والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني. ص 65 (مرجع سابق).

(2) سورة النحل. الآية: 44.

للمقاصد، ومن ثمة، فهي باعث قوي ومصدر مهم للظاهرة العلاماتية وشؤونها في التفكير الإنساني والتواصل الإسلامي.

إن في توظيف السنة المباركة لقيم العلامة لتوضيح كثير من الأمور الشرعية خير مثال تتجسد فيه الرؤية القرآنية الرافعة من شأن العلامة؛ إذ نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يجعل لكثير من الأشياء علامات تدل عليها، ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم جعل للمتكلف ثلاث علامات يعرف بها، حيث روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لِلْمُتَكَلِّفِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ يَنَازِعُ مَنْ فَوْقَهُ وَيَتَعَاطَى مَا لَا يَنَالُ وَيَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ»<sup>(1)</sup>، فحينما يسأل السائل من هو المتكلف؟ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(2)</sup> تكون العلامات الواردة في الحديث هي البيان الشارح لهذه الصفة المكروهة.

وجعل كذلك لكثير من الأشياء أمارات وأشراط وعلامات تعرف بها، وتحيل عليها، وتقرب مضمونها إلى الناس، ومن ذلك ما روي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حيث قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِنَ حَانَ»<sup>(3)</sup>؛ فلا يعرف المنافق إلا بعلامات ثلاث (التحدث بالكذب وإخلاف الوعد، خيانة الأمانة)، إذا اجتمعت فيه وثبتت عليه وعرفه الناس بها صار في عداد المنافقين، فالنفاق معنى غير محسوس، وعصي عن الإدراك، لذلك قرب الرسول صلى الله عليه وسلم مفهومه للناس بتلك العلامات الظاهرة التي تتجسد في تصرفات وسلوكات ملموسة يستطيع الإنسان تمييزها وإدراكها، ويسهل على الناس تمثلها ومن ثمة، اجتنابها اتقاء لشر النفاق.

(1) الزمخشري، الكشاف، ط3، دار الكتاب العربي - بيروت - 1407 هـ، ج4/ص 109.

(2) سورة ص. الآية: 86.

(3) صحيح البخاري. كتاب الإيمان، باب علامة المنافق. رقم: (33).

كما روي عنه صلى الله عليه وسلم في وصاياه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جعل للمؤمن ثلاث علامات، وللمرائي ثلاث علامات، وللمنافق والظالم والكسلان، لكل واحد منهما ثلاث علامات أيضا<sup>(1)</sup>.

إن التكلف والنفاق والإيمان صفات عقلية لا يمكن معرفتها واستيعابها إلا من خلال خصائص وعلامات تكشفها، من حيث إنها تتمثل في أعمال وسلوكات وتصرفات لها آثار محسوسة بإمكان الحواس تبينها، ولا سبيل إلى تمييز المؤمن من المنافق والظالم من المظلوم ولا المجتهد من الكسلان إلا بتلك العلامات الدالة والمميزة.

هذا، ونضيف حديث أشراط الساعة - والأشراط علامات - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَتَّبَتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْحَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزَّيْنُ))<sup>(2)</sup>، واضح أن قيام الساعة لا يعلم أمره إلا الله وحده، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا بعلامات تؤشر على قرب أجلها ومن هذه العلامات ما أورده في الحديث السابق.

تشكل هذه النماذج وغيرها كثير دلائل واضحة على أهمية البيان بمسلك العلامة في السنة المباركة وعلى التوظيف المهم لمنهج الاشتغال بالعلامة وفلسفتها في تقريب المعاني والمقاصد الشرعية.

يقول البيهقي نقلا عن الشافعي رحمهما الله استلهاما لهذا المنهج في التفكير بالعلامة: "فخلق الله لهم العلامات، ونصب لهم المسجد الحرام وأمرهم: أن يتوجهوا إليه. وإنما توجههم إليه: بالعلامات التي خلق لهم،

---

(1) ابن الجوزي. كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات. ط1، تح: نورالدين بن شكري، أضواء السلف 1997، ج 3/ص448.  
(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، رقم: (80). وأخرجه كذلك مسلم في العلم باب رفع العلم وقبضه، رقم: 2671.

والعقول التي ركبها فيهم: التي استدلوها بما على معرفة العلامات"<sup>(1)</sup>. إن العلامة بالنسبة إلى الشافعي تشكل منطلق الاهتمام إلى الحق، ومبعث الاستدلال واكتشاف أسرار الأشياء وخفايا الأمور الغائبة عن الحس؛ إذ بإمعان التأمل وإنعام التدبر في طبيعتها وخصائصها الوجودية نستطيع استحضار ما غاب منها عن الأعيان.

ملاك الأمر، نقول إن منهج البيان بالعلامة عقيدة راسخة في الخطاب الشرعي قرآنا وسنة. لذا، وجب الاقتداء بهذا النحو، وتوسيع النظر وإطالة التأمل في "المصدرين الأولين: كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ليس في أمور التشريع فقط، ولكن في كافة العلوم الدينية والدينية"<sup>(2)</sup>، لأنهما يشكلان أساسا معرفيا بما يمثلانه من كمال اللغة في التعبير، ودقة العلامة في الإيحاء، وقوة الدليل في الرشد، فبوساطة النظام العلاماتي اللساني والوجودي الباني لمعاني الوحي نستطيع فهم ماهية العلاقة الرابطة بين الغيب والإنسان والوجود.

### 3- اللغة العربية والنحو الوجودي الإنساني

#### 3-1- قواعد العربية والمنطق الوجودي

لا يخفى أن الله سبحانه وتعالى اصطفى العربية لأداء مهمة تبليغ رسالته للناس كافة في كل الأمكنة والأزمنة، وهو اختيار ليس فيه مدخل للعبث، بقدر ما فيه من الحق والاستحقاق، بسبب ما في اللسان العربي من خصائص ومقومات قادرة على مساندة الحياة الإنسانية في مسار وجودها الطويل، وقدرتها على الاستجابة لحاجات الإنسان وهمومه وانشغالاته في المجالات كافة.

---

(1) البيهقي، أبو بكر. أحكام القرآن للشافعي. ط2، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، تقديم: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1414 هـ - 1994 م، ج1/ص70.

(2) إسماعيلي علوي، محمد. الألوان في القرآن - دراسة سيميائية نفسية - ط1، 2010، ص7.

بالالتفات إلى التفكير في الحضارة العربية نجد أن لها أسسا معرفية ومنطقية ووجودية عميقة، تنطلق من النحو الوجودي الإنساني الذي يرى العربي الكون من خلاله، ولعلها القوانين والقواعد التي تحكم تصوره للحياة والناس واللغة. فالنحو العربي " نحو يقعد للغة العربية ولحياتك ولمسارك، ويسير وفق فلسفة عربية حكيمة"<sup>(1)</sup>. لم يكن جامعو قواعد النحو العربي في حقيقة الأمر يقعدون للنحو في اللغة، وإنما كانوا يقعدون لمنهج حياة، ونمط عيش تحيا فيه أمة، بل يؤصلون لمنهج صالح للإنسانية جمعاء<sup>(2)</sup>، وعليه، كان مسعى علماء اللغة جمع القوانين والضوابط التي يستقيم في ضوئها اللسان العربي، من حيث إن "استقامة اللسان نحويا هو استقامة الحياة"<sup>(3)</sup>. الأمر الذي دفع أحد الباحثين (نصر حامد، أبو زيد) إلى تلخيص الإفادة في كلمة موجزة حينما عدّ: "الكلام على مستوى التركيب مساويا لمجمل الوجود"<sup>(4)</sup>.

وإذا كان الوجود الإنساني في نظامه ونسقه تحكمه ضوابط كونية، وتتقاطعها أحوال ونوازل تتباين وتتغير مظهرها ومكانا وزمانا وجنسا وعددا وعلاقات وخصوصيات، فإن الوجود اللغوي في العربية يحاكي هذا المنطق الإنساني ويسايره في نمط اشتغاله. ولذلك تصور النحاة نظاما للغة العربية يتشكل من بنية عامة ناهضة في أنساقها واشتغالها على التفسير الوجودي الذي يحيون فيه، فسعوا إلى تعليل القواعد اللغوية انسجاما مع منطق الأشياء الفطرية التي أسس عليها العقل البشري.

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. محاضرات ألقاها على طلاب ماستر الدرس اللغوي والخطاب الشرعي بكلية الآداب بني ملال، موسم (2013-2014).

(2) يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء. الآية: 107)، والرسالة محمولة أو مقدمة للعالمين عبر اللسان العربي، لأنه الأجدر والأقدر والأحق بحملها لما ينماز به من مقومات وخصائص لا توجد في غيره.

(3) إسماعيلي علوي، محمد. محاضرات الفصل الأول من ماستر الدرس اللغوي والخطاب الشرعي (مرجع سابق).

(4) نصر حامد، أبو زيد. إشكالية القراءة وآليات التأويل. ط7، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص97-98.



إن الربط بين الأشياء والوجود والإنسان موطنه العلامة، يظهر ذلك في الاشتغال العلاماتي على مستوى اللغة، وكيف ينسجم التفكير بوساطتها، وكيف يُفهم الوجود المنظور والمعقول عبرها، وتبعاً لهذا المعطى تتحصل من هذه المعادلة علاقة تماثل بين نظام اللغة في علة اشتغاله ونظام الوجود في قانون الحياة.

يقوم النظم في اللغة على مبدأ الإسناد: (مسند ومسند إليه) لبناء المعنى في الجمل؛ فهو يرتكز على "علاقة تفاعل بين ثلاثة عناصر - علامات - هي الذات والحدث والرابطة، أو هي المسند والمسند إليه والرابطة، والوجود بالمثل يقوم على ثلاثة عناصر هي الذات الإلهية الغنية بذاتها والحدث هو العالم كله بكل مراتبه، أما الرابطة التي تربط بين الذات والحدث فهي "الألوهية" أو مجموع الأسماء الإلهية التي تمثل وسيطاً بين الذات الإلهية والعالم"<sup>(1)</sup>.  
يبين هذا الشاهد الاستدلالي بجلاء تلك المعادلة النازمة لقواعد الوجود في اللغة في علاقتها بقوانين الوجود في الحقيقة، وأن الربط بين الوجود والإنسان واللغة والأشياء موطنه العلامة، وعبر العلامة الوجودية ونظامها تستمد اللغة العربية نحوها وقواعدها.

### 3-1-1- قاعدة الرفع والنصب والجر

إذا كانت الحياة في مجملها حركة وانعدامها سكون، فإن الإعراب يحاكي هذا المبدأ على مستوى اللغة بفضل ما يلحق أواخر الكلم من حركات، لأن "الحركات وضعت في أصولهن للدلالة على اختلاف أحوال ما دخلن عليه"<sup>(2)</sup>. معنى ذلك أن الحركات الإعرابية علامات تلحق الأواخر من الألفاظ للدلالة على المعاني.

اضطلعت العلامة الإعرابية بهذه الوظيفة، للتعبير عن حركية اللغة وديناميتها بمختلف مظهراتها التركيبية على مستوى الاسم والفعل والحرف. فهذا ابن جني يرى أن "الحركة زيدت على المعرب للحاجة إليها، ولا حاجة إلى

(1) نصر حامد، أبو زيد. إشكالية القراءة وآليات التأويل. ط7، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص97-98.

(2) شرح كتاب سيبويه، ج1 / ص133.

الحركة في المبني إذ لا تدل على معنى<sup>(1)</sup>، وكذلك الشأن والمثال في أحوال الناس والطبيعة إنما يلحقها التغير والتبدل بما يصادفهم من ظروف وملابسات وأحوال تكون سببا في إصدار ردود أفعال أو سلوكيات أو تصرفات إزاءها. استنارة بهذا المعطى، فإن الفاعل المرفوع والمفعول المنصوب قبل أن يكونا مقولتين نحويتين تجريديتين، فهما قاعدتان وجوديتان حضاريتان بالمنطق الحضاري الإنساني، من حيث إن الإنسان الفاعل في الحياة يرتفع قدره ويرتقي بفاعليته ونشاطه.

يقول الله سبحانه: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(2)</sup>، ويقول عليه الصلاة والسلام: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))<sup>(3)</sup>، وكلما استمر فعل الإنسان وفاعليته تواصل الصعود والارتفاع في سلم الرقي والتقدم الحضاري سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وكلما استكان إلى المفعولية ظل منتصبا في مكانه من دون تقدم ولا نماء، وهو أمر يوازى منطق قاعدة الرفع في الفاعل والنصب في المفعول في النحو العربي. ندعم هذه الفكرة بما جاد به ابن تيمية حينما استقر لديه أن: "المفعول يجب أن يكون دون الفاعل، ويجب أن يكون الفاعل أكمل من المفعول"<sup>(4)</sup>، فطبيعي جدا أن يكون مبرر هذا الكلام أن الفاعل يمارس فاعليته على المفعول، وعليه، لأن الفاعلية مصدرها القوة والقدرة على الفعل، وعلى هذا الأساس كان ارتفاع الفاعل أقوى من انتصاب المفعول.

(1) أبو البقاء العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب. ط 1، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق 1416هـ 1995م، ج 1 / 66.

(2) سورة فاطر. الآية: 10.

(3) روى البخاري في صحيحه عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غَنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ" (صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى. رقم: 1427).

(4) ابن تيمية، تقي الدين. درء تعارض العقل والنقل. تح: الدكتور رشاد سالم محمد. ط 2، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1411 هـ - 1991 م، ج 9 / ص 409.

والمثير للانتباه أنه لما كانت "الحركة تستلزم القوة لإحداثها، وهذه القوة يستلزم وجودها في ذات الفاعل المتحرك، كانت الضمة التي يدل معناها على القوة أولى الحركات التي أعطيت لشخصية الفاعل"<sup>(1)</sup>، ولذلك لما سئل الخليل عن الرفع لم جعل للفاعل؟<sup>(2)</sup>، قال: الرفع أول حركة، والفاعل أول متحرك، فجعلوا أول حركة لأول متحرك<sup>(3)</sup>، لأن حق كل مخبر عنه أن يكون مرفوعا لفظا وحسنا، كما أنه مرفوع معنى وعقلا، ولذلك استحق الفاعل الرفع من دون المفعول، لأنه المحدث عنه بالفعل، فهو أرفع رتبة من المفعول في المعنى، فوجب أن يكون في اللفظ كذلك، لأنه تابع للمعنى<sup>(4)</sup>، وما اختير حركة الرفع علامة للمرفوع إلا لعلو شأنه ورفعة مقامه وانسجام هذه الحركة منطقا وعقلا مع وظيفته النحوية.

تعدد علامات الرفع من حيث الضم والألف في المثني والواو للجماعة وثبوت النون في ما عرف عند النحاة بالأفعال الخمسة وغيرها من القواعد النحوية، وكذلك الشأن في المنطق الحياتي من حيث إنه "لما كانت الحياة (الحركة) بهذا المنظار - أي غير خاضعة للتحديد المطلق لحكمة إلهية - بل متفاوتة الأحوال والمظاهر كان تعبير اللغة عن واقعيتها كذلك"<sup>(5)</sup>؛ إذ تتقدم الشعوب الفاعلة والعاملة بسبب تنوع رافعات التنمية، حيث تتعدد

---

(1) خضير عبيد، عبد الحسن ، الأصل والفرع في النحو العربي، من سيبويه إلى ابن هشام، دراسة نحوية. مؤسسة مصر مرتضي للكتاب العراقي، العراق - بغداد 2009، ص 34.

(2) السؤال نفسه اقترح له فخر الدين الرازي أسبابا تكشف سر ارتفاع الفاعل وانتصاب المفعول: نذكر منها "أن الفاعل واحد، والمفعول أشياء كثيرة، لأن الفعل قد يتعدى إلى مفعول واحد، وإلى مفعولين، وإلى ثلاثة، ثم يتعدى أيضا إلى المفعول له، وإلى الظرفين، وإلى المصدر والحال، فلما كثرت المفاعيل اختير لها أخف الحركات وهو النصب، ولما قل الفاعل اختير له أثقل الحركات وهو الرفع، حتى تقع الزيادة في العدد مقابلة للزيادة في المقدار فيحصل الاعتدال". (مفاتيح الغيب، ج 1 / ص 61).

(3) الزجاجي، أبو القاسم. مجالس العلماء. تح: هارون، عبد السلام محمد، ط 2، مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، 1403 هـ - 1983 م، ص 193.

(4) السهيلي، أبو القاسم. نتائج الفكر في النحو. ط 1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1412 - 1992 م، ص 62.

(5) خضير عبيد، عبد الحسن. الأصل والفرع في النحو العربي، من سيبويه إلى ابن هشام، دراسة نحوية. ص 43.

علامات الازدهار الإنساني بحسب الأسباب الحضارية ومجالات التنمية وتبعاً للإمكانات البشرية الفردية والجماعية كذلك، إذ هناك من الشعوب من ارتفع منحى تطورها بفضل مؤهلاتها البشرية والاقتصادية والذاتية، ومن الشعوب من عقد اتحاداً ثنائياً أو حلفاً جماعياً في مستويات اقتصادية شتى، توحدت على إثرها الإمكانيات لترفع أهلها لمصاف الأرقام المتطورة، ومنهم من اعتمد على ما ثبت لديه من مقومات جغرافية وطبيعية أهلته لينال نصيباً من الرفعة والرقي.

أما من جهة قاعدة المفعول الذي يلزمه النصب إعراباً بسبب عاملية الفعل فيه نجد لها مبرراً في الخلفية الوجودية، حيث يسهم هذا المسوغ في تفسير وجود هذه المقولة في اللغة؛ فالذي يقع عليه فعل الفاعل في الواقع الحياتي يبقى في وضعه متخلفاً لا رفعة ينالها ولا رقي، لأن الأمم التي تظل مستهلكة لإنتاجات الشعوب الفاعلة، وتنتظر أن يقع عليها الفعل أو يغزوها فعل الفاعل تبقى جامدة منصوبة مثل النَّصْب الثابتة، أو يلحقها التعب والنَّصْب، لذلك فهي لا تتقدم ولا تتطور وتظل معلقة في مسارها النمائي.

نستطيع القول إن الفاعل هو من ينصب الهدف، ويجعل نصب عينيه موضع وقوع الفعل أو تنفيذه، وهذا الهدف المنصوب هو المفعول، وبذلك يكون الأثر حاصلًا بفعل الفاعل. يقول الرازي: "مراتب الموجودات ثلاثة: مؤثر لا يتأثر وهو الأقوى وهو درجة الفاعل، ومتأثر لا يؤثر وهو الأضعف، وهو درجة المفعول، ويتأثر باعتبار وهو المتوسط وهو درجة المضاف إليه<sup>(1)</sup> .

لقد استمد الرازي قاعدة التأثير والتأثر من سنة الله في الكون، لأن هذه المراتب موجودة في الواقع المنظور المائل للعيان بالتوازي مع الواقع المنطوق أو المسطور، أي: في الوجود الواقعي والوجود اللغوي معاً، فعامل القوة في منطق

---

(1) الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. ط 3، دار إحياء التراث العربي - بيروت - 1420 هـ، ج 1/ ص 61.

الوجود الإنساني يعطي صاحبه أفضلية في القيادة والتأثير، بينما عامل الضعف لا يسعف صاحبه إلا في التأثير والتبعية.

لا نكاد نجد لهذا النموذج المنطقي الوجودي أثرا إلا في اللغة الإعرابية، والعربية أقوى اللغات إعرابا وأشهرها على الإطلاق "مما يجعلها بحق لغة إنسانية بامتياز، إنسانية في حياتها وتوالد كلماتها وتتابع أساليبها، وإنسانية في قدرتها على التعبير ومحاكاة الواقع الحقيقي والفعلي للمخلوق البشري"<sup>(1)</sup>. محاكاة نقف على آلياتها ودواليب اشتغالها في المنطق الداخلي للغة العربية بفضل نسقها النظامي المميز.

أما بخصوص حركة الجر أو الخفض في الإضافة والأسماء المجرورة بالحروف وغيرها فإن مبعثها قاعدة التبعية التي مفادها أن الجار يؤثر في المجرور ويُخضعه لقوته، فيكون تابعا له، إضافة إلى أن الخفض يستوحي مدلوله مما سفله من الفضاء أو الأرض ﴿رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾<sup>(2)</sup>. إن الأحداث التي تسبب الحسرة والانكسار -مثلا- تجعل المرء يخفض رأسه إلى الأسفل حزنا أو ندمًا، كما أن الكسر يجعل الجزء المكسور يتدلى إلى الأسفل أو يسقط بعد أن يفقد صلابته وقوته. وتستمد معاني الجر والكسر في اللغة منطقتها من هذا الوعي الوجودي للأشياء والأحوال؛ فحركة (الكسرة) موقعها في الأسفل خطأ، ولتحقيق الكسرة في الحرف المكسور على مستوى الخصائص النطقية يجب على الناطق خفض الفك السفلي عند النطق، والمجرور في اللغة العربية متعلق بالجار من حيث إن الحركة التي يأخذها الاسم المجرور أو المضاف إليه تكون بسبب حرف الجر أو الإضافة، وذلك لأن حرف الجر (العامل) يحدث تغييرا في الحركة الإعرابية للمجرور (المعمول)، فعلى هذا المساق في الجر أو الخفض ترتبط العلامات اللسانية في قاعدة الجر.

(1) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية.

(2) سورة فصلت. الآية: 29.

### 3-1-2- قاعدة الابتداء والإخبار

تستمد قاعدة الابتداء والإخبار<sup>(1)</sup> في النحو العربي مبدأ اشتغالها من فلسفة الحياة الإنسانية في الوجود، فمن شروط المبتدأ في اللغة أن يكون معرفة، لكن لم شرط التعريف فيه؟ طبعاً، لأنه يحتاج إلى خبر، والخبر إسناد والإسناد حكم، والحكم يقتضي معرفة من سيقع عليه الحكم أو المحكوم عليه، لأنه لا يصح منطقياً وجود جسم إلا وله حكم، ولا شك في أن الحكم يأتي ثمرة التصور والإدراك، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يصح هذا الحكم إلا للمعنى، حيث إن الأحكام في الواقع المعيش - كيفما كانت طبيعتها قضائية أو تقييمية... - لا تصدر إلا في حق من هو معرفة لدى الحاكم، لأنه لا يمكن الحكم على المجهول أو المعدوم، وكذلك الأمر إذا نظرنا في عالم الأجسام اللغوية إذا وجدت مجتمعة مؤلفة وفق نسق قواعدي مقبول كان لها حكم (إعراب)<sup>(2)</sup>.

ولهذا المسوغ يقول سيبويه: "لا يستقيم أن تحبر المخاطب عن المنكور (...). ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس، وهو النكرة"<sup>(3)</sup>، لأن كل محبر عنه مقدم في الرتبة<sup>(4)</sup>، ولا يمكن للعقل استيعاب فائدة الإخبار أو الوصف في حق شيء غير معروف ولا محدد، لأن "العلم بصفة الشيء وحكمه فرع على العلم بذاته"<sup>(5)</sup>، ولأن وجود الشيء أولاً يترتب عليه الحكم والصفة، ولا يمكن عقلاً قلب القاعدة، لذلك تبتدئ بالاسم ثم تصفه<sup>(6)</sup>، من منطلق أن الحكم على

(1) يقول ابن مالك في الألفية:

وَرَفَعُوا مُبْتَدَأً بِالْأَيْدِي \* كَذَلِكَ رَفَعُ خَبَرٍ بِالْمُبْتَدَأِ

وَالْخَبَرُ الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الْقَائِدَةُ \* كَاللَّهِ بَرُّ وَالْأَيْدِي شَاهِدَةٌ

(2) مقبول، إدريس. سيبويه معتزلياً، حفريات في ميثاقينقا النحو العربي. ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015، ص105 - 106.

(3) سيبويه، الكتاب. ج1/ص48.

(4) السهيلي. نتائج الفكر، ص312.

(5) القاضي، عبد الجبار. المحيط بالتكليف. تح: عمر السيد عزمي، مراجعة فؤاد الأهواني. الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص21.

(6) سيبويه. الكتاب. ج2/ص29.

الشيء أو الإخبار عنه أو وصفه لا يجوز أن يتقدم على الموصوف في ذاته ووجوده، فالصفة تابعة والموصوف متبوع، يقول أبو البقاء العكبري: "النكرة تقع على الأشياء المجهولة وعلى المعدوم والموجود والقديم والمحدث والجسم والعرض، كقولك (شيء) و(معلوم) و(مذكور) و(موجود)، فإذا أردت إفهام معنى معين زدت على ذلك الاسم الألف واللام أو الصفة وما لا زيادة فيه سابق على ما فيه زيادة"<sup>(1)</sup>.

لا شك أن هذا الفهم يعضد فلسفة اشتغال المنطق الوجودي في اللغة، إذ إن ماهية الشيء تعرف بما يزداد عليه من علامات: تعريفاً، أو تسمية، أو وصفاً، أو غير ذلك، ولهذا، فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ وأن تكون النكرة الخبر، لأنك "إذا ابتدأت فإنما قصدك تنبيه السامع بذكر الاسم الذي تحدثه عنه ليتوقع الخبر بعده، فالخبر هو الذي ينكره ولا يعرفه ويستفيده، والاسم لا فائدة له لمعرفته به، وإنما ذكرته لتسند إليه الخبر"<sup>(2)</sup>، فكأنما المخاطب بعد سماعه الاسم المبتدأ يشحذ ذهنه متوقفاً بالحكم أو الخبر المتعلق بهذا الاسم (المبتدأ)، بحكم أنه يحمل معلومات لم يكن يعرفها عنه، بينما يعرفه هو في ذاته، لذلك، كان تقديم المعرفة على النكرة مسألة يقبلها العقل ويستسيغها المنطق.

### 3-1-3 قاعدة إعراب المضارع

نضيف إمعاناً في تزكية منطق القواعد الوجودية في اللغة ما يعرف بقاعدة إعراب المضارع، حيث نجد لها محاكاة معقولة في النسق الوجودي الإنساني، إذ الفعل المضارع حينما لا تدخل عليه سوابق ناصبة أو جازمة يكون مرفوعاً، وذلك لأن الفعل يكون في طور الإنجاز، أي: إنه فعل في طور الحدوث أو في حالة تنفيذ فعليته.

(1) العكبري. أبو البقاء. اللباب في علل البناء والإعراب. ج1/ص471.

(2) ابن السراج. الأصول في النحو. ج1/ص59.

لا يخفى أن الغاية من إنجاز الفعل في سنة الحياة هي الإضافة المرجوة منه، أو تجويد ما هو كائن، أو تحسينه من أجل تحقيق الإصلاح ونيل الفلاح. ومن ثمة، تحقيق رافعة التنمية والارتقاء في سلم التطور الحضاري، ينعكس هذا المنطق في قاعدة رفع الفعل المضارع؛ فحينما نقول: (يصنعُ) أو (يقرأُ) -مثلا- فإن فعل الصناعة والقراءة يكونان مزاولين، أي في إطار الممارسة والتنفيذ، ولذلك أخذنا علامة الرفع التي تدل على الحركية والحياة ومباشرة العمل. بينما إذا دخلت الجوازم أو النواصب على الفعل المضارع، فإنه يأخذ إما حركة السكون، أو حركة النصب؛ والسكون توقف وتعطيل، والنصب ثبات وتعليق وبقاء على الحال نفسها، وهي علامات تترجم عدم وقوع الفعل فعلا وإنجازا؛ أي: إن الحدث لم يحصل بعد، فعندما نقول: (لم يكتبْ)، و(لا تكتبْ)، و (لما تكتبْ)، (لتكتبْ)؛ فالفعل هنا لم يقع بعد، أو هو في حال موقوفة التنفيذ، أو دال على انتهاء إمكانية وقوعه، ولذلك أخذ حركة الجزم التي تومئ إلى توقف واحتباس فعلية الفعل. كذلك الشأن عندما نقول: (لن تخرجْ)، (لن تذهبْ)، فذهابك غير متوقع حسب نسبية الزمان الذي نُفي فيه الفعل، بل سيبقى فعل الخروج أو الذهاب معلقا من دون حصوله إلا إذا زال المانع أو تغيرت شروط المقام ودخلت عوامل مؤثرة. ولا شك أنها معان ترصدها دلالات النصب التي توجت نهاية الكلمة.

بهذا المسلك في الفهم، يكون النحو منطقا وجوديا إنسانيا، يشتغل وفق سنة الوجود، وبما أن اللغة ترتكز على عُمَد المنطق بوصفها جهازا له ارتباط وثيق بالفكر، وبالفكر نبحت في اللغة وبها، فإنها تسعى لأن تكون منطقية لتفسير علاقة الإنسان بالوجود، ولذلك تسعى إلى نسج الكلام على منوال المنطق الإنساني في وجوده، حتى إن الفيلسوف ديكارت جعل التفكير علامة على الوجود الإنساني.



### 2-3- منطلق الأصل والفرع في النحو العربي

#### 3-2-1- الأصل والفرع وقواعد النحو

يمكن القول إن أصل الشيء هو أوله؛ أي: إن "الأصل أس ليس تحته شيء يُرَدُّ إليه"<sup>(1)</sup>، وتتفرَّع عن الأصل فروع؛ لكل منها خصائص مميزة، ولكن لا مناص لها من علامة فارقة عن الأصل وعن باقي الفروع الناشئة. استلهم نحاة العربية هذا القانون الوجودي من أجل بناء تصورهم إزاء نظام النحو العربي، فنجدهم يصفون أبوابه بأنها عبارة عن أصول وفروع؛ بمعنى أنها بنية منظمة من العلامات المنسجمة والمتكاملة، ولكل منها علامة ورتبة وخصائص.

تكاد قضية الأصل والفرع تتحكم في تفاصيل النحو العربي كلها، فلا نكاد نجد قاعدة أو مسألة نحوية إلا وترتبط ارتباطا مباشرا أو غير مباشر بمنطق ثنائية الأصل والفرع. إنها ثنائية تستمد قوتها وشرعيتها من كونها قاعدة وجودية أولا قبل أن تكون قاعدة لغوية.

تشكل نظرية الأصل والفرع بوصفها ثنائية متلازمة<sup>(2)</sup> أساسا معرفيا ووجوديا تتركز عليه عُمد التأصيل القواعدي في النحو العربي، وذلك أن مصدر فكرة الأصل والفرع هو عقيدة التوحيد في الدين الإسلامي؛ فالله سبحانه وتعالى أصل كل شيء، وهو خالق الوجود، وبديع الكون، حيث يغدو هذا الكون أصلا من الأصول الدالة على وحدانيته، وما العالم الشاهد إلا أشياء أوجدها الله وفق سنة وجودية مبدؤها أصل ثم بعده فرع؛ إذ لكل

---

(1) الدكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق).

(2) متلازمة، لأن هوية الفرع تُستمد من وجود الأصل، ودوام الأصل يقتضي واستمرار الفرع.

شيء في هذا الكون جذر و(أصل) منه وعنه تتفرع (الفروع)<sup>(1)</sup>، ولذلك لجأ العلماء إلى استمداد هذا المنطق الرباني في الوجود للتقعيد للنحو العربي وتبرير مقومات اشتغاله.

يعد المذكر في النحو أصلاً، والمؤنث فرعاً عنه<sup>(2)</sup> بما يحاكي الجنس الإنساني ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾<sup>(3)</sup>، ويُحسب التنكير أصلاً والتعريف فرعاً<sup>(4)</sup>؛ فأى شيء يكون في البداية نكرة، لكن بعد تخصيصه بعلامة أو سمات مميزة يدخله التعريف ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾<sup>(5)</sup>، وكذلك الجمع فرع عن المفرد<sup>(6)</sup> ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>(7)</sup> والاسم أصل<sup>(8)</sup> والفعل فرع عنه<sup>(9)</sup> ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾<sup>(10)</sup> وغير ذلك مما أدرج في هذا المضمار من أبواب ومباحث، من مثل أن الأصل للإفراد والتركيب فرع<sup>(11)</sup> والإعراب أصل في الأسماء والصرف أصل وغير المصروف فرع والإظهار أصل والإضمار فرع... إن المسوغ الذي على أساسه

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية (مرجع سابق).

(2) يقول سيبويه: "واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول، وهو أشد تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير" (الكتاب، ج1/ص22). ينظر كذلك: (العكبري، أبو البقاء. اللباب في علل البناء والإعراب. ط1، تح: النبهان، عبد الإله. دار الفكر - دمشق، 1416 هـ 1995 م، ج1/ص117)، و(الأسترابادي، ركن الدين. شرح شافية ابن الحاجب. ط1، تح: عبد المقصود محمد عبد المقصود. مكتبة الثقافة الدينية، 1425 هـ - 2004 م، ج1/ص452).

(3) سورة الحجرات. الآية: 13.

(4) ابن يعيش، بن علي. شرح المفصل شرح المفصل. ط1، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1422 هـ - 2001 م، ج3/ص352.

(5) سورة الرحمن. الآية: 41.

(6) الأنباري، أبو البركات. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط1، 1424 هـ - 2003 م، ج2/ص664.

(7) سورة الأنعام. الآية: 94.

(8) نسجل أن هذا الرأي يخض المدرسة البصرية، بينما أهل الكوفة يعتبرون الفعل أصلاً، والمصدر فرع عنه.

(9) الأنباري، أبو البركات. الإنصاف في مسائل الخلاف، ج2/ص542.

(10) سورة البقرة. الآية: 31.

(11) الأنباري، أبو البركات. الإنصاف في مسائل الخلاف. ج1/ص245.

يتحدد الفرع من الأصل علاماتي؛ إذ الأصل جُلو من العلامة والفرع يحتاج إلى علامة.

يقول ابن مالك في شرح التسهيل: "التعريف نظير التأنيث في الفرعية، فاشتركا في استحقاق علامة، والتنكير نظير التذكير في الأصالة، فينبغي أن يشتركا في الخلو من علامة. فإن وضع للتنكير علامة فحقها أن تنقص عن علامة التعريف، تنبيهها على أنه أحق بالعلامة لفرعيته وأصالة التنكير"<sup>(1)</sup>، نفهم من ذلك أن الأصل يعد علامة بنفسه أو بأصالته، بينما الفرع يحتاج بالضرورة علامة تميزه وتعين فرعيته، وهي الفكرة التي نؤكد بها بكلام ابن يعيش بقوله: "ولما كان المذكر أصلا، والمؤنث فرعا عليه؛ لم يحتج المذكر إلى علامة؛ لأنه يفهم عند الإطلاق، إذ كان الأصل، ولما كان التأنيث ثانيا، لم يكن بد من علامة تدل عليه"<sup>(2)</sup>.

تعد فكرة الأصل والفرع ركنا من الأركان التي تصدر عنها الدراسة النحوية، وتتحكم في حركة المستويات النحوية من معجم وصرف وأصوات وتركيب ومعنى<sup>(3)</sup>، يقول ابن جني "واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه، وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وأنه منها على أقوى بال"<sup>(4)</sup>.

يظهر من كلام ابن جني أن العرب الأوائل<sup>(5)</sup> كانوا على وعي عميق بالحكمة من وجود مبدأ الأصل والفرع في كلامهم، ولقد برزت قوة عنايتهم بهذا الأمر لما وجدوا في استعماله من منطق وعقلانية لا يمكن نقضها

---

(1) ابن مالك، جمال الدين. شرح تسهيل الفوائد. ط1، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1410هـ - 1990م، ج1/ص 257.

(2) ابن يعيش. شرح المفصل، ج3/ص 352.

(3) بودرع، عبد الرحمان. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، مجلة الفيصل، العدد 190، أكتوبر 1992.

(4) ابن جني. الخصائص. ج1/ص 112.

(5) نقصد بهم المتكلمون الأصليون قبل علماء النحو واللغة.

إطلاقاً، لأن المتكلم الأصلي للعربية كان يستعمل اللغة وهو على وعي تام لم جعل هذا اللفظ على ذلك المعنى، ولم جعل ذلك على هذا، وهذا دليل على إدراك وجودي ووعي منطقي لدى العربي إزاء لغته.

من هنا، عقد النحاة الدرس اللغوي على أساس الأصول والجوامع والكليات ثم القواعد والفروع والجزئيات، وشرعوا في تعليل نظام الاشتغال حتى لو خرجت استثناءات زاغت فيها مباحث الفروع عن أبواب الأصول، أو حصل شيء من التباين بين الأصول النحوية والفروع، أو ما سمع عن العرب فهو تباين شكلي يفسر بما يحفظ للأصل أصالته، ولا يقدر بالفروع أو المسموعات بل يستوعب دليلاً على السعة أو التخفيف أو ما شابهه<sup>(1)</sup>، ويرد بفتنة الصنعة وفراصة العلة إلى حكمة المعرفة اللغوية التي نشأت في ذهنية متكلميها في إطار نظام دقيق ومتجانس.

### 3-2-2- الجذر الاشتقائي

تقوم ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية على تفرع أصل (جذر) إلى فروع (مشتقات) وفق قانون: (الأصل والفرع)؛ إذ تستمد المشتقات هويتها اللغوية من جذر واحد هو الأصل، تعود إليه الكلمة في جميع تصريفاتها، أو حينما تخضع لما يسميه عبد الرحمان الحاج صالح "العمليات التحويلية"<sup>(2)</sup>، وبذلك تنشأ الفرعية بحضور علامات تقتصر على الحروف الزائدة أو المحذوفة أو المقلوبة وغيرها... وهكذا تتفرع الأصول وتنحدر عن فروعها فروع أخرى، تتولد منها، ويظل الأصل ثابتاً والفروع منتسبة إليه متشكلة منه عن طريق أداة من أدوات تشكيل الفروع<sup>(3)</sup>. إن طريقة توالد الكلمات في العربية تسير وفق معطى وجودي<sup>(4)</sup>، أي: إنها تحاكي مسلك التوالد

(1) الملمخ، حسن خميس. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص 133.

(2) الحاج صالح، عبد الرحمان. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. ص 321.

(3) بودرع، عبد الرحمان. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، مجلة الفيصل. العدد 190. عام 1992.

(4) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية ووجودية.

والتعالق بين الأصل والفرع في الكائنات الحية في الوجود، يظهر ذلك جليا في المنحى الوراثي عند الإنسان في كثير من تفاصيله. يقول محمد إسماعيلي علوي: "فالأبناء في كل أسرة من أصل واحد (أب وأم) وكل ابن - وإن كان يحمل الجينات الوراثية نفسها التي يحملها باقي إخوته والتي تنسبه بيولوجيا إلى أمه وأبيه - فإنه يختلف كيانا وشكلا وطريقة في التعبير والتصرف والكلام.. عن باقي إخوته"<sup>(1)</sup>؛ إذ وفق هذا المنوال تسير الكلمات المشتقة من جذر واحد في العربية، حيث تحمل جينات معنوية مشتركة تنسبها إلى الجذر الأصلي، لكنها تختلف صوتا وبناء وصيغة وتركيبا عن بعضها البعض. نضرب مثلا في عقب هذا الادعاء؛ فلنلجأ -تمثيلا وليس حصرا- إلى قضية الجذر اللغوي الذي يعد أصلا لأبنية تتفرع عنه، وتظل محافظة على حروفه الأصلية التي انبثقت منه، فالكلمات: (عَلِمَ)، (عَلَّمَ)، (عَلَّم)، (عَلِمَ)، (عَلَّمَ)، (عَلَّم)، (تَعَلَّمَ)، (تَعَلَّم)، (مُعَلِّم)، (مُعَلِّمَة)، (مُعَلِّمَة)... كلها صيغ اشتقت من الجذر (ع، ل، م)، وحافظت جميعها على المعنى العام الذي يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره<sup>(2)</sup>، ومع ذلك، تظل كل صيغة منها مستقلة بمعناها المخصوص الذي بناء عليه يتم توظيفها في الجمل والتراكيب.

اللافت أنه سواء حافظ الجذر على ترتيبه الأصلي أو اختل ترتيب الحروف تظل التقليلات المتفرعة عنه في ما يعرف بالاشتقاق الأكبر<sup>(3)</sup> تحمل شيئا من المعنى الذي يرجع إلى الأصل بمسوغ أو بآخر، تماما، كما هو الأمر في مجال الوراثة الإنسانية التي تظل فيها شجرة الأنساب تتشعب وتتفرع وتختلط بأنساب أخرى، لكن الفروع المنبثقة عن أصل ما يبقى الخيط الناظم لتسلسلها مرتبنا بموثرات تسود أو تنتجى حسب البعد أو القرب من أصل

(1) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية ووجودية.

(2) ابن فارس، أحمد. مقاييس اللغة، ج4/ ص109.

(3) يقول "وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك "عنه" رد بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد" (الخصائص، ج2/ ص136).

النسب المنسولة منه، فما يمكن أن "يعد فرعاً قد يصير أصلاً يستأنف منه فينفرع عنه ما يتفرع بتدرج يصعد حسب قوة أو ضعف محامل الكلمة النحوية، والفرع مبني طارئ، ومن ثم عاد مفتقراً إلى علامة يمتاز بها عن أصله<sup>(1)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإن التععيد في النحو العربي يستوحي أسسه من منطق الوجود، حيث ينشأ الفرع (المشتق) بهوية علامائية مخصوصة تميزه من غيره من دون انفكاكه القاطع عن الأصل (الجذر اللغوي)، ويظل يحمل بعضاً من السمات المعنوية التي توجد في أصله الذي تفرع عنه، إذ "رغم أن الأصل ليس هو الفرع من حيث الشكل والجوهر والوظيفة، إلا أن الفرع لا يخرج عن دائرة الأصل"<sup>(2)</sup>. إن هذا المعطى يعد من المقومات الأساسية التي توفر للغة العربية أسباب الدوام والاستمرارية في الحياة.

### 3-3- منطق الأفراد والمثنى والجمع

((ففي كل نفس سوية ميل للشعور بالفردية المتميزة، بالكيان

الذاتي، وميل مقابل للاندماج في الجماعة والحياة معها وفي

داخلها، ومن هذين الميلين معاً تتكون الحياة))

محمد قطب (دراسات في النفس الإنسانية)

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ

مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾<sup>(3)</sup>.

(1) الذكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق).

(2) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية (مرجع سابق).

(3) سورة البقرة. الآية: 282.

تشير الآية الكريمة، بوضوح ظاهر، إلى أهمية قانون الأفراد والتثنية والجمع في وظيفة التعبير عما يحيل على الأشخاص المعنيين وأفعالهم، وذلك من خلال توظيفها أدوات لسانية مختلفة توافق كلا من المفرد والمثنى والجمع. لذلك فاللغة التي تستطيع أن تمكن المتكلم اللغوي من أدوات التعبير، ومن خلق علاقات مترابطة ومنسجمة بين الألفاظ والموضوعات في العالم الخارجي هي اللغة التي تستطيع أن تدوم أكثر، لأنها تنسجم مع السنن الكونية ومع منطق الأشياء<sup>(1)</sup>.

### 3-3-1- الأفراد والتفرد

استمدت ظاهرة الأفراد في اللغة العربية منطقتها من القواعد الوجودية في الكون، فهي قاعدة أساسية في بناء المعنى وتحديد الفروق اللغوية بين أبنية الكلمات من حيث الأفراد والتثنية والجمع، لكنها قبل أن تكون قاعدة نحوية فهي قاعدة سابقة في الوجود. كيف ذلك؟ يعد الفرد عنصراً قائماً بذاته، لا يشاركه في سماته وخصائصه المميزة لفرديته أي شيء آخر؛ سواء كان هذا الشيء الفرد مادة جامدة أو كائناً حياً، وما سُمي الفرد فرداً إلا لتفرده بما جعله مستقلاً عن باقي الأفراد، فلكل واحد من البشر كيانه المتفرد وشعوره الشخصي وجوهه الذاتي، به يوجد وبه ينماز عن باقي بني نوعه، بل به يحيا، وعليه يبعث في الآخرة ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾<sup>(2)</sup>.

يعني مبدأ الفردية في ما يعنيه أن "لكل شيء صورة وجوهراً وشكلاً يميزه عن غيره من الموجودات من بني جنسه"<sup>(3)</sup>، يتضح هذا المعنى بشكل جلي في الكائن البشري؛ حيث يكون لكل فرد مميزات بيولوجية لا نظير لها

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودية والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة-، ص 38، (مرجع سابق).

(2) سورة مريم. الآية: 95.

(3) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية (مرجع سابق).

عند غيره، إذ لكل شخص مقوماته البدنية والنفسية والشعورية الخاصة، لأنه قد ثبت علمياً أن بصمة اليد -مثلاً- علامة خاصة بكل إنسان في هذا الوجود، يستحيل أن تجد مثلها عند واحد من أكثر من ستة مليارات من البشر الموجودة في العالم، ثم بصمة الأذن واللسان والعين والصوت... وغيرها من المؤهلات العقلية والجسدية التي يتفرد بها كل فرد عن غيره.

من جهة أخرى، يتجلى أس الفردية أيضاً في الأجسام الجامدة التي تمثل جزءاً كبيراً من مادة هذا الكون، فالمادة تتكون من مجموعة من العناصر الكيميائية، حيث يتشكل كل عنصر من جسيمات صغيرة جداً تسمى الذرات، هذه الأخيرة تعطي للجزيئات التي تتكون منها المادة طبيعتها الخاصة؛ فجزئته الماء - مثلاً - التي تشكل نسبة 70% من سطح الأرض تتكون من ذرتين: ذرة الهيدروجين وذرة الأكسجين رمزها الكيميائي  $H_2O$ ، لا يمكن إطلاقاً أن نعثر على مادة أخرى في الطبيعة تتكون من هذا التركيب الكيميائي وتسمى شيئاً آخر غير الماء. إن التفرد "خاصية في كل الأشياء التي تنتمي إلى نفس الجنس أو النوع، وبه يتميز، لونا كانا أو شكلاً أو صوتاً أو غيرها من المميزات التي تكون بارزة وتعطي للشيء تميزه"<sup>(1)</sup>، معنى ذلك، أن التفرد هو السمة المسؤولة عن تحديد ماهية الفردية للشيء أو الشخص.

من ههنا، تكون العربية قد احترمت مبدأ الفردية في التعبير، حينما جعلت للواحد أبنية تعبر عن فرديته: (فاعل، فاعلة، مُفعل، مفعال...)، وضمائر تحترم خصوصيته: (أنا، أنت، أنتِ، هو، هي...). وإحالات إشارية تستجيب لتفرده: (هذا، هذه، ذلك، تلك...)، وغيرها من الأدوات اللغوية والوسائل اللسانية التي تناسب الوجود

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية (مرجع سابق).



الفردى فى اللغة. وبذلك تكون العربية فى نحوها قد ارتكزت على واحد من الأصول المنطقية والوجودية فى الكون وهو الفردية والتفرد.

### 3-3-2- المثنى والتثنىة

لما شاءت إرادة الله أن يكون الأفراد أصلا فى الكون، خلق آدم كيانا بشريا له صورته وجسده وغرائزه الخاصة. ولكن آدم لا يستطيع بمفرده حفظ النوع الإنسانى، ودوام استمراره فى الحياة، لذلك خلق الله من نفس آدم زوجا (حواء) يسكن إليها، ليقع الاكتمال بين الذاتين، فينشأ عن هذا الاكتمال تعدد وكثرة<sup>(1)</sup>. وبذلك كانت الثنائية الأولى أصلا للجنس البشرى، ثم تفرع من بعدها كثير من الناس.

لم يكن أمر الزوجية أو الثنائية فى الوجود الطبيعى مقتصرًا على النوع الإنسانى فقط، بل الوجود كله قائم على مبدأ الثنائية فى مادته الحية والجامدة، تتكون ذرة الماء -مثلا- الذى يمثل المصدر الأول للحياة من زوجين من الشحنات: شحنة: (الإليكترون) السالبة وشحنة: (البوزيتون) الموجبة، أكثر من ذلك، تتكامل ثنائية الأوكسجين والهيدروجين بوصفهما ذرتي جزيئة الماء سلبا وإيجابا، حيث يعد الأوكسجين عنصرا سالبا، والهيدروجين عنصرا موجبا، هذا التفاعل الثنائى القطب هو الذى أنتج مادة الماء.

تقتضى القواعد الفيزيائية فى الوجود، بالضرورة، وجودَ طرفين أحدهما موجب (أصل) وثانيهما سالب (فرع)، وتكاملهما هو الذى تتولد عنه طاقة جديدة أو شيء جديد<sup>(2)</sup>. فلا يمكن إذن، تصور الأشياء من دون قاعدة المادة/ المادة المضادة؛ معنى ذلك أنه لا يمكن وجود إحداهما من دون وجود الأخرى.

(1) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية (مرجع سابق).

(2) إسماعيلي علوي، محمد. محاضرات مادة النحو وتطبيقات نحوية (مرجع سابق).

نضيف إلى ما سبق، أن الحمض النووي (ADN) الذي يعد الشفرة التي تحمل الخصائص الوراثية لأي خلية حيوانية يتشكل من لولب مزدوج؛ إذ بوساطة هذا الشريط الزوجي يبدأ انقسام الخلية إلى خلايا مضاعفة متكاثرة، ومن ثمة، ينمو النسيج في صورته الحية الكاملة حاملا لخصائصه الجينية المتوارثة المنقولة عبر الأجيال. لذلك، نجزم أن الوجود كله قائم على أساس الثنائية أو الزوجية، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(1)</sup>، والشيء يدخل فيه الحي والميت (الجامد).

الجدير بالذكر في هذا الصدد، أن الثنائية عنصر حاسم في إدراك الحقائق والأشياء وتمثلها في الحياة، وتبدو فعاليتها في الوعي المعنوي أو الإدراكي للوجود؛ إذ تسعف في استيعاب المفاهيم وتمثلها ذهنيا بالارتكاز على المغايرة أو التضاد؛ مثل: الإصلاح/ الفساد؛ الحق/ الباطل؛ الشعور/ اللاشعور؛ الخير/ الشر؛ الدنيا/ الآخرة وغيرها من الثنائيات التي يحفل بها المعجم الذهني.

إن ارتباط اللغة العربية بهذا الأساس جعلها تكتسب كثيرا من القوة والصمود في الوجود التواصلية، فلمثنى في العرف النحوي العربي قبل أن يكون قاعدة نحوية فهو "قاعدة وجودية وبيولوجية وطبيعية، تعود لأصل خلق الكون والناس"<sup>(2)</sup>، وعلى هذا الأساس وجدت العربية لنفسها موطئ قدم راسخة في الدوام والاستمرارية، فهي اللغة الأكثر احتراما لمنطق التفكير إزاء الوجود الإنساني، لأنها وضعت لعامل الثنائية أدوات تعبيرية قل ما نجدتها في لغات أخرى معروفة مثل الإنجليزية والفرنسية على الأقل.

لقد انفردت اللغة العربية بمنح المثنى إحالات ضميرية خاصة: (ها/هما)؛ (أنتما/أنتما)، ومنحته إحالات إشارية

---

(1) سورة الذاريات. الآية: 49.

(2) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية (مرجع سابق).

وموصولة: (هذان/هاتان/ذانك/تانك)؛ (الذان/التان)، من دون أن نغفل لفظي التوكيد (كلا/كلتا)، بينما الفرنسية والإنجليزية أدمجت هذه الوسائل اللسانية في الجمع: (Ils) / (they)؛ (ces /celles /ceux ) (these) /those؛ أو في الأفراد: (qui /who).

إن قوة مواكبة اللغة العربية سنة الكون في الوجود والأشياء جعلت محمد إسماعيلي علوي يقتنع - ونحن نشاطره هذا الاقتناع - بأن "اللغة العربية هي الوحيدة التي تستحق أن تعتبر اللغة الإنسانية بامتياز، لأنها تسائر أمر الله ومشية الله ورغبة الله في خلقه. لذلك نجد فيها ضمائر المفرد لتطابق مبدأ الفردانية، وضمائر المثني لتطابق مبدأ الثنائية، وضمائر الجمع لتطابق مبدأ الجماعة"<sup>(1)</sup>.

ما يرجح وجهة هذا النظر هو أن له مبررات إسقاطية على مقولة ثنائية الخلق في الوجود، حيث إن الحرف<sup>(2)</sup> في العربية لا يحمل معنى في نفسه، بينما إذا تثنى بحرف آخر نحصل على معنى ما، وهو الإيمان الذي نجد له موقعا في تصور أصحاب النظرية الثنائية<sup>(3)</sup> في الجذور العربية، فضلا عن أن كثيرا من المعاجم العربية<sup>(4)</sup> ابتدأت باقتضاب أو

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية (مرجع سابق).

(2) المقصود بالحرف؛ الحروف الألفبائية العربية.

(3) الثنائية: نظرية لغوية معاصرة. يقول مرجى الدمكي في ما نقله توفيق محمد شاهين: الثنائية Bilatéralisme هي النظرية القائلة بأن (الأصول) في العربية، وكذلك الحال في أخواتها السامية ليست الألفاظ ذوات الحروف الثلاث، بل ذوات الحرفين، إذ من شأن الثلاثيات أن ترد إلى الثنائيات (توفيق محمد شاهين، أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية، مكتبة وهبة، دار الضمان للطباعة، القاهرة، ط1، 1980، ص 29). ومن أبرز أعلامها: أحمد فارس الشدياق (سر الليال في القلب والإبدال) واليازي وجرجي زيدان (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية) ومرجى الدومنيكي (المعجمية العربية في ضوء الثنائية والألسنية السامية)؛ (معجميات عربية سامية) والشيخ العلايلي (مقدمة لدرس اللغة العربية) وإلياس عطا الله (الأثول الثنائية في العربية) وأمين فاخر (ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية، وعلاقتها بالأصول الثنائية)...

(4) وجدنا أن كلا من الخليل في عينه وابن دريد في (جمهرة اللغة) والأزهري في (تهذيب اللغة) وأبو علي القالي في (البارع) وابن سيده في (المحكم والمحيط الأعظم) قد بدؤوا بالثنائي.

بإسهاب بأمر الجذر الثنائي في الكلام العربي، وحافظت القواميس العربية على ثنائيات قديمة، منها أسماء الأسرة: أب، أم، أخت، ابن، بنت، حم، وكذلك: يد، دم، كف، شفة، لثة...

يقول جرجي زيدان: "إن الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها ترد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية (أحادية المقطع) تحاكي أصوات الطبيعة، وتشتمل هذه الألفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منهما، واللغويون يردون كلا من الاسم والفعل إلى أصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية، ولا يرون هذه الأصول قابلة للرد إلى أقل من ذلك، وعندني أنها قابلة ولو بعد العناء"<sup>(1)</sup>، فالكلام هنا إن لم يكن قطعياً فهو احتمالي على الأقل في ما يخص أصالة الثنائية في اللغة العربية.

نعزز ذلك بما وقفنا عليه في معجم مقاييس اللغة عندما استعرض ابن فارس المادة الصوتية (قَطُّ) ارتأى رد أصل (باب القاف والطاء وما يثلثهما) إلى معنى القطع والفصل والبتر الذي تشترك فيه (قطع) و(قطف) الذي يدل على قطع الشيء، وكذلك (قطم)، و(قطل)، فالفاء والعين والميم واللام وردت على أساس أنها أحرف ثالثة مزيدة على الجذر الأم (الأصل الثنائي: قط) فحافظت على المعنى المشترك الكامن في (قط)<sup>(2)</sup>. أكثر من هذا ذهب محمد شاهين إلى أن الثلاثي وما فوقه توسعات اشتقاقية لأساس الثنائية التي بدأت بها نشأة اللغة، وعنها صدرت جميع التوسعات والاشتقاقات<sup>(3)</sup>.

نضيف فضلاً عن ذلك، أن الطفل في أثناء تدرجه في اكتساب اللغة تتروض أعضاء جهازه النطقي على استصدار الأصوات بداية، لكن اقتداره على تشكيل لفظ ذي معنى ينطلق ابتداءً من اتحاد عنصرين أو حرفين

(1) جرجي، زيدان. الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، تاريخ اللغة العربية. ط 1، دار الحداثة، لبنان- بيروت، 1987، ص 106.

(2) ينظر: ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. ج 5/ص 12 و ج 5/ص 100 وما بعدها.

(3) شاهين، محمد توفيق. أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية. ط 1، مكتبة وهبة، 1400هـ-1980م، ص 29.

بمركبتين قصيرتين أو طويلتين: (مَ مَ) / (ما ما)، و(بَ بَ) / (با با)، ثم تتوالى الألفاظ الثلاثية والرباعية بعد ذلك اطرادا مع النمو، فتصبح الألفاظ الثلاثية والرباعية هي الأكثر تداولاً واستعمالاً واكتساباً عند الفرد، بعد أن تكثرت حاجاته وتشعب أغراضه. جعلت هذه المعادلة في المحاكاة أحد الباحثين يوجز تاريخ تطور اكتساب اللغة العربية في ثلاث مراحل<sup>(1)</sup>:

- مرحلة الطفولة: مرحلة الجذر الثنائي.
  - مرحلة المراهقة: مرحلة تضعيف الحرف الثاني الساكن في المقطع الأحادي.
  - مرحلة النضج: مرحلة الثلاثي وما بعده من رباعي وخماسي.
- يُمح هذا القولُ البعدَ الثنائي في تشكيل الكلمة العربية الأصالة التي عليها تفرعت مفردات اللغة الثلاثية وما فوقها. وقد أشار علماءنا الأسلاف إلى طريقة اكتناز المواد الثنائية لتصبح ثلاثية بزيادة حرف، كابن فارس وابن جني، في مثل: (نب) الذي يغدو (نبأ، نبج، نبج، نبذ، نبر، نبس، نبش)، مع بقاء المعنى العام رابطاً بينها.

إن هذا المنطق يجعل الأصل الثنائي الواحد يتفرع إلى مجموعات وراثية تُرد بلطافة الصنعة ورهافة الحس إلى معنى مشترك واحد، الأمر الذي يزكي فكرة أن العربية "لغة بيولوجية تتناسل وتتوالد لتضمن استمراريتها في الوجود ليس الإنساني فحسب، وإنما الوجود بمفهومه العام"<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> تفصيل هذه المراحل جاء على النحو الآتي: المرحلة الأولى: مرحلة الجذر الثنائي المكون من مقطع أحادي (صامتين متحرك فساكن مثل رَمَ وقَطَ) وهذه هي مرحلة طفولة اللغة، ويظهر أنها مرحلة قصيرة نسبياً. المرحلة الثانية: مرحلة المراهقة اللغوية والانطلاق، وهي مرحلة تضعيف الحرف الثاني الساكن في المقطع الأحادي، مثل: رَمَ وقَطَ، وهذه المرحلة بالغة الخطورة؛ لأن الثلاثي المضعف هو الجسر الذي عبرت عن طريقه الثنائيات إلى الضفة الأخرى ضفة الثلاثي، وهي مرحلة أقصر من سابقتها، كانت كانكسار السدّ وفيضان الماء. المرحلة الثالثة: مرحلة الثلاثي وما بعده من رباعيات وخماسيات، وهي مرحلة النضج، وأعدّ الجذر الثلاثي قبلة اللغة العربية الانشطارية التي فجرت طاقتها وأغنتها غنى فاحشاً في الألفاظ، وهي أطول المراحل الثلاث في ما يظهر، وأعظمها بلا شكّ. (ينظر: الصاعدي، عبد الرزاق. طفولة العربية ومراهقتها، جريدة الجزيرة، تصدرها مؤسسة الجزيرة للطباعة والنشر، الرياض، عدد 2016/06/11).

<sup>(2)</sup> إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية وجودية (مرجع سابق).

### 3-3-3- الجمع والجماعة

تسربت قاعدة الجمع بوصفها أساسا وجوديا ومبدأ منطقيا إلى نظام اللغة عند العرب انطلاقا من تماثلهم لقواعد الوجود، لكن الوصول إلى فكرة الجمع أو الجماعة يقتضي المرور عبر جسر الأفراد والتثنية، لأن الفرد لا يستطيع العيش من دون وسط جماعي يتعاون فيه مع بني جنسه، لقضاء حاجاته وتحقيق أهدافه ومنافعه والاستجابة لميولاته وأذواقه في ظل الإحساس بالقوة والألفة. لكن تحقيق هذا الانخراط الجماعي لا يمكن الوصول إليه من دون المرور عبر قنطرة التثنية أو الزوجية الذي تحدثنا عنه قبل. يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(1)</sup>.

إن الجماعة هي التي تحمي حمى أفرادها، وتجمع شتات خيراتهم وجهودهم، لتشيد صرح العمران في الأرض. يقول صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد))<sup>(2)</sup>. إن الطبيعة الاجتماعية في الإنسان هي غريزة أودعها الله فيه ليتحقق الاستخلاف في الأرض، وتستمر الحياة في المعمورة، فالفرد يحتاج إلى بيئة جماعية متكامل فيها المؤهلات وتتضافر الوظائف، لتحصيل المآرب وتقوية الجهود. والعجيب في الأمر، أن قانون الجماعة لا يخص الإنسان فحسب، بل نجده ضرورة طبيعية في أوساط كثير من الكائنات الحية أيضا؛ فتحت الأرض توجد جماعات: (النمل، والدود وكثير من الحشرات) وفي الغابة (الفصائل الحيوانية المختلفة) وفي البحار (أسراب السمك وغيرها) وحتى الفيروسات والبكتيريات التي لا تعيش إلا وهي تتحد وتتكاثر وتتجمع.

(1) سورة الحجرات. الآية: 12.

(2) ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ط1، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م. ج38/ص220.

نجد المبدأ نفسه في الأجسام الجامدة وفي ما يصنعه الإنسان في حياته العملية؛ إذ لولا تفاعل عدة عناصر أو اجتماعها لما حصل التكامل، ولما ظهر الجسم أو الجهاز في صورته المتجانسة النهائية التي نراه عليها. إنها سنة الله في الوجود السارية في كل شيء بأسسها العقلية والمنطقية. لكن ما علاقة العربية في نظامها بذلك؟ يمكن الإجابة بأن العلاقة تتجسد في أن منطق اللغة العربية يركز على مبادئ الوجود وأسس الكون العجيبة، منها مبدأ الجمع والجماعة، معنى ذلك أنها خصصت آليات لغوية للتعبير عن خصوصيات الجمع والجماعة في اللغة، سواء كان هذا الجمع جمعا مؤنثا سالما أو جمعا مذكرا، فلكل منهما أدوات تقارب نوعه، وعلامات إعرابية خاصة تعبر عن هويته في مختلف الوضعيات التركيبية والأسلوبية. كما خصصت للجمع بنوعيه إحالات ضميرية: (هم/هن؛ أنتم/أنتن) وموصولية: (الذين/ اللاتي، اللواتي، اللاتي) وإشارية: (أولئك، هؤلاء)، وغيرها من الوسائل والدعامات اللسانية المعنية بقاعدة الجمع.

### 3-4- من التذكير والتأنيث في الوجود إلى التذكير والتأنيث في اللغة العربية

#### 3-4-1- التذكير والتأنيث في الوجود

تعد ظاهرة التذكير والتأنيث من المسلمات الوجودية في هذا الكون، وذلك بشهادة الحقيقة القرآنية التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(1)</sup>؛ ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(2)</sup>؛ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(3)</sup>، فالوجود مبني في أصله على هذه الثنائية العجيبة، إذ كل الكائنات الحية مستمرة في الكون بفضل زوجية الذكر والأنثى، غير أن الذكورة في الخلق أصل، والأنوثة فرع عنها بدءا من آدم عليه السلام

(1) سورة النجم. الآية: 45.

(2) سورة القيامة. الآية: 39.

(3) سورة الليل. الآية: 3.

ثم حواء التي اشتقت من ضلعه، وصولاً إلى التناسل الطبيعي المتواصل بين بني آدم ذكرانا وإناثا، وذلك أن المذكر (آدم) يعد علامة بنفسه، والمؤنث (حواء) ينماز بعلامات تحدد فرعيته، لأنه حينما خلقت حواء تميزت بجملة من العلامات والصفات الطارئة التي لم تكن في آدم، منها أنها ليست "خلقا كما كان خلق آدم؛ إذ إن آدم (الأصل) خلقه الله بيديه من طين ونفخ فيه من روحه ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(1)</sup>. أما خلق حواء (الفرع) فكان من الأصل (خلق منها زوجها)، ولم يخلقها بنفس الطريقة التي خلق بها آدم، وإلا كنا حينها أمام أصلين، وحينها سيقع التنافر والتنازع والصراع، لا التقارب والتواد والارتباط"<sup>(2)</sup>، ومن العلامات المميزة أيضا الحجم والشكل والأعضاء والوظيفة وغيرها...

بنظرة متأملة متمعنة في فطرة الخلق الإنساني نعر على أن حظ المذكر له اعتبار أولي وأساسي في أمور حياتية شتى؛ نذكر منها أن المذكر له القوامة الجسدية والخشونة والقوة، ولذلك أنيطت به مهمات تسير هذه المقومات الخلقية منها الإنفاق على الأسرة والدفاع عن حياضها، كما أن للمذكر الحصة الأغلب في الوراثة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾<sup>(3)</sup>، من دون أن ننسى أن النسب في شجر العائلة يعود إلى الأب الذكر ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(4)</sup>، في حين أنه بفضل خاصية الأنوثة التي هي مقوم من مقومات المؤنث أسندت للمرأة مهمات تتماشى وخلقها البيولوجية؛ فقد مُنحت حق الحضانة لأولادها؛ إذ ليس لأحد الحق في ذلك قبلها، وفي ذلك مراعاة لعطفها وحنانها على الأولاد من حيث الرضاعة والرعاية وحسن التربية، إذ لا يمكن للرجل القيام بهذه الوظائف لتعذر حصوله على تلك المؤهلات، ولذلك تعد الأنوثة رمزا للدفع والعطف والنعومة والحنان.

(1) سورة ص. الآية: 71-72.

(2) إسماعيلي علوي، محمد. المنطق الوجودي للنحو العربي وتمثلاته على مستوى القواعد (مرجع سابق).

(3) سورة النساء. الآية: 11.

(4) سورة الأحزاب. الآية: 5.



ولئن كان لهذه المعطيات التي ذكرنا مسوغ في الوجود، فإن في اللغة العربية ما يماثل هذا المنطق، بعدما تمثل العلماء فلسفة اشتغاله على مستوى القواعد اللغوية.

### 3-4-2- التذكير والتأنيث في اللغة العربية

استمدت مسألة التذكير والتأنيث في اللغة ضوابطها من السنة الوجودية في الكون؛ حيث تعتمد اللغة العربية على مجموعة من القواعد تمييز بين الذكر والأنثى على مستوى القواعد، ومنها انقسام الاسم الظاهر والضمير إلى قسمين: إما مذكرٌ أو مؤنثٌ لكل منهما أدواته اللفظية وضمائره الخاصة. ولا شك أن مثل هذه القواعد اللغوية مستوحاة من نظيرتها الوجودية، وذلك أنه كان لهذه الأخيرة الأثر البالغ في تصور النحاة العرب للغة، ومنهم سيبويه الذي يقول: "واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول، وهو أشد تمكنا، وإنما يخرج التأنيث من التذكير"<sup>(1)</sup>.

يبدو من هذا النظر أنه استمداد من منطق وجودي سار في الخلق والحياة؛ إذ مثل ما انبثقت الأنثى من الذكر في الخلق الإنساني انبثق المؤنث من المذكر في العرف اللغوي. يضيف سيبويه مبررا قناعته: "بأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا"<sup>(2)</sup>، لكننا إذا سلمنا بهذا النحو في التفكير فماذا عن اجتماع علامتي التذكير والتأنيث في مقام واحد؟ الجواب في المتون اللغوية يقول: إن منزلة المذكر أغلب وأشمل وأسبق؛ أي: يتم تغليب التذكير على التأنيث. يقول ابن الأنباري: "إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب جانب المذكر على جانب المؤنث لأن التذكير هو الأصل"<sup>(3)</sup> ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

(1) سيبويه. الكتاب. ج1/ص22.

(2) سيبويه. الكتاب. ج3/ص241.

(3) ابن الأنباري، أبو البركات. البيان في غريب إعراب القرآن. ج2/ص59.

دَائِبِينَ<sup>(1)</sup>، فالتغليب واضح في الوصف الشامل للشمس/ مؤنث والقمر/ مذكر، وإنما كان المذكر بهذه المنزلة ولم يكن كالمؤنث، لأن الأصلية تقتضي القوة والأولوية.

إن اللفظ الدال على الذكر في اللغة العربية لا يحتاج إلى علامات تميزه، بينما يستلزم اللفظ الدال على المؤنث وجود علامات تميزه. نذكر في هذا المقام العلامات المميزة للتأنيث في الأسماء والأفعال تمثيلاً لهذه القواعد؛ فالتاء المربوطة في آخر الكلمة علامة مميزة للمؤنث على المذكر (جالس/ جالسة؛ كبير/ كبيرة...)، ثم علامة (الألف والهمزة) في آخر الكلمة (أبيض/ بيضاء؛ أسود/ سوداء)، إضافة إلى علامة (الألف المقصورة) في نهاية الكلمة (حبلى وكبرى صغرى)، فضلاً عن الدور الذي تلعبه الكسرة في ضمير الفاعل (التاء المتحركة) للدلالة على التأنيث في الأفعال، فيكون التعبير (أكلت، خرجت، قرأت..)، والتاء الساكنة المتصلة بالفعل الماضي وغيرها من العلامات التي تكون دالة على التأنيث.

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية تبقى لساناً ذا خصوصية مميزة، لأنها لغة وجودية تحاكي في نظامها ونحوها النحو الوجودي، ويتميز دققها المعجمي الهائل بالغمى والتنوع والغزارة، إذ نجده قد غطى كل صغيرة وكبيرة في حياة العرب، حيث "صنفوا الوجود تصنيفاً شاملاً دقيقاً منطقياً يدعو إلى الدهشة والعجب، ويدل على مستوى فكري، قلما وصلت إليه الأمم في مثل هذا الطور المبكر من تاريخ حياتها"<sup>(2)</sup>، فكانت لغتهم مستودعاً شاملاً لمعاني الموجودات كلها واختزلاً منطقياً للأصول والفروع والمبادئ التي تمضي عليها قوانين الوجود.

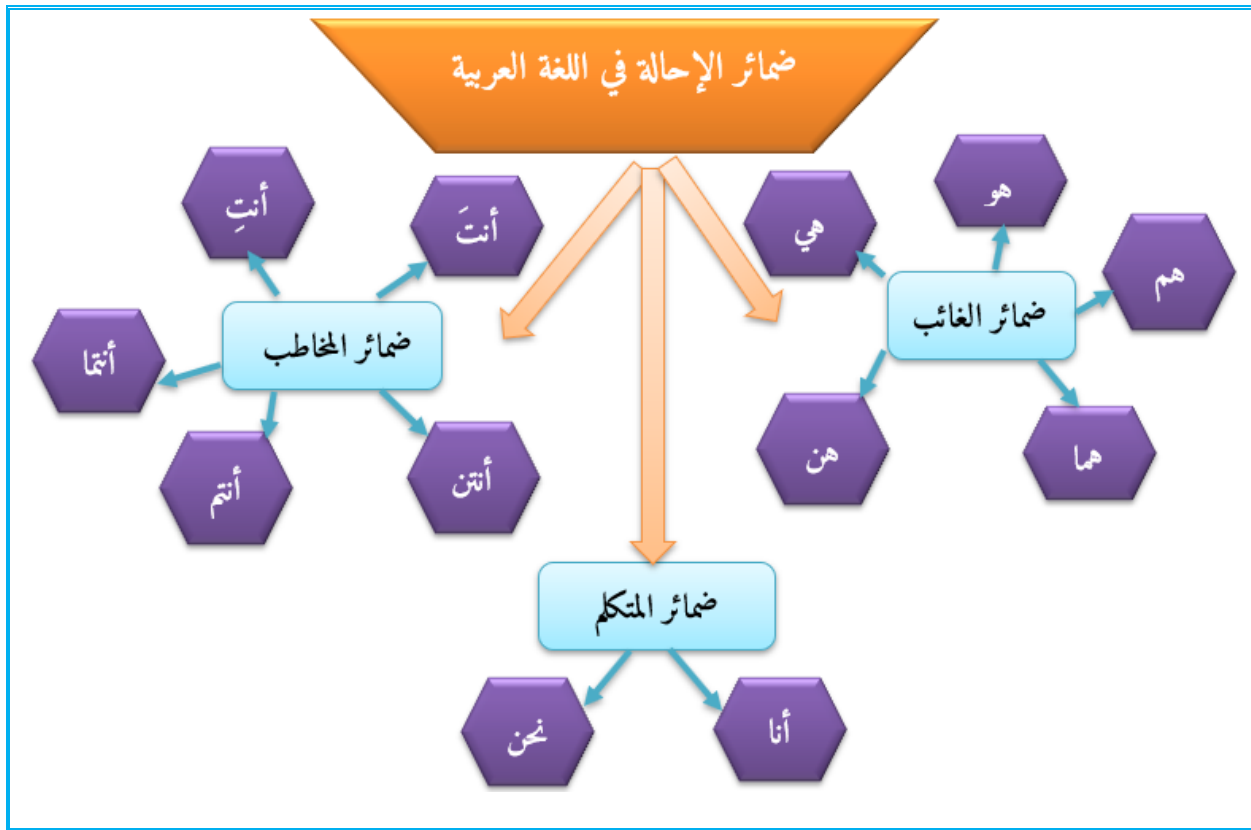
نسوق مثلاً - ليس حصراً وإنما استشهاداً- نوضح به وجودية اللغة العربية واحترامها المنطق الإنساني، وذلك بالإحالة الضميرية التي تضمن لكل متكلم أو غائب أو مخاطب ضميراً يخصه، فهي لغة "ديمقراطية لا تخاطب

(1) سورة إبراهيم. الآية: 33.

(2) جمعة، فتحي. اللغة الباسلة. ط5، دار النصر للتوزيع والنشر، ص 114.

الكبير بخطاب والصغير بخطاب آخر، ولا تخلط بين ضمير المفرد وضمير الجمع (...) إلى غير ذلك من أساليب أصيلة في العربية سوت بين الناس في الخطاب والغيبة والتكلم"<sup>(1)</sup>، مما يجعلها أكثر تماهيا مع مبادئ حقوق الإنسان التي تغزو العالم المتحضر، وذلك من خلال تخصيصها علامات تقارب النوع في الجنس البشري من خلال تفيئها العوائد الضميرية؛ إذ للمرأة ضمائرها أفرادا، وللرجل ضمائره، كما للمثنى بنوعيه إحالته الضمائية والجمع كذلك.

### شكل رقم (5): يمثل ضمائر الإحالة في اللغة العربية



(1) أنيس، إبراهيم. اللغة بين القومية والعالمية. دار المعارف بمصر، 1970، ص 279-280.

لعل هذا التمايز والاختلاف الذي توفره العلامة الضميرية تجاه النوع بالإحالة عليه يمثل انعكاسا حقيقيا للمعيش الإنساني، ويضمّر احتراماً تاماً لخصوصيات النوع الإنساني بين التذكير والتأنيث إفراداً وتشبيهاً وجمعاً، فتجعل لكل نوع ما يستحقه من أدوات التعبير المناسبة<sup>(1)</sup>.

### 3-5- منطوق القوة والضعف بين الوجود واللغة العربية

#### 3-5-1- مبدأ القوة والضعف في الوجود

يقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهًا﴾<sup>(2)</sup>. تأسيساً على مضامين هذه الآية الكريمة، يعد مبدأ (القوة والضعف) سنة كونية يسري قانونها في الخلق والوجود، ليتحقق التكامل والتوازن الطبيعي، فهو مبدأ تخضع لخصائصه الكائنات الحية جميعها، حيث يبدأ الكائن ضعيفاً في مسار النمو تصاعدياً نحو القوة، ثم ما يلبث أن يعود إلى الانحدار والضعف، الشيء الذي يجعله قاعدة وجودية ضرورية لاستمرار الحياة، لأنه حينما يختل نظام هذه القاعدة ينتج عنه اضطراب وفوضى في الحياة والطبيعة. روى حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى...»<sup>(3)</sup>.

يبدو أن رتبة العلو والخيرية في الحديث قد أنيطت باليد العليا لقوتها وعطائها ولحاجة اليد السفلى إليها. ولهذا، لا بد — منطقياً — للضعيف أن ينحط عن رتبة القوي، لأن حاجة الضعيف للقوي ضرورة ملحة يقتضيها منطوق

(1) ينظر: إسماعيلي علوي، محمد. اللغة العربية لغة بيولوجية (مرجع سابق).

(2) سورة الروم. الآية: 54.

(3) رواه البخاري في صحيحه. كتاب الزكاة. باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى. (رقم: 1427).

الوجود، ولعل في القانون الذي يحكم السلاسل الغذائية الحيوانية والحشرية في الغابة وغيرها خير شاهد على مركزية هذا القانون في الطبيعة، من حيث إن القوي يسيطر على الضعيف، فيأكله أو يجميه. إنها قاعدة إحيائية ضرورية لاستمرار الحياة وحفظ التوازن البيئي في الوجود.

### 3-5-2- مبدأ القوة والضعف في النحو العربي

اعتمد علماء اللغة في تعليل قواعدهم على الاستمداد من النظام المنطقي المحيط بوجودهم، ومن ضمن ذلك نجد مفاهيم القوة والضعف سارية المفعول في مباحث النحو العربي وأبوابه<sup>(1)</sup>. يقول سيبويه "الاسم أبدا له من القوة ما ليس لغيره"<sup>(2)</sup>، لأن الاسم أقوى من الفعل وأشد تمكنا<sup>(3)</sup>، والفعل أقوى من الحرف<sup>(4)</sup>، لقد استمد (الاسم) هذه القوة لأنه أصل، والأصل أول في الرتبة، والمحتل للرتبة الأولى في الواقع الإنساني دائما يكون له من القوة والتميز والتفوق ما لا يخفى.

لقد انطلق تصور سيبويه عن الاسم والفعل والصفة من ترتيب راعى فيه أولوية الأسماء ثم بعدها الصفات فالأفعال، وليست هذه مجرد تصورات فارغة، بل الحقيقة أن التزام هذا الترتيب يتجاوب بعمق مع التصور الديني العقدي لأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله<sup>(5)</sup>، ويتجاوب مع سنة الله في الخلق والوجود. نعلم أن الاسم ينعت والفعل

---

(1) [باب في قوة اللفظ لقوة المعنى] (الخصائص ج3/ 268). [باب في الجمع بين الأضعف والأقوى في عقد واحد] (الخصائص ج3/ ص 317). [القاعدة السادسة والثلاثون: يدخل القوي على الضعيف ولا عكس] (جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر. ط 1، دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م، ص 158).

(2) سيبويه. الكتاب، ج4/ص 218. وينظر: الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: ج2/ص 542.

(3) سيبويه. الكتاب ج3/ص 523، وينظر الانصاف ج 2 / ص 542.

(4) الأنباري، أبو البركات. الانصاف في مسائل الخلاف، ج1/ص 133.

(5) أبوزيد، نصر حامد. إشكالية القراءة وآليات التوليد. ط7، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 98.

لا ينعى<sup>(1)</sup>، أي: إن الاسم يكون متبوعا والفعل تابعا<sup>(2)</sup>، من حيث إن المنطق الإنساني يقتضي أن التابع يكون أضعف من المتبوع، ولعل التراتبية في الحياة الاجتماعية وحتى الحيوانية تخضع لهذا القانون بناء على عاملي القوة والضعف سواء كانت القوة مادية أو معنوية.

نجد الأمر نفسه يحصل بين الأمم؛ فالشعوب القوية اقتصاديا وبشريا وعسكريا.. تلزم الشعوب الضعيفة بالخضوع والامتثال لسياساتها بفضل قانون التبعية هذا. كذلك الشأن في المنطق اللغوي، فالاسم ثابت والفعل متغير، وغير خاف أن الثبوت أشد قوة من التحول، والثابت باق وحق وصحيح. يقول الله تعالى، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(3)</sup>. ويقول ابن جني: "إن الأسماء وإن كانت كما ذكرت، فهي - لقوتها وتمكنها، وأنها الأول وهي مستغنية عن الأفعال - أثبت من الأفعال، وهي في الصحة أقعد، والاعتلال منها أبعد"<sup>(4)</sup>، واضح من كلام ابن جني أن القوة للأسماء لاعتبارات منها اكتفاؤها بذاتها، وصحتها، وثبوتها.

نعثر كذلك لمبدأ القوة والضعف على أثر في توجيه الحركات الإعرابية، حيث تتناسب اطرادا مع الأحداث قوة وضعفا؛ فالضمة الحركة الأقوى تناسب معاني القوة، والفتحة الأضعف تلائم المعنى الأضعف. يقول الإمام السهيلي "ووجه آخر في استحقاق المخبر عنه الرفع، وذلك أنه أقوى حظا في الحديث من المفعولات والمجرورات، فلما كان حظه من الخبر أقوى، كان أولى الحركات به أقواها، وقوة الضمة وثقلها معلوم بالحس وموجود بالضرورة، فاختيرت

---

(1) ابن السراج، أبو بكر. الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ج1/ ص 38 // يقول إدريس مقبول أيضا: "إن الصفة ما أنبأت عن معنى مستفاد يخص الموصوف وما شاركه فيه ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون قولاً أو يدل على ما يدل النطق عليه وينوب منابه" (سيبويه معتزليا، ص 162).

(2) الاسم يُتبع نحو (مررت برجل عاقل)، أما الفعل فينعى به نحو (مررتُ برجل يعمل).

(3) سورة إبراهيم، الآية: 27.

(4) يضيف فضلا عن ذلك: (ألا ترى أن الفعل ثانٍ للاسم، وهو وإن كان أضعف منه، فإنه أقوى من الحرف). ابن جني، عثمان. المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. ط1، دار إحياء التراث القديم، 1373هـ - 1954م، ص 57.

للمخبر عنه"<sup>(1)</sup>. لقد اكتسبت الضمة القوة من خصائصها النطقية أثناء خروجها، فهي تخرج بتحريك الشفتين في شكل دائري ضيق، بينما ضعف الفتحة أتى من حيث إنها لا تخرج إلا باتساع وسط الفم.

والمثير للانتباه أننا نجد لقاعدة القوة والضعف موطناً حتى في تشكيل العلامة الصوتية التي هي مادة اللغة، فالكلمة أو المقطع الصوتي في العربية يعطي الصدارة للصوت الأقوى، والتأخر للصوت الأضعف، حتى إن الباحث غرامون (Mourice Grammont) بناء على دراسات في التفاعلات الصوتية وضع قانوناً سماه "قانون الأقوى"، وملخصه أنه حينما "يؤثر صوت في آخر فإن الأضعف (بموقعه في المقطع، أو بامتداده النطقي...) هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر"<sup>(2)</sup>، الأمر الذي تنبه إليه ابن جني منذ زمن، حينما قال: "فلما اعتزموا النطق بهما"<sup>(3)</sup> قدموا أقواهما لأمرين: أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً وأسبق وأعلى. والآخر أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين"<sup>(4)</sup>.

نلاحظ أن عبارة: (رتبة الأقوى أبداً وأسبق وأعلى) و(الأثقل.. والأخف) ترجمة واضحة لحثيات المنطق في سيرورة حياة الكائنات الحية، فالأقوى في الوجود دائماً أسبق وأعلى وأثقل وزناً أو اعتباراً، ويتبوأ الموقع الأرفع والمكان الأليق.

نستشهد- تمثيلاً لا حصراً- بالكلمات: (اصطبر، واضطرب، واطلب، ثم اظلم)، فالأصل فيها (اصتبر،

---

(1) السهيلي. نتائج الفكر في النحو. ص 312.

(2) مختار عمر، أحمد. دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب، 1418هـ - 1998م، ص 372.

(3) يقصد حرفي: (الطاء والتاء) لقرئهما في المخرج.

(4) ابن جني. الخصائص. ج 1/ ص 56.

واضترب، واظتلب، ثم اظتلم)، فقلبت التاء طاء لأن الأصوات (الصاد والضاد والطاء والظاء)<sup>(1)</sup> أثرت بقوتها النطقية على التاء لتقاربها. كما أن قوة المعنى تُنقل عبر الصوت الأقوى، وضعف المعنى يُحمل في الصوت الأضعف<sup>(2)</sup>، وكلما كان الأثر الدلالي أقوى يكون بالحرف الأقوى<sup>(3)</sup>، لأن قوة اللفظ مشعرة بقوة المعنى<sup>(4)</sup>.

نضيف زيادة في التبيين أن الحرف المنبور في كلمة (ضرب) الذي هو (ض) ينطق بارتكاز أكبر من زميله في الكلمة نفسها<sup>(5)</sup>، ذلك أن النبر قوة وطاقة زائدة، وجهد عضلي إضافي يُعطى لأحد مقاطع الكلمة. إنه منطوق يجعل الأصوات المنبورة الأقوى وفي المركز الأفضل بالنسبة لغيرها من أصوات الكلمة، ومن ثم فإن الصراع يحسم لصالح الصوت المنبور<sup>(6)</sup>.

من جهة أخرى نلاحظ -مثلا- وصفهم الجهر<sup>(7)</sup> بأنه من صفات القوة، والهمس من سمات الضعف، لأن

(1) للمزيد من التفصيل ينظر: شاهين، عبد الصبور. المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980، ص 210.

(2) يقول ابن جني: أفلا ترى إلى تشبيههم الحروف بالأفعال وتنزيلهم إياها على احتدائها. ومن ذلك قولهم: الوسيلة والوصيلة، والصاد -كما ترى- أقوى صوتا من السين لما فيها من الاستعلاء والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة. وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ومماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له؛ كاتصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءا أو كالجزم من المتوسل إليه. وهذا واضح. فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف (الخصائص ج2/ ص 162). يضيف ابن جني في هذا الصدد أيضا: ومن ذلك أيضا: سد وصد؛ فالسد دون الصد؛ لأن السد للباب يسد والمنظرة ونحوها، والصد جانب الجبل والوادي والشعب، وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك، "فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى، والسين لضعفها، للأضعف" (الخصائص ج2/ ص 163).

(3) ينظر: ابن جني. الخصائص. ج2/ ص 163.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل. ج2/ ص 365.

(5) رمضان، عبد التواب. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417هـ-1997م، ص 103.

(6) الشايب، فوزي. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة. علم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2004. ص 77. يضيف الباحث الشايب فضلا عن ذلك: أن نشاط الإنسان في النطق يكون أشد طاقة من بداية المقطع، ثم تأخذ هذه الطاقة وذلك النشاط في الفتور تدريجيا، حتى يصل أدنى مستوى له عند نهاية المقطع (المرجع نفسه).

(7) المجهور عند القدماء أقوى من المهموس، لأن الجهر الناشئ عند تذبذب الأوتار الصوتية يمنح الصوت قوة ووضوحا في السمع أكثر من المهموس، فالوضوح في السمع هو محك القوة في المجهور، وهو الذي يجعله الأقوى (أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، ص 72).



المهموس حرف أضعف الاعتماد في موضعه<sup>(1)</sup>، فضلا عن أن الصفات والخصائص الصوتية في النظام الصوتي العربي تصدح بكثير من المفاهيم التي تمتح من الحقل الدلالي للقوة والضعف سمات عدة، نذكر من ذلك قولهم إن الاستعلاء من صفات القوة أيضا<sup>(2)</sup>.

أليس هذا التوظيف المفاهيمي في الحقل اللغوي مبعثه ما يلتقطه الفكر المقعد من مبادئ تحكم الواقع الذي يحيا فيه؟ أليس بهذه المسوغات التي أتينا على ذكر بعضها، يكون قد توضح إلينا أن قانون القوة والضعف أس من الأسس المنطقية الوجودية التي استرفدها اللساني العربي من أجل التععيد لاستقامة النحو العربي وفق تصور شامل جامع ومنسجم؟

### 3-6- حقيقة الاستثناء في الوجود واللغة العربية

#### 3-6-1- الاستثناء في الوجود

بعد الاستثناء أصلا في الوجود، وليس شذوذا طارئا كما يعتقد كثير من الناس، فلا يمكن تصور المخلوقات والأشياء الوجودية من دون حضور ظاهرة الاستثناء فيها، ولو لم يكن هذا المبدأ في القوانين الوجودية لعصي علينا تفسير كثير من الظواهر وفهمها. يقول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(3)</sup>. إن هذا الحكم لا يستغرق كل إنسان -بمقياس العقل الإنساني في الحكم على حسن التقويم- وإنما يشمل الغالب الأعم من الخلق الإنساني، وذلك أنه لولا الاستثناء في خلقه عز وجل لشق علينا استيعاب حسن القوام في الخلق والاعتدال في الصورة والاستواء في الحسن. ولهذا، كان خلق من الناس كتب الله لهم تغيرات غير سوية في التكوين الجسمي والبناء

(1) سيويه. الكتاب، ج4/ص434.

(2) ابن الجزري، أبو الخير. النشر في القراءات العشر. تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج1/ص202.

(3) سورة التين. الآية: 4.

العقلي مثل: الأمراض الوراثية المشوّهة والإعاقات المختلفة: (ذهنية، صبغية، جسدية، اضطرابات عقلية... إلخ)، يقول سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

قال سبحانه: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾<sup>(2)</sup>، معنى ذلك أنه ركب الإنسان في الصورة الاعتيادية السوية، وركبه في صورة استثنائية، إنه خلق استثنائي لحكمة يعلمها الله، وهي حكمة تسري بها مشيئته سبحانه في جميع الكائنات الحية؛ إذ الغالب الأعم يُخلق على الهيئة العادية السائدة من النوع أو الفصيلة نفسها، والأقلية تأتي استثناءات؛ أي على هيئة غير مألوفة، لكنها متأصلة في الوجود، ولنا في كثير من الحيوانات والحشرات والنباتات أمثلة شاهدة على ذلك، من قبيل: العوراء والعرجاء والكسيرة، والتشوّهات Malformations التي تلحق النبات، وغيرها... بل حتى في الخلايا الوراثية تحدث على مستواها ما يعرف بالطفرات (الاستثناءات)، لتنتج عنها صفات مختلفة وأنسجة هجينة غير متوقعة.

بناء على هذه الحقائق، يمكن القول إن الاستثناء أصل في الوجود على العكس مما يعتقد البعض، ولولا ذلك ما وجدناه في كل شيء في الوجود؛ فالطبيعة هي الأخرى لها نصيب من فاعلية الاستثناء حيث تعرف أجوائها تقلبات غير اعتيادية وغير متوقعة في الزمان والمكان على مستوى ظاهرة المناخ مثلا؛ فيشتد الحر في الشتاء، أو ينزل المطر في الصيف، ويسقط البرد في الصحراء، ويحدث الفيضان وقت الجفاف، فضلا عما يقع في النظام الجيولوجي والفلكي من هزات الزلازل وهيجان البراكين، ومن كسوف وخسوف يكسر قاعدة الليل والنهار المعتادة وغيرها كثير. فأينما وليت نظرك، وتأملك في القوانين الوجودية أو حتى الوضعية الإنسانية تعثر على مبدأ

(1) سورة البقرة. الآية: 155.

(2) سورة الانفطار. الآية: 8.

الاستثناء راسخا فيها، يستحيل اكتمال القوانين، واستواء القواعد الوجودية من دون حضور لهذا الاستثناء. وعليه، فهو أساس منطقي وجودي وليس انحرافا عن القاعدة أو إخلالا بالنظام الجاري أو شذوذا عن المعتاد.

### 3-6-2- الاستثناء في اللغة العربية

استمد أهل اللغة العرب فلسفة الاستثناء الوجودي لتفسير بعض الظواهر النحوية بعدما استوعبوا طبيعة هذا المنطق وتمكنوا من فهم أثره في الحياة. فهذا الفراء يقول: "استثنى الشيء من الشيء ليس منه على الاختصار"<sup>(1)</sup>. لقد استوحى الفراء مدلول الاستثناء من أن الأشياء المستثناة هي أشياء خارجة عن الحكم المطلق على الأشياء المستثنى منها، فهي إخراج قليل من نطاق حكم الكثير. يقول ابن فارس "يستثنى القليل من الكثير ويستثنى الكثير مما هو أكثر منه. وهذه العبارة هي الصحيحة. فأما من يقول: يستثنى الكثير من القليل فليست بالعبارة الجيدة"<sup>(2)</sup>.

نفهم من كلام ابن فارس أن قانون الاستثناء لا يمكن أن يخضع له الكثير من القليل، فالاستثناء هو تخصيص شيء وفرزه من مجموعة أشياء أكثر منه وينتمي إلى صنفها. إنه المنطق نفسه المطبق في الوجود، فالاستثناء لا يكون إلا قليل من كثير ﴿فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

ولإعطاء معنى للاستثناء في النحو العربي لمن تساءل عن ماهيته فيها، يجيبه الأنباري بقوله: "هو إخراج بعض من

---

(1) ابن فارس، أحمد. الصاحبي في فقه اللغة، ص95.

(2) المصدر نفسه. ص95.

(3) سورة البقرة. الآية: 155.

كل بمعنى إلا نحو: جاءني القوم إلا زيدا<sup>(1)</sup>، فهو يقصد تخصيص المستثنى وصرفه عن الحكم النحوي الماضي في المستثنى منه.

يضيف ابن يعيش بأنه "صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول، وحقيقته تخصيص صفة عامة"<sup>(2)</sup>، فالمستثنى والمستثنى منه والوسائط (إلا وأخواتها) أدوات لسانية تتشكل منها بنية أسلوب الاستثناء، فالأداة (إلا) لها قوة فعالة في التعبير، لأنها هي العامل في التركيب أو هي الدعامة المعضدة لقوته حيث "ذهب البصريون إلى أن العامل هو الفعل بتوسط "إلا"، وذلك لأن هذا الفعل، وإن كان لازما في الأصل، إلا أنه قوي بـ "إلا" فتعدى إلى المستثنى (...). وذهب بعض النحويين إلى أن العامل هو "إلا" بمعنى "استثنى" وهو قول الزَّجَّاج<sup>(3)</sup>، وسواء كانت (إلا) مساعدة في العاملة أو هي العاملة فقوتها حاضرة في بناء المعنى.

يدل الاستثناء أحيانا "على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب"<sup>(4)</sup>، فحينما يبني منوال المعنى على غرار: (عاش فلان ألف سنة)، قد يتسرب إلى الفهم أنه (عاش ألف سنة تقريبا)، لكن عندما يدخل الاستثناء في التركيب على نحو: (عاش ألف سنة إلا خمسين)، يتحقق التحقيق لا التقريب.

يظهر من خلال هذا النموذج التفسيري أن قوة الاستثناء حاضرة في اللغة العربية، من خلال تخصيصها أدوات وبنيات لسانية تسعف المتكلم في تدقيق خطابه، وضبط معانيه، ومن ثمة، يكون الاستثناء أسا من الأسس المنطقية التي تتكئ عليها اللغة العربية لدعم فلسفة نظامها النحوي، ولكي تكون أكثر انسجاما وقوة مع التفكير الإنساني، من خلال استمداد منطق علامات الوجود.

---

(1) الأنباري، أبو البركات. أسرار العربية. ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ-1999م، ص 156.

(2) ابن يعيش. شرح المفصل. ج 2/ ص 46.

(3) الأنباري، أبو البركات. أسرار العربية. ص 156.

(4) الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب. ج 25/ ص 36.

# المبحث الثاني

أنواع العلامات

## 1- تمهيد

نستطيع تصنيف العلامة في تصور ((نحو العلامة)) بناء على طبيعتها في ذاتها انطلاقاً من خصائصها ومجال اشتغالها، وهكذا يمكننا الحديث عن العلامة اللغوية (صوتاً وصرفاً ونحواً ومعجماً... إلخ)، ويمكن الحديث عن العلامة غير اللغوية التي نقصد بها كل علامة يتحصل من ورائها المعنى مما لا يدخل في نطاق اللغة المنطوقة.

## 2- أصناف العلامة اللغوية

"إن ظهور المعنى من اللفظ تارة يكون بالوضع اللغوي أو العرفي أو الشرعي إما في الألفاظ المفردة وإما في المركبة، وتارة بما اقترن باللفظ المفرد من التركيب الذي تتغير به دلالاته في نفسه، وتارة بما اقترن به من القرائن اللفظية التي تجعلها مجازاً، وتارة بما يدل عليه حال المتكلم والمخاطب والمتكلم فيه وسياق الكلام الذي يعين أحد احتمالات اللفظ"

ابن تيمية، تقي الدين. (الفتاوى الكبرى).

## 2-1- العلامة الصوتية

تعد العلامة الصوتية المدخل الأولي لولوج باب المعنى الذي تتعاون على إنتاجه صنوف من العلامات اللسانية. ولا يخفى أن الأصوات المسموعة تُستخدم في تشكيل بنية العلامة اللغوية، من حيث إن الخصائص النطقية للعلامة الصوتية تلعب دوراً مهماً في توجيه معنى الكلام، وتسهم في ضبط منحى الدلالة أثناء التخاطب. ينبع إسهام العلامة الصوتية في الدلالة من جرس أصوات الكلمة أو من أنغام تركيبها، أو مما ينبثق من مسلك الأداء، وليس يخفى أن "مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال إنما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرج فيه مدّاً أو غنّة أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على

مقادير مناسبة لما في النفس" (1).

نستخلص من هذا الرأي أن تجليات الدلالة الصوتية تنبثق من طبيعة الصوت المشكل للكلمة ومن تألفاته مع أصوات أخرى، فضلا عن طريقة الأداء المصاحبة للقول وأغراضه. لذلك، فالعلامة الصوتية يتوزعها بعدان ناجمان عن:

- التشكيل الصوتي المرتكز على عمد بناء الكلمة والتركيب من حيث طبيعة الأصوات وأصنافها وترتيبها وتباينها وانسجامها وتناسقها...

- الإيقاع المرتكز على أسس الأداء والتلفظ.

تلعب العلامة الصوتية دورا حاسما في التشكيل العام للدلالة وبناء المعنى، على الرغم من أن الصوت لا يشكل في اللسان - مثل المعدن بالنسبة للقطعة النقدية - سوى جانب واحد من جوانب عدة في تحديد قيم العلامة<sup>(2)</sup>، تنهض العلامة الصوتية بمهمة دلالية معتبرة في تحديد وجهة الخطاب، وشحنه بظلال من المعاني التي لا تستطيع علامة أخرى أداء دقتها، لا سيما "أن القوة التعبيرية للكلمة المفردة لا تتأتى من معناها وحده بل من طبيعة شكلها الصوتي أيضا"<sup>(3)</sup>.

تتحصل الدلالة الصوتية من إحياءات الأصوات وتناسبها ضمن سياقات ورودها، حيث تتنوع مواقع الوحدات الصوتية وصفاتها وتكرارها في الكلمة تبعا لشروط مقام التخاطب. يقول ابن جني: "فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر عنها، ألا تراهم قالوا قَصَمَ في اليابس، وحَصَمَ في الرطب، وذلك

---

(1) الرافي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. دار الفكر العربي، بيروت، ص 184.

(2) غلفان، مصطفى. اللغة واللسان والعلامة. ص 254.

(3) تمشيرين، أ. ف. الأفكار والاسلوب، دراسة في الفن الروائي ولغته. ترجمة: حياة شرارة، دار الشروق الثقافية العامة، ص 45.

لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف" (1).

استنارة بهذا الرأي، يكون قد توضح إلينا أن الأصوات القوية ترتبط بمواقف القوة، وتتعلق الأصوات المتصفة بسمات الضعف بسياق الضعف، والحروف ذات الميزة الاستعلائية تناسب مقتضى الاستعلاء، والحروف اللينة تحضر في مواقف اللين، فضلا عن علامات التفخيم والترقيق التي تمنح الكلمات معاني جديدة أو إضافية تتناسب ومقتضى حال الورد. لهذا، "جعلوا الصاد في صعد - لأنها أقوى - لما فيه أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك. وجعلوا السين في سعد - لضعفها - لما لا يظهر ولا يشاهد حسًا، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجدل لا صعود الجسم" (2).

نفهم من هذا النموذج البياني أن الأصوات تواكب المعاني وتعبر عنها من خلال الخصائص النطقية التي تميزها، فلكل علامة إيجاءاتها وتحليلاتها الخاصة الخادمة للمعنى، ولكل كلمة استقلاليتها الصوتية، إما في الصدى المؤثر، وإما في البعد الصوتي الخاص، وإما بتكثيف المعنى بزيادة المبني، وإما بإقبال العاطفة، وإما بزيادة التوقع، فهي حينما تصك السمع، وحينما تهيب النفس، وحينما تضفي صيغة التأثر: فزعا من شيء أو توجهها لشيء، أو طمعا في شيء (3).

ليس هذا التنوع الذي يرفد به الصوت المعنى حاصلا من جهة مادة الصوت أو نوعية التركيب الذي يتشكل في ضوئه أو من جانب الكيفية الأدائية، بل من منطلق التساوق والتجاوب مع خصوصية الدلالة المعبر عنها، وذلك أن ضم الصوت أو فتحه أو تسكينه هو في الحقيقة همز له، همز يَكَلِّمُهُ ليجعله حرفا طرفا في الكلمة،

---

(1) ابن جني، عثمان. الخصائص. ج1/ص 66.

(2) المصدر نفسه، ج2/ص 163.

(3) الصغير، محمد حسين علي. الصوت اللغوي في القرآن. ط1، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، 1420هـ/200م، ص 164.



ولا معنى له وحده وإنما ينسبك به وحرفين آخرين أو أكثر المعنى المعجمي الوضعي الذي يصب في القالب التصريفي<sup>(1)</sup>. نضيف أنه ما دام الصوت مادةً قالبِ الكلمة، فإن استبدال صوت واحد في كلمة واحدة يغير كلياً معنى هذه الكلمة، مثل: (قال)، (مال)، (سال)، (جال)، (نال)... فيكفي تعويض صوت القاف في كلمة (قال) في المفردات السالفة ليقرب المعنى قطعاً. وحتى نكون أكثر وضوحاً في هذا المقام، نستشهد بهذا التمثيل القرآني الذي يبرز الدلالة المستمدة من التشكيل الصوتي في لفظين من الآيتين الآتيتين: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾<sup>(2)</sup> وقوله: ﴿لَخَنَّ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(3)</sup>.

لا تختلف المفردتان: (قَصَمْنَا)، (قَسَمْنَا) إلا في علامة المقطع الصوتي الثاني الذي يشكله صوتا: (السين) و(الصاد) في كل كلمة، فهما صوتان متقاربا المخرج إلا أنهما يختلفان في صفتي الترقيق والتفخيم؛ فالسين مرقق، والصاد مفخم، وينجم عن هذا الاختلاف تباين في المعنى؛ "فالقصم هو الكسر الذي لا جَبْرَ فيه، وكأن الحق - سبحانه وتعالى - يضع أمام أعينهم القرى المكذبة الظالمة، ليأخذوا منها عبرة وعِظَةً"<sup>(4)</sup>.

حينما أخبرنا الله سبحانه في مضمون الآية الأولى عن الأقوام السابقة الظالم أهلها والتي لحقها العذاب القوي، فانقصمت وتصدعت إلى أشتات بيّنة، وأضحى أمرها واضحا لمن يريد أن يعتبر، صاقب هذا المعطى صفة القوة والوضوح والصفاء في صوت الصاد<sup>(5)</sup>، وحينما تغير السياق وانخفضت شدة الموقف استبدل الخطاب القرآني

(1) الدكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق).

(2) سورة الأنبياء. الآية: 11.

(3) سورة الزخرف. الآية: 32.

(4) الشعراوي، محمد متولي. الخواطر. مطابع أخبار اليوم (د.ت. رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997م) ج15/ص9491.

(5) ينظر: ابن جزري، شمس الدين. النشر في القراءات العشر. تح: علي محمد الضباع. المطبعة التجارية الكبرى، ج1/ص202 // المدخل إلى علم الأصوات. ص 126// تحليلات الدلالة الإيحائية. ص 41.

حرف (السين) ب (الصاد)، لأن السين يمتاز بالهمس والرخاوة<sup>(1)</sup>، وهي الصفات التي تناسب مقتضى عطاء الله تعالى وتقسيمه أرزاق العيش على العباد، فقد "قسم لكل عبد معيشته، وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع، وأذن له في تناولها"<sup>(2)</sup>.

أما من جهة العلامات الصوتية المرتبطة بالأداء وخصائصه النطقية في الكلام، نذكر علامات: التنغيم<sup>(3)</sup>، والنبر<sup>(4)</sup>، والوقف<sup>(5)</sup>، والوصل... بوصفها علامات بانية للدلالة، وتسهم في استنباط المعاني الكامنة في الأساليب؛ فالتنغيم مثلا "يعد قرينة صوتية كاشفة عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير النحوي الدلالي، وهو المسؤول في كثير من الأحيان عن تحديد عناصر الجملة المكونة لها"<sup>(6)</sup>، وتتعدد وظائفه بين النحوية والأصواتية والدلالية<sup>(7)</sup> في اشتغال تفاعلي مع علامات صوتية مصاحبة مثل: (النبر والوقف أو السكت والوصل...)<sup>(1)</sup>.

---

(1) ينظر: ابن جزري، شمس الدين. النشر في القراءات العشر. ج1/ص202.

(2) الرمحشري، جار الله. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل. ط3، دار الكتاب العربي - بيروت، 1407هـ، ج4/ص248.

(3) التنغيم: "مصطلح يستخدم في دراسة الفونولوجيا التطريزية أو الفونولوجيا فوق القطعية ويشير إلى الاستخدام المميز للأصوات الخاصة بدرجة الصوت "pitch" أو اللحن "melody" ويقوم التنغيم بوظائف عديدة في اللغة وأهم وظيفة له أنه يقوم مقام الإشارة "Signal" في البنية النحوية حيث يقوم مقام علامات التقييم في الكتابة، ويكشف كذلك عن المواقف الشخصية للمتكلم مثل السخرية والغضب.. إلخ" (ليونز، جون. اللغة وعلم اللغة. ط 1، دار النهضة العربية، ص 32). أو هو "الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق" (اللغة العربية معناها ومبناها. ص 226).

(4) يعد النبر موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة، وفي المجموعة الكلامية، وحده أنه وضوح نسبي لصوت، أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام (تمام حسان، مناهج البحث في اللغة. المصرية، ص 160).

(5) الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنا يتنافس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الإعراض ويكون في رؤوس الآي وأواسطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا في ما اتصل ربما (الإنتقان في علوم القرآن ج1/ص299).

(6) حماسة، عبد اللطيف محمد. النحو والدلالة، ص117.

(7) يقول تمام حسان: "الوظيفة النحوية هي تحديد الإثبات، والنفي في جملة لم تستعمل فيها أداة الاستفهام فقد تقول لمن يكلمك ولا تراه: "أنت محمد" مقررًا ذلك، أو مستفهما عنه، وتختلف طريقة رفع الصوت، وخفضه في الإثبات عنها في الاستفهام (...). والوظيفة الأصواتية

بالاستماع إلى النسق الأدائي الذي تقرأ به الآية: ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(2)</sup> يمكن أن نصل إمكانات تحليلية متعددة بحسب حدود القراءة التي تتوزع بين استرسال في التلاوة، أو وقف بمس وجهها من وجوه المعنى؛ فإذا وصلت ﴿ذَلِكَ﴾ بما بعدها، وكان الوقف عند ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لا شك أن تكون في ذلك بلاغة ولطافة. وإذا كان الوقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، ثم يكون بعد ذلك الكتاب موصوفا بأنه ﴿هُدًى﴾ أو مسنودا إليه إطلاق الهدى نكون كذلك أمام معنى أوفى وأدق. فالعلامة الصوتية التنغيمية هي التي تسمح بقراءة الآية دفعة واحدة أو في جملتين، لأن طريقة "الأداء تبرز هذه العناصر إبرازا قويا، فضلا عن خصائص التعبير القرآنية الموحية المؤثرة، ذات الإيقاع الموسيقي المناسب لكل جو من الأجواء التي يصورها السياق"<sup>(3)</sup>. نضيف أن أداء الجملة بنغمة مخصوصة وتغيير حركة التشكيل يؤثر في توجيه المعنى أيضا، ويسعف في التفريق بين المعاني، مثل ما تفيدنا به علامة التنغيم في التدقيق بين جملي: التعجب والاستفهام، في قولك:

- ما أجملُ اليوم؟

- ما أجملَ اليوم!

---

للتنغيم هي النسق الأصواتي، الذي يستنبط التنغيم منها أما الوظيفة الدلالية، فيمكن رؤيتها لا في اختلاف علو الصوت، أو انخفاضه فحسب، ولكن في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع في النموذج التي تم فيها النطق" (مناهج البحث في اللغة، ص 164).  
<sup>(1)</sup> يستطيع القارئ تحويل "كلامه إلى دفعات كلامية منفصل بعضها عن بعض، فيقطع لفظا ما عما بعده ثم يبدأ بجديد، وهذا القطع في الأداء يسمى بالوقف، أما إذا استمر في لفظه دون قطع فيكون قام بالوصل" (حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها. ط5، علم الكتب الحديث، 1427هـ-2006م، ص 270).

<sup>(2)</sup> سورة البقرة. الآية: 1.

<sup>(3)</sup> قطب، سيد. في ظلال القرآن. ط17، دار الشروق - بيروت - القاهرة، - 1412 هـ، ج 4 / ص 1962.

يعد النبر كذلك علامة صوتية تحدث أثناء الارتكاز نطقاً على مقطع لفظي معين، سواء على مستوى بنية الكلمة أو على مستوى الجملة. فهو خاصية نطقية تؤثر على المعنى بحملها لمعطيات صوتية تقود إلى توجيه الدلالة وجهة المآل المقصود.

لقد تنبه ابن جني إلى أهمية علامة النبر عند حديثه عن حذف الصفة لدلالة الحال عليها: "هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل<sup>(1)</sup> أو نحو ذلك. وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتّه، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً، فنزيد في قوة اللفظ بـ"الله" هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها"<sup>(2)</sup>.

يظهر من سياق النص أن ابن جني يتحدث عن قضية النبر، وعبر عن دلالاته في الكلام بمفاهيم من قبيل: (زيادة قوة اللفظ) و(التمطيط) و(إطالة الصوت بها وعليها)، وكلها معان تحيل بفائدة أو بأخرى على مدار مفهوم النبر كما حدده أهل اللسانيات المحدثون. إذ بهذا الفهم أشار حماسة هلال لهذه الظاهرة الصوتية، وذلك حينما وصفها بـ (النبر السياقي)<sup>(3)</sup>، وسمّاها محمود السعران بـ (ارتكاز الجملة)<sup>(4)</sup>، والمقصود هو نبر الجملة؛ لأن ثمة صنفين من

---

(1) وذلك في ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. (ابن جني، عثمان. الخصائص، ج2/ص 372).

(2) ابن جني، عثمان. الخصائص، ج2/ص 372-373.

(3) حماسة، عبد اللطيف محمد. النحو والدلالة. ص124.

(4) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

النبر: نبر الكلمة ونبر الجملة<sup>(1)</sup>.

إن البحث في أمر العلامة الصوتية ضمن النسق اللساني هو بحث في الخصائص النطقية لكل صوت، وبحث في النبر وبحث في التنغيم وفي الوقف والوصل وغيرها من العلامات التي لها بصمة في توجيه مسار المعنى. يقول عبد الرحمن بودرع: "هذا باب دقيق في اللغة يكون فيه قصد المتكلم من العبارة عالقا بظاهاها الصوتي، وهو ظاهر حاسم في تأويل معنى العبارة وفهمها"<sup>(2)</sup>، وعليه، يبقى دور العلامة الصوتية مهما وحاسما وذا أثر في الدلالة على الرغم من الطابع الفيزيائي للصوت.

## 2-2- العلامة الصرفية

عرف ابن عصفور الصرف أو التصريف بأنه "معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب"<sup>(3)</sup>، وتكفل الثمانيني بشرح هذا التحديد الاصطلاحي لأمر التصريف بشكل واف، نورده على طوله لأهمية تمثله. يقول: "والتصريف في النحو والتصرف فيه: هو أن تأتي إلى مثال من الحروف الأصول فتشتق منه بزيادة أو بنقص أمثلة مختلفة يدل كل مثال منها على معنى لا يدل عليه المثال الآخر. مثال ذلك أن تأتي إلى مثال "ض. ر. ب" فإن اشتقت منها فعلا ماضيا قلت: "ضَرَبَ"، وإن اشتقت منه فعلا مستقبلا قلت "يُضْرَبُ"، وإن اشتقت منه أمرا قلت "اضْرِبْ"، وإن اشتقت منه نهيًا قلت "لا تَضْرِبْ"، وإن اشتقت منه مصدرا قلت "ضَرْبًا" و"مَضْرِبًا"، وإن اشتقت منه اسما للزمان أو للمكان اللذين يوقع فيهما الفعل قلت: "مَضْرِبًا"، وإن اشتقت منه اسم الفاعل

---

(1) النبر على مستوى الكلمة يكون في مقطع من مقاطعها في بداية الكلمة أو نهايتها أو وسطها، والنبر على مستوى الجملة يكون على مقطع من المجموعة الكلامية المكونة للجملة، والمقطع المنبور هو الذي يحصل بوساطة طاقة أو قوة نطقية على مستوى جهاز النطق توفر شدة وارتفاعا في تردد الصوت.

(2) بودرع، عبد الرحمن. في اللسانيات واللغة العربية، ص 54.

(3) ابن عصفور، أبو الحسن. المتع الكبير في التصريف. ط 1، مكتبة لبنان، 1996، ص 33.

قلت: "ضارِبٌ"، وإن اشتقت منه اسم مفعول قلت: "مَضْرُوبٌ"، وإن اشتقت منه مثالا ليدل على التكرير والتكرير قلت: "ضَرَبٌ"، وإن اشتقت منه مثالا للمفعول الذي لم يذكر فاعله قلت: "ضَرِبٌ"، فإن اشتقت منه مثالا ليدل على استدعائه"<sup>(1)</sup>.

لقد بسط الثماني في هذا النص ماهية العلامة الصرفية ومقومات بنائها انطلاقا من جذر لغوي معين، وأشار إلى مختلف الأبنية التي يمكن أن تنتهي عليها الكلمة، ومن ثم، تستمد هويتها من الصيغة الصرفية أو القالب الصرفي الذي تتشكل في ضوءه، وأن التشكيل المادي الملموس لبنية اللفظ هو الذي يحدد علامته الصرفية مثل: (الفعل بأزمته، الفاعل، المفعول، المصدر، اسم المكان أو الزمان...إلخ).

إن العلامة الصرفية هي "العلامة العالم، فهي القالب أي البنية أو الصيغة، والقالب اسم لما يعرف به الشيء كالحاتم والطابع، فثمة عالم للأسماء وآخر للأفعال وثالث للصفات وتحت هذه العوالم الكبرى عوالم صغرى تندرج تحتها"<sup>(2)</sup>، فالفصائل الصرفية على تنوع بنائها وتباينها لا ترفد المعنى بالدلالة نفسها، وإنما لكل قالب دلالة الخاصة؛ إذ المصادر تستدعي سياقاً غير ما تستدعيه بنية الاسم، ولا بنية الفعل، وكذلك الشأن بالنسبة لعلامات التنكير والتعريف والعدد وإفراداً وتثنية وجمعاً، والفعل من حيث التجرد والزيادة وزمن المضى والحال والاستقبال، ومن جهة البناء للمعلوم أو للمجهول، فضلا عن دلالات المشتقات وتفرد كل من اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم الزمان أو المكان بمعان مخصوصة تتوافق مع السياقات الواردة فيها. وهذه الخصائص البنائية هي التي تسمح بتحديد صنف العلامة الصرفية في الكلمة، وهي التي تجعل الأمانة الصرفية بأنها موجودة بالقوة والفعل في

(1) الثماني، عمر بن ثابت. شرح التصريف. ط1، تح: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، 1419هـ-1999م، ص211.

(2) الدكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق)، ص203 - 204.

الكلمة<sup>(1)</sup>.

على هذا الأساس، تنفرد القرينة الصرفية بإجاءاتها الخاصة، حيث يستدعي معناها التعبير عن الأغراض وحاجات التخاطب اللجوء إلى المعنى الصرفي لإضفاء الضبط والتميز على الأسلوب والعبارة. وهو المعنى الذي يصاغ بدقة وشفافية في قالب البنية الصرفية، لأن كل لفظ "له معنى لغوي، وهو ما يفهم من مادة تركيبه، ومعنى صيغي وهو ما يفهم من هيئته أي حركاته وسكناته وترتيب حروفه"<sup>(2)</sup>، من حيث إن مقومات البناء اللساني للعلامة الصرفية يتحدد من خلال طبيعة الأصوات التي يتركب منها هيكل اللفظ، وطريقة ترتيب حروفه نطقاً وتشكيلاً وحركة وزيادة ونقصاناً، وتذكيراً وتأنثياً، وإفراداً وجمعاً، وقلة وكثرة... فتعبر "عن" معانٍ نحوية كالجنس "مذكر: مؤنث، محايد"، والعدد "مفرد: مثنى: جمع"، والشخص، "متكلم: مخاطب: غائب، إلخ"، وزمن الفعل "ماض: حاضر: مستقبل... إلخ"<sup>(3)</sup>.

اللافت أن دور هذه الإمكانيات الصرفية "يتمثل في تحديد البنية الداخلية للكلمة، كما أنها تمكننا من الكشف عن الإواليات المتحكمة في توليد المعنى المعجمي للكلمة، الذي يتحول إلى معنى وظيفي حسب سياق ورود الكلمة ذاتها"<sup>(4)</sup>. وليست الدلالة الثابوية في الصيغة الصرفية هي الاكتفاء بتحديد البناء الصرفي للكلمة الذي نستوحي منه معناها المعجمي، بل هي فضلاً عن ذلك، تحصيل لفحواها داخل السياق المقتضي لحضورها؛ حيث تكون حاملة لدقائق الإشارات، وأسرار المقاصد.

---

(1) الملخ، حسن خميس. التفكير العلمي في النحو العربي. ط1، دار الشروق 2002، عمان، الأردن، ص 173.  
(2) الكفوي، أبو البقاء. الكليات، تح: عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة - بيروت. د.ت. ص 994.  
(3) السعران، محمود. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. ط 2، دار الفكر العربي، - القاهرة، 1997، ص 190.  
(4) أدراوا، يوسف. دور الخصائص النطقية لأصوات اللغة في توجيه المعنى القرآني (مرجع سابق).

ولتأكيد أهمية العلامات الصرفية في توجيه المعنى نستشهد بهذا الصنف من الصيغ: (طالق) و(عاقِر) و(مرضع) و(حائض)، و(حامل)، فهي كلمات أو صفات تقال للمؤنث من دون علامة التأنيث المميزة للفظ المؤنث، وإذا كان السؤال: لم هذا الاستثناء؟ فالجواب هو أن "طالقا وحائضا وطامنا إنما حذفت تاؤه لعدم الحاجة إليها، فإن التاء إنما دخلت للفرق بين المذكر والمؤنث في محل اللبس، فإذا كانت الصفة خاصة بالمؤنث فلا لبس، فلا حاجة إلى التاء، هذا هو الصواب في ذلك"<sup>(1)</sup>؛ أي: توصف المرأة بصفة "حامل" تلك التي تحمل جنينا في بطنها، لأن الحمل من اختصاص النساء بيولوجيا، لذلك، حذفت التاء من البنية لعدم اشتراك الجنسين في الوظيفة، بسبب أن الحمل الذي فعله (حَمَل) متعلق بالأرحام، ولا يمكن توقعه عند الرجل، بينما إذا كان الكلام على الشيء الذي تشترك فيه المرأة والرجل حينئذ نلجأ إلى التفريق بالهاء الفارقة، فنقول امرأة حاملة ورجل حامل من الفعل (حَمَل)<sup>(2)</sup>.

إن هذا الفهم الواعي بخصوصية العلامة الصرفية هو ما وقفنا عليه في كتاب سيبويه، حين قال: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النزوان، والنقران؛ وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع. ومثله العسلان والرتكان"<sup>(3)</sup>، ثم أضاف "ومثل هذا الغليان، لأنه زعزعة وتحرك. ومثله الغنيان، لأنه تجيش نفسه وتثوّر. ومثله الخطران واللمعان، لأن هذا اضطراب وتحرك"<sup>(4)</sup>.

(1) الجوزية، ابن قيم. بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج 3/ ص 28.

(2) يقول ابن السكيت: فمن قال: "حامل"، قال: هذا نعتٌ لا يكون إلا للمؤنث، ومن قال: حاملةٌ بني على حَمَلتْ، فإذا حملت شيئاً على ظهرٍ أو رأسٍ، فهي حاملةٌ لا غير؛ لأن هذا قد يكون للمذكر" (ابن السكيت، أبو يوسف. إصلاح المنطق. ط 1، تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، 1423 هـ - 2002 م، ص 11)، ويعلل ذلك الأنباري نقلا عن حجاج الكوفيين فيقول: (لأن علامة التأنيث إنما دخلت في الأصل للفصل بين المذكر والمؤنث، ولا اشتراك بين المؤنث والمذكر في هذه الأوصاف من الطلاق والطمث والحيض والحمل، وإذا لم يقع الاشتراك لم يفتقر إلى إدخال علامة التأنيث؛ لأن الفصل بين شيئين لا اشتراك بينهما بحال محال) (الأنباري، أبو البركات. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. ط 1، المكتبة العصرية، 1424 هـ - 2003 م، ج 2/ ص 625).

(3) سيبويه. الكتاب. ج 4/ ص 14.

(4) المصدر نفسه.



نظر سيبويه في هذه الأمثلة إلى البنية الصرفية التي جاءت في قالب مورفولوجي موحد، فانتهى به الاستقراء إلى معاني: (الحركة والاهتزاز والاضطراب)، لأنه لاحظ أصبحت مطردة وشائعة في هذا الوزن الذي هو على مثال واحد من حيث صيغة (فَعْلان) على الرغم من التبدلات التي تحدث على مستوى الأصوات.

لا شك أن ابن جني تنبه إلى هذا النحو في الفهم عندما أشار إلى ما ينبعث من علامة الفعل: (استفعل) من دلالة مخصوصة، فقال: "ومن ذلك أنهم جعلوا "استفعل" في أكثر الأمر للطلب، نحو: استسقى واستطعم واستوهب واستمنح، واستقدم عمرا، واستصرخ"<sup>(1)</sup>، فالصيغة واحدة، والدلالة الأساسية التي توحد بنية الكلمات هي الطلب، بينما الانصهار في السياق الوظيفي هو الكفيل بتحديد المعاني الدقيقة التي تنسحب على التعبير في الجمل والعبارات.

إن لكل عالم من عوالم العلامة الصرفية موازين وصيغ تفيد في التدليل على معنى عام يرشد إلى التدليل على المقاصد الدقيقة المتوخاة من الخطاب، ومن ذلك: قالب (تفاعل وفاعل) الذي يدل على المشاركة، وصيغة (فَعَل) التي تدل على التكثر، و(استفعل) على الطلب، و(انفعل وافتعل) تدل على المطاوعة، ثم (أفعل) تدل على التعدية...

وإذا تأملنا الدفع الذي تمدنا به آيات القرآن الكريم، نستطيع أن نستشهد بفاعلية العلامة الصرفية في توجيه الفهم القرآني من خلال المفردتين في النموذجين الآتين: [أسقى] في الآيتين: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي شَاهِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾<sup>(2)</sup>، و﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(3)</sup> و [سقى] في

(1) ابن جني، عثمان. الخصائص. ج 2/ص 155.

(2) سورة المرسلات. الآية: 27.

(3) سورة الجن. الآية: 16.

الآية: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾<sup>(1)</sup>.

لقد جاءت كل علامة بما تمتاز به من دلالة لتستجيب لموجهات المقام، لأن السياق يختلف من حيث الزمان والمكان والأحوال؛ فالعلامة الصرفية الأولى/ (أسقى) على وزن (أفعل)، والثانية/ (سقى) على وزن (فعل)، والصيغة الأولى رفدت بالهمزة لأن الإسقاء في الدنيا يكون بناء على مشقة وتكلف، بينما انعدمت الهمزة في آية سورة الإنسان، لأن السقيا في الآخرة -وهي دار الرخاء والمتاع- تكون بلا جهد ولا تكلف. لذلك، استدعى السياق في الآية الأخيرة الفعل "بغير همز لما لا كلفة معه في السقيا، فأخبر أن السقيا في الآخرة لا يقع فيها كلفة بل جميع ما يقع فيها من الملاذ يقع فرصة وعفوا بخلاف [أَسْقَى] بالهمزة فإنه لا بد فيه من الكلفة بالنسبة للمخاطبين، لأن الإسقاء في الدنيا لا يخلو من الكلفة أبدا"<sup>(2)</sup>.

ملاك الأمر، نقول إن اشتغال العلامة الصرفية يبقى رهين إطار نسق أو نظام تحكمه بنية تتقاسمها وحدات لغوية متعاقبة، يؤثر بعضها في بعض من حيث التجاور والترتيب والعلّة. هذا النظام أو لنقل هذا النحو هو الذي نبه إليه تشومسكي حيث تتضافر البنية الصرفية في اللغة مع بنية دلالية تسمى البنية المورفونيمية، أي بنية دلالة الصيغ، وإن شئت فقل بنية القوالب الاشتقاقية<sup>(3)</sup> لخدمة المعنى في سياق الورد. إن "الدلالة في الصيغة الإفرادية ليست هي دراسة التركيب الصرفي للكلمة الذي يؤدي إلى بيان معناها المعجمي، بل هي بالإضافة إلى ذلك، بيان لمعنى صيغتها خارج السياق وداخله؛ وهذا يؤكد صلة علم الصرف بعلم الدلالة؛ فكلاهما متكاملان ومتداخلان لا

(1) سورة الإنسان. الآية: 21.

(2) الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم. البرهان في علوم القرآن. ط 1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376 هـ - 1957 م، ج 3/ص 385.

(3) المسدي، عبد السلام. العربية والإعراب. ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010، ص 144.

يمكن الفصل بينهما<sup>(1)</sup>. فالدلالة الصرفية إذن، علامة أساسية في بناء المعنى من حيث إن كثيرا من المعاني التي لولا العلامة الصرفية لما برزت قوتها، ولا تحدد مقصدها بالدقة اللازمة؛ إذ المبنى يرفد المعنى بما لا يمكن تحصيله إلا بالعلامة الدالة عليه، فلا يمكن أن نفهم الآية الكريمة التي يقول فيها سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾<sup>(2)</sup>، إلا في ظل القوة الدلالية لاسم الفاعل (خالق) العامل في المفعول (بشرا) ، ولا ندرك دلالة اسم المفعول (المرسلين) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(3)</sup> إلا في ظل المبنى الذي يميز هذا المشتق عن غيره. وكما في قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(4)</sup>. حيث جاءت لفظة (الخوالف) وهي جمع للإناث فُصِدَ بِهَا الرِّجَالُ مِمَّنْ قَعَدُوا عَنْ نَصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَجَاءَ ذَمُّهُمْ وَتَأْنِيهِمْ بِوَصْفِهِمْ أَنَّهُمْ مِنَ (الخوالف) وهن النساء اللواتي أقعدهن عذر عن الخروج مع رسول الله، فجلسن في بيوتهن. فجاء تشبيه الرجال بالنساء مخصوصا من جهة الصيغة الصرفية للمبالغة في ذمهم وإنكار صنيعهم<sup>(5)</sup>.

## 2-3- العلامة النحوية

تعد العلامة النحوية، من جهة، هي "العلامة العلام فإنها ملاك التركيب وهي علامة معنوية يندرج تحتها أنواع الإسناد، وأصناف الإضافة، وأنماط الإتيان وكلا يعقل العقل بعقال المعنى مقيما النسبة المعنوية بينهما<sup>(6)</sup>.

(1) مطهري، صافية. الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية. من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق-2003، ص7.

(2) سورة ص. الآية: 71.

(3) سورة ص. الآية: 71.

(4) سورة ص. الآية: 71.

(5) ينظر: نحو العلامة الوجودي والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة- ص 30، (مرجع سابق).

(6) عبد النبي، الدكير. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بغيرها (مرجع سابق).

معنى ذلك أن القرينة النحوية هي عماد الجمل، وعليها تدور رحى المعنى والدلالة، فهي تتركز على أركان إسنادية: الجملة الفعلية والجملة الاسمية برتبها وأحوالها، وتحتضن نماذج من الإضافة: اللفظية والمعنوية، وتكتمل بصور الإتيان: توكيدا وصفة وبيانا ومزاوجة وغيرها. تتحصل في ضوء هذه العلامات معاني نحوية انطلاقا من روابط معنوية تنسب بعضها إلى بعض، لأن كل معنى يعد حصيلة لنظم معين؛ أي إن المنوال النحوي الذي يتهيأ على منهاجه المعنى يشكل قاعدة أساسية لتحديد مفاصل العلامة النحوية.

من جهة أخرى هي "العلامة العيلم"<sup>(1)</sup>. فهي حركة إعراب: رفع ونصب وجر وجزم. حركة نظيرة لرسيلتها السابقة فتحدث فقط بعد الحرف الأخير من الكلمة حرف إعراب، وتتعاقب عليه للمعاني الوظيفية التي تَعَوُّزُ الكلمة من فاعلية أو مفعولية، ومن إضافة أو تبعية، ومن نفي أو نهي، ومن شرط أو جزاء"<sup>(2)</sup>.

لا ريب أن تكون العلامة الإعرابية قرينة محورية في البناء النحوي العربي، فهي عنصر أساسي في فتح مغلق المعنى في الجملة العربية، اكتسبت قيمة وظيفية لا يمكن تجاوز دورها في تحصين المعنى، فلا يمكن أن تنفصل عن حركية اللفظ داخل التركيب.

لا يمكن إذاً، الحديث عن العلامة النحوية إلا في ضوء العلامتين السالفتين وما يتصل بهما من قرائن لفظية ومعنوية من: رتبة وتقديم وتأخير وحذف وإضمار وإظهار ووصل وفصل وغيرها من العناصر، غير أنها لن تجدي نفعا إلا إذا احتكمت إلى نظام النحو العربي، لأنه إذا أُلْفُ الكلام اعتباطا "وأبطل نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغير ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد، نحو أن تقول في:

---

(1) يقال العَيْلَمُ هي البحر أو البئر الكبيرة الكثيرة الماء، استعيرت هنا مصطلحا علاماتيا للدلالة على كثرة المعاني الوظيفية لهذه العلامة.

(2) عبد النبي، الدكير. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها (مرجع سابق).

"فقا نيك من ذكرى حبيب ومنزل" منزل قفا ذكرى من نيك حبيب، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهديان"<sup>(1)</sup>.

يتضح من هذا الكلام أن عبد القاهر الجرجاني كان أكثر تركيزاً واهتماماً بالقيمة الدلالية والمعنوية لبنية النظم من حيث الترتيب والتعليق بين مكونات التركيب في التعبير؛ إذ سيؤدي كل اختلال في طريقة بناء الكلام أو كل تغيير في نسق النظم إلى اختلال مسلك الدلالة، بل قد لا يتحصل المعنى إطلاقاً.

من هنا، يظهر أن دلالة العلامة النحوية تستمد وجودها من التلاحم المفترض بين الوحدات اللسانية الذي يحقق الفائدة في الكلام؛ فالعلاقة بين كلمتين أو أكثر محكومة بقاعدة الإسناد التي تخضع بدورها لمقتضيات معاني النحو؛ إذ طبيعة المقاصد المعبر عنها وصورها المرتمسة في الذهن توجه البنية التي عليها يخرج الكلام مرصوفاً لفظاً أو كتابة، حيث توجد ثمة علاقة بين تحولات البنية الشكلية والتشكيل الدلالي<sup>(2)</sup>؛ فالمعاني والدلالات تعرض بطرق خاصة، ونحن نتلقى تلك المعاني والدلالات بالترتيب الذي يقدمه لنا الكلام، أي في الصور والأشكال التي تظهر فيها الجمل والعبارات، هذه الصور والأشكال أو قل هذا التركيب والتأليف هو الذي يخضع لقوانين ضابطة في النظام النحوي للغة العربية.

الظاهر أن الفروق الدلالية في العلامات النحوية الآتية: "زيد منطلق" و"زيد ينطلق"، و"ينطلق زيد" و"منطلق زيد"، و"زيد المنطلق" و"المنطلق زيد" و"زيد هو المنطلق"، و"زيد هو منطلق" ليست على فهم واحد، أو ليست على معنى موحد، بل لكل إسناد معانٍ نحوية خاصة وفروق دلالية مميزة، تستمد خصوصيتها ودقائقها من التقديم والتأخير الحاصل بين اللفظتين: (زيد) و(منطلق) ومن صيغة حدث (الانطلاق) ومن إظهار الضمير أو إخفائه

(1) الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. ص 5.

(2) عنبر، عبد الله. نظرية النحو الجرجاني. مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مجلد 29، عدد 2، عام 2002، ص 377.

ومن التنكير والتعريف في الاسم المشتق... فتغيير موضع الكلمات في الجملة أفضى إلى تغيير في الوظيفة النحوية الذي أدى بدوره إلى تغيير في المعنى.

لا يخفى أن العلامة النحوية في بعدها الدلالي قد نالت نصيبها من الاهتمام في كتاب سيبويه، وخاصة في باب المسند والمسند إليه وباب الاستقامة من الكلام والإحالة. فقد أطلق أحكام الاستقامة والحسن والكذب على بعض التراكيب اللغوية بناء على قيود ما نسميه بالعلامة النحوية في اللسان العربي، فالكلام عند سيبويه منه "مستقيم حسن"، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"<sup>(1)</sup>، والاستقامة النحوية لا تفيد بالضرورة الصحة الدلالية، ولذلك وصف الكلام الذي توفرت فيه أسباب الاستقامة نحويًا ب: الحسن أو الكذب أو القبيح، فكل جملة صحيحة ((نحويًا)) تعد جملة مستقيمة، ولكن الحكم على هذه الاستقامة النحوية بالحسن أو بالكذب يتعلق بالمعنى الذي تفيده عناصر الجملة عندما تترايط نحويًا<sup>(2)</sup>.

لقد نال التركيب: "أتيتك أمس" من الحسن والاستقامة نصيبه عند سيبويه، لا لشيء إلا لأنه بناء حافظ على سنة العرب في تنسيق الكلام، ولأن الفعلية والفاعلية والمفعولية والظرفية مقولات انسجمت وظيفيًا في هذا المنوال النحوي، ولم "تتصادم فيه قواعد الاختيار في الوظائف النحوية والمفردات بدلالاتها الأولية"<sup>(3)</sup>. الشيء نفسه يقال عن جملة: "سأتيتك غدا"، وهو ما يمكن وصفه بالعلامة النحوية الصحيحة نحوًا ودلالة.

أما حينما نصرّف النظر إلى جملة: "حملت الجبل"، و"شربت ماء البحر" فعلى الرغم من وجهة الاستقامة النحوية فيها، إلا أن الدلالة التي ترشح من تلاحم الكلمات جعلت صاحب الكتاب يصف التركيب ب: (المستقيم

---

(1) سيبويه. الكتاب. ج1/ ص 25.

(2) حماسة عبد اللطيف، محمد. النحو والدلالة. ص 66.

(3) المرجع نفسه. ص 68.

الكذب)، كذب، لأنها غير مستساغة عقلا، ولا يمكن تحققها منطقيا، حيث لا يصح وقوع الفعل الإنساني الذي هو الحمل أو الشرب على المفعول المادي الجبل أو ماء البحر مع استبعاد الاحتمال المجازي في تناول، لأن الحديث هنا يقتصر على المعنى الوضعي الأول، وليس المجازي، وعليه، تكون الصحة الدلالية قد اختلت، بينما حافظ البناء النحوي على نظام اللغة المعمول به في التواصل العربي. وهو ما يمكن أن يوصف بالعلامة الصحيحة نحويا والمختلة دلاليا.

وحينما وضع اللفظ في غير موضعه كما في المثالين<sup>(1)</sup>: "قد زيدا رأيت" و"كي زيدا يأتيك" فإن الاختلال وقع على مستوى النظام اللساني المجرد الذي لا يقبل أن تدخل (قد) و(كي) على الاسم، بينما المعنى حافظ على مقبوليته، ولذلك وصفه سيويه بالكلام المستقيم القبيح<sup>(2)</sup>، بسبب أنه لا يحتكم إلى ضوابط التركيب المعمول بها في النظام اللغوي العربي.

أما من جهة الحديث عن العلامة النحوية المختلة نحويا ودلاليا نكون أمام وضعية لسانية غير خاضعة لمنطق الإسناد العربي، ولا لمنطق تشكيل المعنى انطلاقا من تأليف كلمات لها معان أولية، بل النظم في هذا المثال مجرد ترصيف عشوائي لمفردات معينة، ترصيف لا تجنى من ورائه فائدة تذكر، كما هو الشأن في المثال الذي ساقه الجرجاني عندما استبدل الترتيب المحكوم بقواعد الإسناد في جملة: (قفا نبك من ذكرى حبيب) بالترتيب الاعتباطي: (منزل قفا ذكرى من نبك حبيب)، فهذا الاضطراب الذي وقع نحويا ودلاليا أزاح التعبير من "كمال البيان"، إلى "مجال الهذيان"، وأصبحت الكلمات على ذلك الترتيب الفاسد "في حكم الأصوات التي حقها أن

---

(1) سيويه. الكتاب. ج 1/ ص 26.

(2) المصدر نفسه، ص 26.

ينعق بها غير معربة لأن الإعراب لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب"<sup>(1)</sup>، والإعراب ههنا بيان المعنى وإظهار المراد الناتج عن تعالق الكلمات في تركيب مسدد نحويًا، لأن اختلاف الوظيفة النحوية يقود إلى اختلاف الدلالة المتوخاة من اللفظة في التأليف.

صفوة القول، نقول إن النظام النحوي ليس "معداً للكلمات الهوائية أو للفراغ، ولكنه معد لأن تتحقق في علاقاته المفردات الملائمة بدلالاتها الأولية التي تتفاعل مع الوظائف النحوية تفاعلاً يكسبها معناها المناسب ويتحقق به المعنى"<sup>(2)</sup>، إذ تستلزم العلامة النحوية، وفقاً لهذا التصور، تكاملاً وانسجاماً بين مكوني: النحو والدلالة، لتحقيق المعنى النحوي وإنتاج التعبير الصحيح أو المستقيم الحسن بتعبير سيوييه، وذلك أنه لا مناص من ترتيب عناصر الجملة العربية وفق قواعد نظامها الذي يحكمه نُحُوٌّ خاص ومنطق خاص، تتفاعل فيه المقومات النحوية والإمكانات الدلالية.

## 2-4- العلامة المعجمية

استأثرت دراسة العلامة المعجمية باهتمام المناهج اللغوية منذ زمن بعيد، إذ ما فتئت تعالج المعنى المعجمي أو تدرس معنى الكلمة المفردة بوصفها الوحدة الأساسية لكل من النحو والسيمانتيك<sup>(3)</sup>. فهي تُعرّف، أي العلامة المعجمية بأنها المعلومات الأولية التي تحملها المفردة اللسانية قبل دخولها في سياق التخاطب، فهي المعنى الخام الذي يؤشر عليه مضمون الكلمة في المعجم بوصفه المرجع العام الذي تتكئ عليه دلالة العلامة اللغوية في أثناء رواجها في أي سياق تداولي. لهذا، يمكن القول إن معنى العلامة في مدخلها المعجمي هو "معناها المحايد المسجل في

---

(1) الرمخشري، جار الله. المفصل في صنعة الإعراب. ط1، تح: علي بو ملحم. مكتبة الهلال - بيروت، 1993، ص 43.

(2) حماسة عبد اللطيف، محمد. النحو والدلالة. ص 85.

(3) مختار عمر، أحمد. علم الدلالة. ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 53.



القاموس. وهو معنى موضوعي موضوع باستقلال عن استعمالها في أي سياق لغوي، وبمعزل عن أي استعمال فعلي لهذه الوحدة في علاقاتها بوحدات أخرى<sup>(1)</sup>. وحينما ينتقل اللفظ من المخزون المعجمي ويدخل في علاقات نحوية مع أمثاله، فإنه يكتسب دلالة سياقية يحددها النسق المنظم لما يحيط به من ألفاظ وكلمات، ومن ثمة، فالعلامة في بعدها المعجمي هي الدلالة الوضعية اللفظية<sup>(2)</sup>.

تتضافر العلامة المعجمية مع مجموعة من العلامات الأخرى لرفد الخطاب بالمعنى المقصود من تداوله، فحينما تتموقع في بنية الجملة، فإن معناها يتجدد وينخرط في حركية دلالية تخدم وجهة المعنى، معنى ذلك أنها "تثبت على صورة سمعية وتؤدي وظيفة نحوية، أو وظيفة تعلو فوق الدرجة الصفر نحواً، ويكون لها معنى"<sup>(3)</sup>. وهذا المعنى هو الذي تتأهل للإسهام في إخراجه وتوصيله إلى المتلقي، وكأن اللفظ في المعجم يكون ساكناً مجرداً، وحينما يوظف في العبارة يتم تحيينه وتنشيط فاعليته.

يظهر دور العلامة المعجمية أكثر أهمية حينما تكون لها الأولوية في الفهم والبيان، وخاصة إذا تعلق الأمر بالخطاب القرآني لخصوصيته ومصدريته. لقد أوصى العلماء بالبدء في ذلك من "العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداية به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبينه"<sup>(4)</sup>. يعد هذا الإجراء خطوة ضرورية ومنطقية منهجياً، لأن معرفة المعنى في بنائه النحوي يمر عبر العلم بمفرداته في بعدها المعجمي، لأن اللفظة عندما

---

(1) غلفان، مصطفى. اللغة واللسان والعلامة. ص 255.

(2) ينظر: التهانوي، محمد بن علي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تقديم: رفيق العجم تح: علي دحروج، ترجمة: عبد الله الخالدي، جورج زيناوي. ط1، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - 1996م. ج1/ ص 790.

(3) عياشي، منذر. العلاماتية. ص 134.

(4) الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن. ج2/ ص 173.

تدخل في تفاعل نحوي مع ألفاظ أخرى، فإنها تكتسب دلالة يقتضيهها المقام، وهذه الدلالة تستوحي ماهيتها مما تستودعه اللفظة من معنى عام مسجل في المعجم.

وعليه، تتكون الدلالة المعجمية من دلالة قاموسية افتراضية ممكنة، ودلالة استعمالية سياقية<sup>(1)</sup>، لأنها تكون ذات وجهين: وجه تستمد ملامحه من البنية المعجمية القاموسية، ووجه تستوحي تقاسيمه من النظم الذي تشارك فيه. فوضع الكلمة في التركيب يتوقف على معناها المعجمي، فنحن نختار الألفاظ التي تناسب دلالتها السياقية الذي ترد فيه فكل كلمة تتعلق بسياقها التركيبي<sup>(2)</sup>.

نستشهد توضيحاً لذلك بما جاء في الخطاب القرآني في سورة يوسف. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾<sup>(3)</sup>. لا مناص من عود القارئ إلى المعجم لاستمداد المعنى المعجمي للفظ: [المتكأ]، لأنها تسعف في استيعاب المعنى المراد من الآية. ومن المعاني المعجمية للمتكأ: هو ما يُتكَأ عليه لطعام أو شراب أو حديث، وقيل للطعام متكأ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا. والتكأة من النعمة<sup>(4)</sup>. وبذلك، يظهر أن دلالة (المتكأ) في ظل السياق تذهب في اتجاه توفير أسباب الراحة والمتعة (الأكل والشرب) والبسط في مجلس وثير كان من إعداد امرأة العزيز. واللافت أن ما يرجح ورود هذا المعنى في الآية هو تمكين كل واحدة من نساء المجلس من سكين ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا﴾<sup>(5)</sup>، ولعل من الطعام ما يحتاج فيه إلى السكين لتيسير أكله. لذلك، فالمتكأ

---

(1) حمداوي، جميل. الآليات السيميائية لتوليد الدلالة في النصوص والخطابات. دنيا الوطن، الشبكة العنكبوتية.

(2) عكاشة، محمود. التحليل اللغوي في ظل علم الدلالة. دراسة في الدلالة الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية. ط2، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011. ص 10.

(3) سورة يوسف. الآية: 31.

(4) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. ط 3، دار صادر - بيروت، - 1414 هـ، ج 1/ص 200.

(5) سورة يوسف. الآية: 31.

"كلمة تصور من الطعام ذلك النوع الذي إنما يقدّم تفكّهما وتبسّطا وتحميلا للمجلس وتوفيرا لأسباب المتعة فيه، حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال عليه في حالة من الراحة والالتكاء"<sup>(1)</sup>.

نبقى في سورة يوسف، لنضيف استشهادا آخر يركي أهمية العلامة المعجمية في تحصيل الدلالة القرآنية، وذلك أن الفهم يقتضي في سياق قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾<sup>(2)</sup> التركيز على مفردة: (أكل) وسبب ورودها عوضا عن "افترس". يبدو -والله أعلم- أن الافتراس هو الحدث الاعتيادي من الوحش والسباع، والأصل في الفرس دق العنق [...]. من فرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها<sup>(3)</sup>، لكن الأسلوب القرآني آثر التعبير بـ: ﴿فَأَكَلَهُ﴾، ولم يستعمل: (افترسه)، ليناسب التوهم الذي راود القوم (إخوة يوسف)؛ إذ لما كان مرادهم هو طمس أي أثر لفعالهم، وإخفاء أي بصمة قد يطالب بها الأب عند سماع خبر موت يوسف، عمدوا إلى إخباره بحدث الأكل الذي يضمّر معاني الاختفاء التام للشيء المأكول، الشيء الذي لا يدع أي فرصة ليعقوب للمطالبة بدليل يصدق دعواهم في حق يوسف.

نلفت الانتباه في نهاية هذه النماذج من العلامات اللغوية إلى أن هناك علامات لغوية أخرى لم نذكرها في هذا المقام لكون المستويات اللسانية معروفة فلا حاجة أن نطيل في تعدادها، منها العلامة الدلالية والعلامة السياقية وغيرها من العلامات ذات الصلة باللغة والدالة على معنى من المعاني.

---

(1) مسلم، مصطفى. مباحث في إعجاز القرآن. ط 3، دار القلم - دمشق، 1426 هـ - 2005 م، ص 139.

(2) يوسف. الآية: 17.

(3) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. ج 6/ ص 161.

### 3- أنواع العلامة غير اللغوية

#### 3-1- مقومات العلامة الوجودية

بنظرة متأملة في مظاهر هذا الكون المفتوح على مصراعيه للأبصار والعقول، نلاحظ أنه علامات وجودية موحية تنطوي على مدلولات تشكل حافزا للعقل الإنساني للاستدلال بها، وإدراك المعاني والأسرار الخفية وراء آثارها الحسية المنظورة. إن العلامات الوجودية بمختلف أبحاثها وأصنافها سواء كانت ساكنة أو متحركة، صامتة أو ناطقة، ثابتة أو سارية وسائط دالة، على الإنسان استثمار وجودها لفهم حقيقة الكون والإنسان والأشياء.

لقد أدرك ابن وهب هذه الحقيقة حينما قال: "الأشياء إذا تبينت بذواتها للعقول، وترجمت عن معانيها للقلوب، صار ما ينكشف المتبين من حقيقتها معرفة وعلمًا مركوزين في نفسه"<sup>(1)</sup>، فمتى استخلص المرء من أشياء الكون المنصوبة مدلولات ومعاني هادية إلى الحق، يكون قد استثمار وظيفتها الوجودية بوصفها أنظمة من العلامات الدالة. يظهر ذلك جليا في كلام الجاحظ الذي صرح بأن الدلالة تحصل أيضا بما سماه (النسبة) أي العلامات الوجودية الناطقة بجالها، "وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان"<sup>(2)</sup>.

ينم هذا الكلام عن وعي عميق بما يمكن للعلامة الوجودية أن تلعبه من دور حاسم في تسخير المعنى ونقل الدلالة إلى المتلقي بغير صوت أو من دون خط سواء كانت علامة ثابتة أو متحركة. يقول الله سبحانه وتعالى:

---

(1) الكاتب، ابن وهب. البرهان في وجوه البيان. تح: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة،

1389 هـ - 1969 م، ص 88.

(2) الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبيين. ج 1/ص 86.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(1)</sup>. لا يعدو أن يكون كل هذا التسخير المختلف الآيات في جوهره سوى علامات وجودية ترتسم دليلا بانيا للمعنى لكل من أعمل العقل في ملكوتها؛ إذ تسمح هذه الآثار الكونية المنظورة والمنظومة للمتدبر لها والمتفكر فيها باستخلاص أسرار الهدى، ومعاني الرشد ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(2)</sup>، والنظر يشمل النظر البصري والعقلي.

ولهذا، تغدو العلامة في صنفها الوجودي أمانة على وجود شيء ما، وكل موجود له سيمياء وجودية؛ أي: إنه علامة في ذاته. علامة على معنى يدل عليه وجوده، وتلك حكمته الخلقية، ومعناه التكويني، وغايته الوظيفية، من حيث كينونته ومصيره<sup>(3)</sup>. ولذلك اقتضت حكمة الله أن يتقدم هذا الوجود للإنسان المستخلف في الأرض في شكل علامات كونية متكاملة ومنسجمة، يسهل عليه استيعابها وفهمها والاندماج فيها بوصفه هو نفسه علامة.

تستدعي العلامة في بعدها الوجودي بوصفها عنصرا محفزا ومثيرا فهما أو تأويلا يحصل على مستوى الدهن؛ فمشاهدة الدخان مثلا علامة تدل على وجود النار، ورؤية الغيوم إشارة تدل على المطر، وكلمة (حصان) دليل على أن الأمر يتعلق بجيوان... لأن المعنى هو القضية "التي يتم خلالها ربط الشيء والكائن والمفهوم والحدث بعلامة قابلة لأن توحى به"<sup>(4)</sup>. إن هذا الربط بين الدال والمدلول مبعثه المرجعية الوجودية والاجتماعية التي تقتضي

(1) سورة البقرة. الآية: 164.

(2) سورة يونس. الآية: 101.

(3) الأنصاري، فريد. سيمياء المرأة في الإسلام. ص 16.

(4) بيار، غيرو (Pierre Guiraud). علم الدلالة. ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، 1986، ص 15.

توظيف الوسائط والرموز لحصول التواصل وقضاء الأغراض.

تلك هي المنهجية التي ينطلق منها القرآن الكريم لاستعراض علامات وجودية بارزة خليقة بالتقصي والتتبع والقراءة المتأملّة، لأنها تشكل دعائم متميزة في توجيه الفهم وحصول المقصود، نذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(1)</sup>، وقوله عز وجل: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(3)</sup>. إن الاستدلال بالعلامات الشاهدة على الغائبة قاعدة مألوفة في منهج الخطاب القرآني نظرا لقيمة العلامة الوجودية بوصفها موضوعا للتفكير الإنساني والتدبر والاعتبار، لأنها تفصح عن نفسها وتبين عن مضمونها لمن أراد البيان والتبيين. قال الجاحظ "سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا"<sup>(4)</sup>.

نسوق ههنا، منهج ابن عباس رضي الله عنه الذي قاده إلى تحديد الزمن المحتمل لليلة القدر، منهج استقرأ من خلاله علامات وجودية، ليتوصل في ضوئها إلى مضامين استنباط أيّ ليلة هي؟ يقول ابن عباس: "دَعَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَاجْتَمَعُوا أَهْمًا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَقُلْتُ لِعُمَرَ إِنِّي لَأَعْلَمُ وَإِنِّي لَأُظَنُّ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ"، قَالَ وَأَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ قُلْتُ: "سَابِعَةٌ تَمْضِي أَوْ سَابِعَةٌ تَبْقَى مِنْ

(1) سورة آل عمران. الآية: 190.

(2) سورة النحل. الآية: 16.

(3) سورة الزمر. الآية: 21.

(4) الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبيين. ج 1/ص 86.

الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ"، قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: "خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعَ أَرْضِينَ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ وَأَنَّ الدَّهْرَ يَدُورُ فِي سَبْعٍ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ فَبِأَكْلٍ وَيَسْجُدٍ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ، وَالطَّوْفُ سَبْعٌ، وَالْجِبَالُ سَبْعٌ"، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ فَطِنْتَ لِأَمْرِ مَا فَطِنَّا لَهُ"<sup>(1)</sup>.

يظهر جليا أن القراءة الفاحصة الدقيقة للعلامات الوجودية بمختلف أبعادها الدينية والجغرافية والإنسانية والزمنية، وربطها بالعلامة اللغوية في النص جعل ابن عباس يتفطن إلى أمر لم ينتبه إليه الصحابة بشهادة عمر رضي الله عنه. يرى أحمد حساني -وهو رأي وجيه بالمناسبة- أنه من أجل الوصول إلى حقيقة الشيء يتطلب الأمر "إعمال العقل لحصول العلم، والعلم يظل غفلا مسهوا عنه ومبهما في عقل من عقله، فهو في حاجة إلى علامات تخرجه من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل، فيحصل بذلك البيان المؤدي إلى الفهم والإدراك"<sup>(2)</sup>.

نفهم من هذا الرأي أن العلامات بصفة عامة والوجودية خاصة محفزات للاستدلال العقلي، تضطلع بتيسير الفهم والتفاهم وتحقيق العلم والبيان وتفادي الإبهام والغموض. قال سبحانه وتعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ\*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>(3)</sup>، فقد علم الله الإنسان البيان والفهم انطلاقا من وسائل أو علامات وجودية ونفسية واجتماعية ولسانية، ليهتدي بها إلى سبل الحقائق.

لا يخفى أن المدخل الوجودي يشكل قاعدة موحدة عند كل الناس، ومن ثمة، إمكانية قراءة آثاره واستمداد معانيه، وتسمية علاماته تبعا للبعد اللساني المتداول، لأن الصياغة الصوتية لأنظمة العلامات العابرة عبر الحس أو

---

(1) البيهقي، أبو بكر. السنن الكبرى. ط 3، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003م، 8585، ج 514/4.

(2) حساني، أحمد. العلامة في التراث اللساني العربي. ص 48.

(3) سورة الرحمن. الآيتان: 3-4.

الخيال إلى الأذهان تختلف بحسب الألسنة واللغات، ومع ذلك، يظل المعنى نسبياً بين اللغات مثلما أشار إلى ذلك سايبير<sup>(1)</sup> (Edward Sapir) بقوله: "إن اللغة عندما تصف العالم الخارجي فإنما تصفه بشكل نسبي"<sup>(2)</sup>.

نقصد بالعلامة الوجودية إذًا، كل شيء منظوم في الوجود؛ أي "كل ما يؤثر في التواصل البشري أو يسهم في فهم الوجود من حولنا"<sup>(3)</sup>. إنها علامة حتمية في التواصل الإنساني وضرورية للاندماج في الحياة، لأنها وسيلة تفرض على الناس قراءتها وتسميتها ومعرفة دلالاتها وفهم وجودها، وعلى العلماء والباحثين استكناه عمقها وكشف أسرارها الكونية يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

عموماً، تلعب العلامة الوجودية أحياناً دوراً حاسماً في تجليات الدلالة في الخطاب، لأن الإحالة على العلامة الوجودية في الخطاب الشرعي خاصة لن تكون ضرباً من الاعتباط أو النشاز، وإنما هي من مستلزمات السياق في الإبلاغ، لأنها تؤدي وظيفة مخصوصة لا تستطيع أي علامة أخرى الإيفاء بما يعتمل فيها من دلالات وأسرارها.

### 3-2- محددات العلامة الحالية / الحال المشاهدة

نعني بالعلامة الحالية في التواصل الإنساني هي تلك القرائن والأحوال والنوازل الدالة بحالها وظاهرها على معان مقصودة، ويكون لها تأثير فعال في تخصيص فائدة الكلام وإظهار المآل الذي تؤول إليه سيرورة الدلالة. إن كل ما

---

(1) عالم لغوي أمريكي عاش في الفترة بين (1884 - 1939) أحد أهم رواد التطور المبكر لعلم اللغويات، اهتم بالعلاقة بين الاختلافات اللغوية والاختلافات في الآراء الثقافية في العالم، من أهم مؤلفاته (مدخل لدراسة الكلام).

(2) ينظر: حسنين، صلاح الدين صالح. الدلالة والنحو. ط1، توزيع مكتبة الآداب، ص 113.

(3) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودية والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني. ص 59.

(4) سورة الروم. الآية: 22.



يمكن أن تتحقق به الفائدة سواء كان "لفظاً أو خطأ أو إشارة أو ما نطق به لسان الحال ..."<sup>(1)</sup> فهو علامة تواصلية دالة. لذلك فالعلامة الحالية عنصر مهم في نطاق العلامات التي توطر العملية التواصلية، من حيث المقومات البيولوجية لأطراف التخاطب تذكيراً أو تأنيثاً وإفراداً أو جمعاً، ومن حيث المكانة الاجتماعية والثقافية والإيديولوجية، فضلاً عن طبيعة العلامة أو الرسالة المنقولة: لغة أم إشارة أم هما معاً، ثم مكانها وزمانها وأجواؤها، وكل ما يمكنه التأثير في الكلام ومعناه<sup>(2)</sup>. معنى ذلك أن علامة الحال تتغير من مقام إلى مقام ومن مخاطب إلى آخر، وتختلف طبيعة هذه العلامة وكيفية استخدامها تبعاً للمواقف ووضعيات التواصل وأطراف التخاطب، من حيث كونها "الأمر الداعي إلى التكلّم على وجه مخصوص، أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المستمّاة بمقتضى الحال"<sup>(3)</sup>.

فلا يمكن بناء المعنى إلا في ظل استجابة لشروط سياقية وقرائن حالية تقتضي توجيه الفهم إلى المعنى المرغوب، وتستوجب قوله على ذلك المنحى، وذلك أن التنوع والاختلاف في الأحوال يستلزم بالضرورة تنوعاً واختلافاً في العلامات الحاملة للمعاني؛ لأن السياقات التي تجيء فيها ووضعيات التواصل تختلف حسب الظروف والملابسات، ومن ثمة اختلاف في الأغراض التي يعبر عنها الخطاب.

لقد أتى صاحب (الكتاب)، على غير قليل من الأفكار التي تبين أثر العلامة الحالية في استنباط المعنى، وتوجيه الدلالة، يقول سيبويه: "ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل

---

(1) ابن هشام، الأنصاري. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا، ص36.  
(2) ينظر: تمام، حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، ص151-152/ حماسة عبد اللطيف، محمد. النحو والدلالة، ص115-116/ تجليات الدلالة الإيحائية، ص11/ قحطان عبد الله، عدنان. قضايا السياق والدلالية عند المفسرين، دراسة في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور. ط1، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن 2018، ص9 / الجاسم، محمود حسن. المعنى وبناء القواعد النحوية (مرجع سابق).  
(3) التهانوي، محمد بن علي. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج1/ص616.

مستغن عن لفظك بالفعل، وذلك قولك: زيدا، وعمرا، ورأسه. وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل، فإكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيدا، أي أوقع عملك بزيد<sup>(1)</sup>.

ينهض كلام سيبويه على أن قرينة الحال المشاهدة تعني عن النطق باللفظ، إذ المخاطب الحاضر في المقام الذي يقال فيه الكلام يستطيع تمثل المعنى انطلاقا من العلامة الحالية التي يُجرى فيها المقال، فالتعابير: (زيدا)، و(عمرا)، و(رأسه) لا يمكن إطلاقا إدراك مغزاها إلا إذا كان المتلقي حاضرا أو شاهدا على ما يقع، لأنهم "حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم، واستغناء بما يرون من الحال، ولما جرى من الذكر، وصار المفعول الأول بدلا من اللفظ بالفعل"<sup>(2)</sup>، بينما يُذكر الفعل حينما يكون المخاطب خارج الإطار السياقي للتخاطب، لكونه مجهل العلة الداعية إلى الحذف، وعندما يشهد المخاطب حال التخاطب يحذف أو يضمّر الفعل لدلالة المقام عليه؛ لأنه إذا كانت العلامة الحالية دالة على الفعل، استغني عنه بها، أما إذا غاب ما يدل عليها أو لم تستطع الإفادة بالمعنى، دُكر الفعل تجنباً للغموض واللبس، لأن العلم بخلفيات النصوص وبأسباب التي تكون وراء نزولها، أو ورودها، يورث العلم بالمسببات، وينفي الاحتمالات والظنون غير المرادة<sup>(3)</sup>.

يشهد ابن جني على قوة الحال المشاهدة في التخاطب حينما أكد أن مشاهدة الوجوه وحضور المواقف يكون أكثر دقة وإبلاغا من سماع الخطاب حكاية. يقول فليت شعري إذا "شاهد العلماء<sup>(4)</sup> وجوه العرب في ما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا

---

(1) سيبويه. الكتاب، ج 1/ ص 253.

(2) المصدر نفسه. ص 275.

(3) قحطان عبد الله، عدنان. قضايا السياق والدلالية عند المفسرين. ص 8.

(4) ذكر: أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء (ينظر: ابن جني. الخصائص. ج 1/ ص 247).

تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلت عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه غير متهم الرأي والنحيظة والعقل"<sup>(1)</sup>.  
يكون تمثل الأحوال وإدراك المواقف لكل ساع إلى دراسة الكلام أكثر إيضاحا وبيانا للفهم من مجرد سماع الخطاب أو القول حكاية، فالقبض على لحظة القول، وحضور وقت التخاطب يدفع في اتجاه تحصيل الدلالة المقصودة والتمكن من بناء المعنى الأدق والأحق.

يُعدُّ الغزالي قراءة العلامة الحالية ضرورية لإدراك الإفادة والوصول إلى قصد الاستغراق الذي لا يعلم إلا "بعلم ضروري يحصل عن قرائن أحوال، ورموز، وإشارات، وحركات من المتكلم، وتغيرات في وجهه، وأمور معلومة من عاداته، ومقاصده وقرائن مختلفة لا يمكن حصرها في جنس، ولا ضبطها بوصف، بل هي كالقرائن التي يعلم بها خجل الخجل، ووجل الوجل، وجبن الجبان وكما يعلم قصد المتكلم إذا قال: السلام عليكم أنه يريد التحية أو الاستهزاء، واللهو"<sup>(2)</sup>.

يفيدنا كلام الغزالي في تركيبة أهمية العلامة الحالية بما سرده من تنويعات لها، وكيفيات تعبيرها عن المعاني من خلال قرائن مختلفة ترشدنا إلى تفسير تجليات ورودها، وأنه لا سبيل إلى فهم المعنى المراد إلا بقراءة ما حول عملية التخاطب من موجودات وأشياء وحركات وغيرها مما يدخل في الأحوال والسياقات.

ويخبرنا ابن خلدون أيضا أن "الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها. ويبقى ما تقتضيه الأحوال ويسمى بساط الحال محتاجا إلى ما يدل عليه. وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في

---

(1) ابن جني. الخصائص. ج 1/ ص 248.

(2) الغزالي، أبو حامد. المستصفى، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي. ط1، دار الكتب العلمية، 1993م، ص 228.

تأدية المقصود لأتھا صفاته"<sup>(1)</sup>، یعنی بذلك أن المتكلم لا یكتفی باختيار العلامات اللغوية الممكنة، وتعلیقھا وفق ترتيب مخصوص لرفد المعنى المراد، وإنما لا بد من مراعاة العلامات الحالية والسیاقية التي تقتضي ذلك الاختیار، لأن الكلام قد يدل على شيء، وسیاق الحال يدل على شيء آخر؛ أي: إن المعنى الظاهر المطروق عادة في مجاری الكلام قد یخرج إلى معانٍ آخر تُستفاد من سیاق الكلام.

ومن ثمة، فإننا لا نفهم دائما المعنى انطلاقا من الألفاظ، وما وضعت له، أو من التركيب وما رتب من أجله، بل قد نحتاج إلى تحريك اليد أو الأصبع أو العين أو الحاجب أو الشفتين من أجل ضبط وجهة المعنى. ومن الألفاظ ما يتطلب معرفة سیاق حال التخاطب لفهمه مثل أسماء الإشارة: (هذا، هذه، هناك، ذلك...) بالإضافة إلى الإحالة الضميرية مثل: (أنا، أنت، أنتما...) أو أسماء الصريحة، ثم الإحالة الموصولة (الذي، التي، اللذان...) أو الموصوفات سواء أكان الوصف خبرا أو حالا أو صفة... فهذه القرائن تكون علامات حالية بناء على السیاقات التي وردت فيها أو المواقف التي أنتجتھا. ولهذا نجد الرسول صلى الله علیه وسلم يستعين بأصابع يده لإیصال المعاني في صورة أكثر دقة في حالھا المحسوسة والمشاهدة.

من ذلك ما رواه الترمذي عن أنس بن مالك قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ أَبُو دَاوُدَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى فَمَا فَضَّلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى؟»<sup>(2)</sup>. إن في الحديث توظيفا لاسم الإشارة (هاتين) للدلالة على المساواة، لكن لو وقف الراوي عند هذه الإشارة في الحديث أعلاه لاستعصى على المتلقي استيعاب المعنى، لأن الراوي حضر الحال وشاهد إشارة النبي صلى الله علیه وسلم، ولذلك نقل عبارة:

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تح: خليل شحادة. ط2، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، ص 766.

(2) الترمذي. سنن الترمذي، أبواب الفتن، رقم: (2214).

(وأشار أبو داود بالسبابة والوسطى). واضح إذًا، أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الأصبعين لإيصال الصورة كاملة، وربطها بالمقصود منها، وهو أنه علامة من علامات الساعة.

كما هو معلوم أن الدارسين المحدثين قد أسسوا نظرية عنونها السياق في أبعاده الكاملة، فأضحت الكلمة لا تستمد ماهيتها إلا في ظل تسييق معالمها، لأن "معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه. يرى فيرت<sup>(1)</sup> أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة"<sup>(2)</sup>. ولما حظيت قيمة العلامة الحالية بهذا الاستثثار في مباحث نظرية السياق الحديثة، جعلت الاهتمام ينصب على أمرين: سياق الموقف وسياق اللغة<sup>(3)</sup>؛ فسياق الموقف هو "سياق غير لغوي، أي ليست له عناصر لغوية (صوتية) في الجملة، وهو ما يعرف بقريئة المقام أو الحال، أو القريئة المعنوية أحيانًا"<sup>(4)</sup>؛ أي المقومات غير اللغوية التي يساق فيها الكلام لأغراض تواصلية، أو الوضع الذي يحدث فيه التواصل؛ أي كل مصادر المعلومات المتوفرة لرفع اللبس<sup>(5)</sup>.

بينما السياق اللغوي هو السياق المباشر، أو السياق الخطابي<sup>(6)</sup>، ويتجلى في كونه "بناء متكاملًا من الوظائف وفقا لمستويات اللغة المختلفة، صوتيا وصرفيًا، ومعجميًا ونحويًا"<sup>(7)</sup>، وذلك أنها مستويات تشتغل وفق

---

(1) فورت (Firth): مفكر بريطاني، هو صاحب نظرية السياق في الدراسات اللغوية الحديثة.

(2) مختار، أحمد. علم الدلالة. ط5، عالم الكتب، القاهرة، ص 68.

(3) تمام، حسان. العربية معناها ومبناها، ص 20-21/ البركاوي، عبد الفتاح عبد العليم. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ظل نظرية السياق. دار الكتب، 1991، ص 54-55.

(4) حماسة عبد اللطيف، محمد. النحو والدلالة، ص 114.

(5) الفاسي الفهري، عبد القادر. اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1982م، ص 372.

(6) المرجع نفسه.

(7) المرجع نفسه. ص 50.

منطق تكاملي جامع ومدقق لدلالة الخطاب.

لهذا، يتعين على القارئ المقبل على فهم الخطاب القرآني أن يرصد المفردة القرآنية في موقعها داخل الآية، فالسورة ثم الخطاب كافة، فضلا عن مراعاته أسباب النزول وسنة الرسول من أجل استنباط المعنى الأقرب، وإزاحة المعاني التي قد لا يتقصدها السياق القرآني العام أو الخاص. فحينما يسمع الإنسان أو يقرأ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(1)</sup>، فإن المعنى الأول الذي يتبادر إلى الذهن غير ذلك المقصود بالآية، لكن المعطيات السياقية والحالية المصاحبة لورود الآية الكريمة تدل على أنه حال استصغار وذل وتحقير، وليس موقف إكرام وعزة. لأنه لا يمكن تصور إنسان ينال التكريم والعزة في الجحيم بدليل قوله تعالى قبل ذلك: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ \* ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾<sup>(2)</sup>.

نضيف أن العلامة الحالية قد ترجع إلى المتكلم، كما قد ترجع إلى المخاطب خاصة إذا كان أحدهما يتميز بحال مخصوصة، فإذا سمع المخاطب -مثلا- قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (قال رسول الله....) فإنه ملزم بالاستجابة والطاعة والتنفيذ، لأن خصوصية الرسول تعد وحدها علامة حالية من دون الحاجة إلى علامات أخريات في الجملة أو الكلام، ولذلك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الكلام في إخباره أو أخباره، ومع ذلك كانت قريش تصدقه لأنه عرف بالصادق الأمين.

يعد المخاطب أيضا علامة حالية إذا شملته وضعية خاصة في الخطاب. يقول الله سبحانه: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَآ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾<sup>(3)</sup>.

(1) سورة الدخان، الآية: 49.

(2) السورة نفسها، الآية: 47-48.

(3) سورة الأحزاب، الآية: 32.

الخطاب في هذا المقام موجه إلى مخاطب مخصوص، هو (نساء النبي)، وهن لسن كباقي النساء بحكم ما منحهن الله من فضل ونعمة الزواج من الرسول صلى الله عليه وسلم وعظيم المحل منه، فعليهن أن يكن أكثر حذرا وتقوى وابتعادا عن الشبهات من غيرهن.

هكذا، ينبغي الاعتناء بالعلامة الحالية لتبين مقاصد الخطاب، وتحليله تحليلا يراعي كل شروط إنتاجه: من معطيات اجتماعية، ومواقف وأسباب وأشياء وحركات ومناخ عام وأوصاف لسانية وأحوال... إلخ.

#### 4- أثر العلامة السيميائية في بناء المعنى

تحيل العلامة السيميائية إلى المعنى المستور غير الظاهر، لكنه معنى يمكن تحصيل دلالاته انطلاقا من تعاقده ضمنى بين المستعملين للعلامات نفسها (لغة، أرقام، رموز، ألوان..)، فهو يتجاوز المعنى الجاهز الحرفي، ويتعداه إلى ما يكمن في الباطن والخفاء، ولذلك أشار إرفين بانوفسكي (Erwin Panofsky) في كتابه "الأثر الفني ودلالاته" "l'œuvre d'art et ses significations" إلى وجود تراتبية دلالية تمنح العمل الفني القدرة على التخلص من معانيه المباشرة لاحتضان دلالات هي مبرر الإبداع ومصدر حاجات الناس إليه"<sup>(1)</sup>.

تأسيسا على هذه القناعة، تبدو العلامة السيميائية محطة تأويلية بالغة الأهمية في مسار بناء المعنى، يهتم بتفاصيلها تصور نحو العلامة في علاقتها بالعلامة اللسانية في كل مستوياتها: (معجم، وصوت وصرف وتركيب ودلالة...) وفي علاقة بقيمتها في ظل التجربة الاجتماعية والوجودية والخبرة الإنسانية؛ لأن المنحى العلاماتي يبدأ من التلفظ الصوتي الأول ثم البنية اللفظية فالتركيب النحوي، فالعلامة السيميائية بوصفها مرتكزا أساسيا لسيرورة التأويل التي تسعى إلى تحديد الدلالة العميقة البعيدة عن الوضوح والظهور.

---

(1) بنكراد، سعيد. سيمياء النص ومراتب المعنى. ط 1، منشورات الاختلاف، دار الأمان، منشورات ضفاف، 2018م، ص 159.

ولئن كانت اللسانيات صبت كل اهتمامها على نوعين من الدلالة: الأساسية والثانوية (الدلالة المباشرة والدلالة غير المباشرة)<sup>(1)</sup>، فإن السيميائيات اهتمت بما ينتج عن هذه الدلالات من علامات إيحائية تفضي إلى استنباط معان ومضامين (نفسية، اجتماعية، ثقافية، منطقية، تاريخية، شرعية...) تكون متمنعة وعصية على التناول المباشر. إن المعنى الذي تؤول إليه العلامة السيميائية بعد أن تتولد في أثر المعاني اللغوية المرتبطة بالسياق المخصوص يشكل رافدا مهما في تدقيق المعنى وضبط الفهم، حيث "يتراكم المعنى انطلاقا من تضافر قرائن عامة تُجمع تفاصيلها من استقراء عام لملايسات المقام ومبادئ المنطق الوجودي"<sup>(2)</sup>، لأن استثمار قواعد اللغة وحدها ومعاني مفرداتها لا يسمح بالإحاطة بكل تجليات المعنى، فالأعراف التخاطبية لا تلتزم دائما بالخطاب المباشر أو الكلام الحرفي للألفاظ، الأمر الذي يجعل المخاطب في حاجة إلى عوامل أخرى مساعدة على فهم حديث المتكلم، منها السياق الثقافي والاجتماعي، وجملة الاستنتاجات التي يهتدي إليها منطقيا أو عرفيا عن طريق القرائن<sup>(3)</sup>. لهذا، فإن بناء المعنى يتشكل وفق سيرورة توليدية تراتبية، فهناك "معنى مرئي وثيق الصلة بالظاهر في العمل الفني، وهناك معنى ثانوي هو حاصل كل الاستعمالات الرمزية للكائنات والأشياء وهناك ثالث ما يشير إلى معنى "جوهرى" لا يمكن تحديده وتأويل العمل الفني وفقه إلا من خلال استحضار سقف ثقافي حاضنه هو تاريخ الأمة وطبيعة الذهنيات والسلوك عند أبنائها<sup>(4)</sup>.

---

(1) غريب قادر، فخرية. تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني. ص 1.

(2) عيساوي، نورالدين. من المعنى اللغوي إلى العلامة السيميائية. ورقة علمية محكمة شارك بها الباحث في الملتقى الوطني الثاني عن بعد في تخصص الإعلام والتواصل والسيميائيات من 15 إلى 19 يوليوز 2020، كلية الآداب سايس-فاس.

(3) يونس علي، محمد محمد. المعنى وظلال المعنى. ص 141.

(4) ينظر: بنكراد. سيمياء النص ومراتب المعنى. ص 159.



يتحدد كيان العلامة السيميائية وفق هذا الكلام في ضوء شروط الواقع والتاريخ وأشكال السلوك والعادات والتقاليد وغيرها من العوامل المساعدة على كشف الدلالة الجوهرية عامة.

إن قارئ العلامة السيميائية لا يحدده أفقه التحليلي في الدلالة النصية بل يتعداها بالتفكير العميق في مآلاتها الخفية التي لا تصرح بها اللغة وإلى ابتكار "آلية تطوع المقروء أو المسموع للذهاب به بعيدا إلى معنى مستكين وراء كنه العلامة السيميائية الدالة"<sup>(1)</sup>. إنها دلالة إيحائية تمثل المعنى الخفي المتواري عن التناول الظاهر، وعادة ما تكون هذه العلامة متعددة في طرائقها الرمزية حسب سياقات ورودها، ويكون لها ارتباط بالوعي الوجودي والثقافي والحضاري، وتكون أحيانا ثابتة في مآلات تأويلها، مثل التجليات الإيحائية الدالة على صفات الله وأسمائه الحسنى: (الخلق، والعظمة، والقدرة والرحمة...)، وعلامة الأصل والفرع التي يتركز ثبوتها على القواعد الوجودية التي يستحيل تصور الوجود من دونها بدءا من آدم (الأصل) مروراً بـ(الفروع) التي انبثقت منه إلى الجماعة البشرية المتواصلة، وعلامة الزوجية أو الثنائية التي تشكل أصلا وجوديا لا يمكن تجاوز قيمته في الحياة واستمراريتها. قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾<sup>(2)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(3)</sup>، وعلامات: القوة والضعف، والصبر، والكذب والصدق وغيرها من العلامات التي يتم استخلاص سماتها مما تحفل به النصوص والرموز والأشياء من معانٍ مستورة غير ظاهرة للتناول السطحي، لأن آليات استقرائها تتعدى إلى المعنى

---

(1) عيساوي، نورالدين. من المعنى اللغوي إلى العلامة السيميائية. ورقة علمية محكمة شارك بها الباحث في الملتقى الوطني الثاني عن بعد في تخصص الإعلام والتواصل والسيميائيات من 15 إلى 19 يوليوز 2020، كلية الآداب سايس-فاس.

(2) سورة الرعد. الآية: 3.

(3) سورة الذاريات. الآية: 4.

الواسع المتعدد القائم على الدلالات الإيحائية المبنية على التأويلات والاحتمالات<sup>(1)</sup>، وذلك بالانصراف عن العلامة اللسانية إلى نظيرتها السيميائية، بيد أن هذا الانصراف ليس باعتباري بل هو معزز بأدلة عقلية كافية، تكون المسوغ الأساس للإجراء التفسيري التأويلي أو هما معا<sup>(2)</sup>.

من هنا، كان موضوع السيمياء ليس العلامة في ذاتها وإنما اشتغالها وحركيتها ورمزيتها، ولذلك أشار بول ريكور حينما رأى أنها "لا تصلح إلا بوصفها منطقا لحفر أعمق في مفهوم الدلالة وفي طبيعة العلامة ومدلولها"<sup>(3)</sup>. وعليه، يحتاج الحفر في عمق الدلالة السيميائية الإحاطة بمختلف أنماط الوقائع المنطقية والوجودية والثقافية والاجتماعية حتى يهتدي الباحث عن المعنى إلى استنتاج الدلالة المناسبة.

ومن أجل توضيح أثر العلامة السيميائية في الدلالة، نستشهد بما يوحي به لفظ: (فرعون) في الخطاب القرآني؛ فإذا نظرنا بتمعن لكل السياقات التي وردت فيها هذه المفردة نجد أنها استحوطت علامة إيحائية سيميائية عامة؛ حيث يحيل (فرعون) على كل سلطان متجبر ظالم يحكم قومه بالفساد ويحض عليه. ومنه اشتقنا الفعل (تفرعن) دون أن يدل على (فرعون) الملك الذي ذكر في القرآن، وإنما يحيل على كل مفسد طغى فساده وتجبر على الخلق<sup>(4)</sup>.

---

(1) دبة، الطيب. التفكير السيميائي في اللغة والأدب، دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي. ط1، عالم الكتب الحديث، إربد -الأردن، 2015، ص121.

(2) حساني، أحمد. الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل - مقارنة لسانية لآليات القراءة وثقافة المقروء في التراث العربي، مجلة اللسانيات، المجلد 11، العدد 11، ص 67.

(3) ينظر: أمبرتو. إيكو. السيمياء وفلسفة اللغة. ص 187.

(4) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة والتفسير النحوي واللغوي للقرآن الكريم. مقال منشور على صفحة الدكتور محمد إسماعيلي على الفابيسوك، بتاريخ: 23/04/2020 .

نضيف فضلا عن المثال أعلاه ما يمكن استنباطه من الدلالة العامة لاسم: (يوسف) في (سورة يوسف)، حيث إن هذه العلامة اللغوية في سياق القصة القرآنية تُصوّر الأحداث الخاصة بالشخصية النموذج (يوسف)، من حيث إن التبئير انصب على يوسف عليه السلام، لكن العبرة القرآنية لا تستهدف يوسف لذاته، أو لأحداثه، وإنما القصد الاعتبار بما يوحي إليه سيميائيا من قيم ومعان عامة؛ فأصبح اسم (يوسف) رمزا للصدق والبراءة والصبر والتوكل على الله والغدر والكيد...

على هذا النحو في الفهم، تكون العلامة السيميائية كل أثر مستنبط من علامة سابقة عليه (علامة لغوية أو غير لغوية)، وهكذا، تكون العلامة الأولى مجرد وسيط لمعنى ثان تولد عنها. لذلك فهي تقرأ بوصفها علامة أساسية في تحديد المعنى وضبط الدلالة في تكامل تام مع باقي العلامات اللغوية والوجودية والحالية والشرعية وغيرها، ليبقى الهدف الأسمى هو المعنى وأثر العلامة في بنائه أيا كانت طبيعة هذه العلامة.

## خلاصة الفصل الثاني

تطرقنا في هذا الفصل إلى أهم الأسس والمبادئ التي تؤطر نظام «نحو العلامة»، فضلا عن استعراضنا لأنواع العلامات؛ حيث خصصنا المبحث الأول للأسس المعرفية والمنطقية والوجودية التي يتركز عليها نحو العلامة، فكان لا بد لنا من بيان أن القرآن الكريم والسنة النبوية مصدران أساسيان في استلهام الاشتغال بنحو العلامة، ثم أشرنا إلى علاقة اللغة العربية بالنحو الوجودي الإنساني من حيث تكامل قواعد اللغة العربية والقواعد التي تحكم المنطق الوجودي؛ إذ مثلنا لهذا التكامل بقاعدة الرفع والنصب والجر فالابتداء والإخبار وقاعدة إعراب المضارع، ثم بينا وجهة قوة اللغة العربية من خلال استمدادها منطق الأصل والفرع من الخلفية الوجودية، حيث تجلّى ذلك في التذكير والتأنيث بين الوجود واللغة والأصلية في الجذر الاشتقاقي ومبدأ الأفراد والتنشئة والجمع ثم منطق القوة والضعف بين الوجود واللغة، وختمنا بحقيقة الاستثناء بوصفه أصلا في الوجود واللغة. أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه بعضا من أصناف العلامات، فتطرقنا أولا للعلامة اللغوية واقتصرنا على (الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية)، وثانيا العلامة غير اللغوية (الوجودية، والحالية / المشاهدة، والسيمائية).

# الفصل الثالث

معاني العلامة اللغوية في سورة الكهف

# المبحث الأول

الدلالات العامة لسورة الكهف

## 1- تمهيد

نزلت سورة الكهف قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي لا تخرج عن الإطار العام المؤطر لأسلوب القرآن المكّي عموماً. وهي إحدى السور الخمس: (الأنعام، الكهف، فاطر، سبأ، الفاتحة) التي بدأت خطاباتها بالحمدلة (الحمد لله) ثناء حسناً على الله سبحانه. وقد استهلّت سورة (الكهف) الكلام ب: (الحمد لله) الذي أنزل القرآن منهجاً للحياة، ودستوراً ضابطاً لقوانين الوجود الإنساني.

نذكر في ما يأتي أهم الدلالات التي وردت في هذه السورة الجليلة.

## 2- المضامين الواردة في سورة الكهف ودلالاتها العامة

### 2-1- ترسيخ أساس التوحيد ونبذ الشرك

تعالج سورة الكهف مسلك العقيدة تثبّتها وتصحيحها، وتفند مزاعم الشرك، وتنبذ معالم الكفر، من خلال إبراز أثر الإيمان والتوحيد في حياة الناس، وانعكاس ذلك على أحوالهم وأنفسهم ومصيرهم، وبيان مآل أهل الشرك، ومصير أعمالهم وأموالهم.

صرحت السورة منذ البداية أن القرآن جاء بوظيفتين: وظيفة التبشير ووظيفة الإنذار، تبشير أهل الإيمان والتوحيد بالجنة، وإنذار أصحاب الشرك والكفر بالنار، وسيعمل الخطاب اللاحق على تصريف هذه المهمة في علامات دالة: قصص للاعتبار وأمثال للتدبر والانتباه ومشاهد من يوم القيامة للترغيب والترهيب.

## 2-2-2- تحقيق الاعتبار والاتعاظ بعلامة القصة

انفردت سورة الكهف بقصص لم ترد في غيرها من السور، فحظيت بعرض مشاهدتها وأحداثها وموضوعاتها بشكل مخصوص من دون باقي سور القرآن الكريم.

### 2-2-2-1- قصة أهل الكهف من الآية: 8 إلى الآية: 22

تطالعنا السورة أولاً بقصة (أهل الكهف) الذين سُميت السورة باسم كهفهم. وهي قصة تنقل مشاهد عجيبة خارجة عن نطاق المعتاد، لأن أحداثها تعالت عن السنن الكونية المتعارف عليها لدى الإنسان. ما كانت رحمة الله لتشمل الفتية بالعناية والتكفل إلا لإيمانهم الصادق واعتقادهم الجازم، فهياً لهم أسباب النجاة ودواعي الحفظ، حيث سخر لهم (الكهف) و(الكلب) و(الشمس) و(المنام)؛ فالكهف استحال ملجأ وارفاً للعيش والاطمئنان، والكلب حارساً تولى الوصاية على الوصيد، والشمس حانية لا ترهقهم حراً ولا برداً، والمنام غيب أرواحهم في سبات هانئ تسعاً وثلاثمائة (309) سنة.

كان ثبات الفتية على القول الثابت وعلى الدين الحق في زمن استفحل فيه الكفر والشرك دافعاً ملحاً في هجرتهم إلى الله، وهروبهم إلى معية الله، وبذلك نالوا رحمة ربانية انتشرت في أنفسهم وكهفهم.

### 2-2-2-2- قصة صاحب الجنتين من الآية: 32 إلى الآية: 44

تجمع قصة صاحب الجنتين ورفيقه بين المتناقضين؛ غني كافر مشرك أنكر البعث وشك في يوم الحساب، وفقير مؤمن موحد صابر على فقره. وقد أهمل البيان القرآني ذكر هويتهما ومكانهما وزمانهما وأي تفاصيل خاصة بهما، لأن العبرة بعموم الدلالة وليس بخصوص الأحوال، ولأن مساق القصة يكون عبارة عن صورة مجردة، لا تحيل على



وقائع معينة بشكل مباشر، بل تشير إلى جزئيات تنطبق عليها بأسلوب تجريدي شمولي، يستخلص هيكل الوقائع لا ذاتها. وبذلك يكون صالحا للانطباق على مثيلاتها<sup>(1)</sup>.

وإذا كانت القصة لم تذكر شيئا مما يملك الفقير أو ليس لديه ما يُذكر، فإن المغزى هو التركيز على ملك الغني الذي حاز أهم متاع الدنيا: المال والبنون. لكنه اغتر وأفتخر وأخذته العزة بالثروة والولد، ونسي أطوار خلقه وربّه، فما لبث أن استبد به الندم والألم النفسي بعد أن صارت الجنتان حطاما، وأصبحت بساينه خرابا، وأضحى خاوي الوفاض لا يملك شيئا. لقد ظلم نفسه بغروره وشركه.

لم تغن الجنتان صاحبهما، ولم تدم له نعمة الدنيا، ولم ينفعه الولد، لأنه حاد عن الطريق المستقيم، واختار الكفر والجحود، واغتر بما كنز إلى أن فقد كل شيء. بينما الإيمان الصادق والصبر المحتسب إلى الله يقودان صاحبهما إلى رضوان الله.

تعد هذه القصة مثلا للتمثيل والاعتبار، لم يأت بها الخطاب القرآني على سبيل الإخبار عن شخصها أو أحداثها وزمانها ومكانه، لأن "التمثيل بإيجاءاته وتجلياته وما فيه من معالجة روحية، متواصل التأثير والصلاح لكل موقف يماثل حالة الكافر والمؤمن"<sup>(2)</sup>. لذلك، فهي توحى بما تنقله من أسرار إلى أن الإيمان بالله والرضى بما قسم والصبر على ما قدر منهج راشد، وأن الحرص على متاع الدنيا والتشبث بخلودها والاعتزاز بزينة الحياة منهج خاسر مهما حاز المرء في إثره من مال وخدم وحشم.

---

(1) ينظر: بوعلام، بن قاسم. الأمثال في القرآن، ص 60.

(2) عيساوي نورالدين. بناء المعنى من خلال التمثيل البلاغي المكّي والمدني، (الكهف والنور نموذجان). بحث مرقون نال شهادة الماجستير في اللسانيات وتحليل الخطاب. إشراف الدكتور محمد إسماعيلي علوي. وحدة التكوين والبحث "الدرس اللغوي والخطاب الشرعي"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال 2016. ص 85.

## 2-2-3- قصة آدام وإبليس الآية 50

تلقت الإشارة اللطيفة لقصة آدام وإبليس في سورة الكهف اللعين إلى التذكير بذلك الاستكبار الذي أخذ بإبليس كي لا يسجد لآدم (عليه السلام)، وذلك لإبراز فداحة مشهد العصيان الذي تجرأ به الشيطان على أمر الله، فكلفه ذلك الطرد والحرمان من رحمة الله. وقد ذُكرت القصة في سياق التحذير من الركون إلى جنب الشيطان واتخاذهِ ولياً من دون الله، بل يجب الاحتراز منه بوصفه عدواً أولاً ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾<sup>(1)</sup>.

## 2-2-4- قصة موسى والخضر (عليهما السلام) من الآية: 60 إلى الآية: 82

تعد قصة موسى مع الخضر، بما تحمله من دلالات، من أعجب القصص التي يستعظمها الإنسان. فقد تضمنت أحداثاً غريبة، واحتوت أخباراً فريدة، وتجلت فيها مشيئة الله في الوجود، وبدت حكمته في الكون الظاهر، وبرز قصور العلم الإنساني إزاء عظمة شؤون الله في تدبير الأشياء.

لقد أصابت الدهشة موسى (عليه السلام) وهو يشهد حادث حرق سفينة المساكين، لأنه يخشى في حسابانه أن يغرقوا ويلقوا حتفهم، لكن الحكمة الإلهية تقول إن الخضر سعى إلى حماية المساكين في ما يملكون وإنقاذ سفينتهم من السطو الغاصب.

لم يقو موسى (عليه السلام) على استيعاب حدث قتل الغلام (النفس الزكية)، فتدخل منكراً على العبد الصالح فعله ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا﴾، لكن بقاءه على قيد الحياة سيعود على أبويه إرهاباً وطغياناً وكفراً، فكان

(1) سورة الكهف. الآية: 50.

في قتله رحمة به<sup>(1)</sup> ورحمة بوالديه ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. إنها الأسرار الوجودية التي لا يُحيط بها إلا من آتاه الله علماً لدنياً يفسر به مجريات مثل هذه الأحداث.

لم يستسغ موسى إقامة الجدار من دون أجر- مع الحاجة الشديدة إليه- لغلامين يتيمين في قرية أبي أهلها أن يضيفوهما بخلا ولؤماً. لكن موسى لا يعلم أن سقوط الجدار قد يكشف كنز الغلامين، فيحرمان من الانتفاع به في كبرهما، ولذلك هياً الله تعالى للعبد الصالح أسباب إعادة بناء الجدار إلى أن يكون اليتيمان قادرين على استخراج كنزهما.

هكذا، تنتهي رحلة العلم والرحمة بعد أن استنفدت أسرارها، ونقلت دلالاتها إلى المتلقي من أجل الاعتبار والتسليم بأن لا علم أحوط وأشمل إلا علم الله، ولا ينعم باليسير منه على عباده إلا بقدر ما ينفعهم، وأن الله في كونه وتدبيره شؤون ورحمات.

## 2-2-5- قصة ذي القرنين: من الآية: 83 إلى الآية: 98

تقدم قصة ذي القرنين نموذجاً في الإصلاح والتزكية. فقد مكن الله لذي القرنين في الأرض، ومنحه الجاه والسلطان، ويسر له سبل الملك وأسباب الحكم، لكنه لم يستثمر كل هذه المقومات والإمكانات في سبيل الطغيان والفساد مثلما يفعل المتجبرون، بل وظف ما آتاه الله من قوة وتمكين ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ في سبيل الإصلاح والفتح والفلاح، حيث طاف بين مشرق الأرض ومغربها فاتحاً البلدان وناشراً خير الأديان، ومستثمراً ما وهبه الله من طاقات في نشر الرحمة بين الأمصار، وفي إقامة العدل والمساواة بين الناس: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْدِبُهُ ثُمَّ

---

(1) يقول الإمام الشعراوي: "أما الغلام فقد رحمه الله بأن توفاه قبل أن يدخل سن التكليف، ليدخل الجنة بلا حساب" (الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 57).

يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا\* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿١﴾.

إن المنهج الرباني الذي تشبع به ذو القرنين دفعه إلى الالتزام بمعاني العدل المطلق في كل شيء، فلم يطغ على من غلب، ولم يتعسف على من حكم، بل كان التعامل وفق منطق الشرع، وحسب ما يقتضيه. أكثر من ذلك، قد أسهم بالعلم والعمل في مساعدة الضعيف، وتقديم العون للمقهور المغلوب، فكان بناء السد العظيم خاتمة الأعمال الصالحة التي جاء بها ذو القرنين رحمة من الله على قوم يأجوج ومأجوج، وذلك حينما فصلهم عن فساد المتجبرين وطغيان الظالمين ومنع عنهم عدوانهم.

تمثل قصة ذي القرنين نموذجاً في التصرف والسلوك والأخذ بالأسباب واستثمار ما يمنح الله الإنسان من إمكانات ومؤهلات في نشر الرحمة، وإقامة العدل، والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وذلك من خلال ربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، لأن نصرته الدين، وتحقيق الإيمان بالله، وتمجيد وحدانيته، وإقامة شريعته في الأرض هي المنتهى والمبتغى لمن أراد الفوز برضوان الله ونيل رحماته.

نلخص أهم موضوعات القصص في الشكل الآتي:

---

(١) سورة الكهف. الآيتان: 87-88.

شكل رقم (6): يلخص المضامين العامة لقصص سورة الكهف

القصة	مضمونها العام
قصة أصحاب الكهف	التضحية في سبيل عقيدة التوحيد والهجرة إلى الله طلباً للرحمة والرشد
قصة صاحب الجنين	الغنى المرتكز على أسس الكفر والجحود مآله الزوال، والفقر المعتمد على الثبات على عقيدة الإسلام جزاؤه النصر
قصة آدم وإبليس	الاستكبار والتعالي على الله مصير صاحبه الطرد من رحمته سبحانه
قصة موسى والعبء العالم	رحلة علمية تفيد أن حكمة الله في تدبير شؤون الكون لا يَطَّلَع عليها إلا من تيسر له علم لدي من الله
قصة ذي القرنين	نموذج في العدل والحكم والإصلاح والرحمة والأخذ بالأسباب

2-3- إثارة الانتباه بعلامة المثل والتحذير بمشاهد من يوم القيامة

عمدت سورة الكهف إلى توظيف المثل لتدبر معناه، وإثارة انتباه المخاطب إزاء مقاصده؛ فالمثل نموذج تمثيلي يسهل بناء المعنى، وييسر تحصيل الدلالة، لأن استيعاب المعاني العقلية المجردة يصعب تمثلها ذهنياً إلا بما هو محسوس وملمس.

مثَّل القرآن الكريم الحياة الدنيا بما فيها من متاع ونعيم وزينة خادعة آيلة إلى الحطام والزوال بما يدركه الناس من معان ملموسة في الماء والنبات والأرض والسماء. يقول عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ

مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ<sup>(1)</sup>، لعل المرء يهتدي إلى سواء المعنى، ويقف على حقيقة المقصد، ومن ثمة إلى فهم حقيقة الحياة الدنيا بما هي متاع الغرور واللهو والتفاخر.

لجأ خطاب السورة أيضا إلى تصوير مشاهد من يوم القيامة تحذيرا للكافرين وإنذارا لهم، وتبشيرا للمؤمنين وطمأنة لهم؛ حيث آثرت السورة عرض مشاهد وصور من يوم البعث والحساب قصد الترغيب والترهيب، ومن أجل إثارة الضمائر إلى أن حقائق يوم القيامة فيها من الوعد والوعيد ما يردع الناكرين للبعث، وفيها من الأحوال ما يروع الظالمين: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهُمْ سُورَادُهَا ۚ وَإِن يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ<sup>(2)</sup>، وفيها ما يذكرهم بما لهم في الآخرة: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا<sup>(3)</sup>. وكذلك فيها من الجنات ما يستهوي المؤمنين، ويمتعهم ويغريهم: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا<sup>(4)</sup>.

كل هذا التصوير والتمثيل من أجل تقريب المعنى وتبسيط التبليغ، لدفع الناس إلى تصحيح منهج النظر إلى الأشياء والوجود والآخرة، وتصحيح علاقة الإنسان بخالقه توحيدا وإيمانا وعبادة.

(1) سورة الكهف. الآية: 53.

(2) سورة الكهف. الآية: 29.

(3) سورة الكهف. الآية: 53.

(4) سورة الكهف. الآية: 31.

## 2-4- تناسب مطلع السورة مع ختامها

يتناسب مطلع السورة (الآيات الأولى) مع ختامها (الآية الأخيرة) من حيث دلالة الأول على ترسيخ أساس الاعتقاد بإقرار الحمد لله والاعتراف بربوبيته، والإيمان بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وبالكتاب الأشمل المنزل عليه، فمن آمن وعمل بهذا المنهاج فهو من المبشَّرين، ومن زاغ وأشرك فهو من المنذَّرين، وتأكيد الثاني في خلاصة لنهاية السورة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم بشر مُرسل، وأن الوحي رباني المصدر، وأن الله وحده هو المستحق للوحدانية من دون غيره إطلاقاً. ومن ثمة، كان ذلك هو القانون الضابط لمنهج الحياة، والقائد إلى لقاء الله لمن عمل به وبالعمل الصالح.

# المبحث الثاني

سورة الكهف: قراءة في العنوان



## 1- تمهيد

يعبر لجوء النص القرآني إلى مبدأ العنونة في صدارة السور عن أهمية قصوى لهذا المسلك في الخطاب، ويومئ إلى أن هذه الأسماء تستودع دلالات جمّة، وتشحن معاني ثرة، لأنها أول المفاتيح التأويلية التي تيسر للقارئ سبل استنطاق النص اللاحق. وإذا كان اسم السورة القرآنية هو عنوانها، فإنه يعد "مفتاحاً أساساً يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها، ويستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك النص من أجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية وأن يضيء لنا في بداية الأمر ما أشكل من النص وغمض"<sup>(1)</sup>.

ماهي إذا مقومات علامة التسمية في القرآن الكريم من خلال سورة الكهف؟

## 2- العلامة اللغوية في اسم سورة الكهف

### 2-1- دلالة العلامة الصوتية

نلاحظ أن التشكيل الصوتي للفظ (كهف) مركب من أصوات: (الكاف) و(الهاء) و(الفاء). وهي أصوات لا تخلو من أسرار ونكت مضمرة بعيداً عن الاعتبار غير المعلّل. وحينما نطلع على الخصائص النطقية والصفات الصوتية لهذه الأحرف الثلاثة، نقتنع أن لها نصيباً دلالياً في توجيه المعنى.

نسترشد بالجدول الآتي لمعرفة السمات الصوتية للأصوات الثلاثة:

---

(1) حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة. ص 96.

شكل رقم (7): يبين الخصائص النطقية لأصوات: /ك/، /هـ/، /ف/

الفاء	الهاء	الكاف	الأصوات الصفات
+	+	+	الهمس
-	-	-	الجهر
-	-	+	الشدّة
+	+	-	الرخاوة
+	+	+	الاستفال
-	-	-	الاستعلاء
+	+	+	الانفتاح
-	-	+	الإطباق
+	-	-	الإذلاق
-	+	+	الإصمات

إذا تأملنا معطيات الجدول (الشكل 7) نلاحظ أن:

الأصوات الثلاثة تجمعها صفات نطقية مشتركة أبرزها: الهمس والاستفال والانفتاح، بينما انفرد صوت (الكاف)

بخاصية الشدة والإطباق، عكس صوتي (الهـاء) و(الفـاء) اللذين يُنطقان برخاوة.

يعد اشتراك العلامات الصوتية المشكلة لاسم السورة في صفات: الاستفال والانفتاح والهمس مؤشرا إيحائيا على أن الكهف كهف الفرج والترويح والاستراحة. إنه ملجأ فتح الله فيه على الفتية بالرحمة والنجاة وراحة البال على الرغم من شكله التضاريسي الموحش.

ينجلي للقارئ المتأمل أن هذا البناء الصوتي، بهذا الترتيب، يتهيأ فيه كثير من التصاقب<sup>(1)</sup> مع المعنى، حيث بدأت كلمة (كهف) بصوت (الكاف) المتسم بالشدة والإطباق والانفجارية<sup>(2)</sup>، ثم انتقلت إلى صوت (الهاء) الرخو المهموس ثم بعده (الفاء) الرخو المتسم بخاصية التمديد والاستمرار<sup>(3)</sup>؛ أي: استمرار النفس في الخروج من فجوة الشفتين. ينبئ هذا التشكيل بمحاكاة قريبة لحال الفتية الذين انتقلوا من حال الشدة والضغط والفرار المجسدة في حرف (الكاف) إلى حال الرخاء والسكون والهدوء بعد أن شملتهم رحمة الله، وهي المعاني التي يمثلها صوت (الهاء)، بينما يساق صوت (الفاء) بمقوماته النطقية الخروج الآمن للفتية من الكهف، بعد أن تبددت مخاوفهم، وتلاشت أسباب اختبائهم.

من جهة أخرى، نلاحظ أن كلمة: (كهف) تتكون من مقطع صوتي واحد طويل وثقيل: (كهف) / (ص ح ص ص). إن هذا الطول الممتد والثقل الشامل لنطق الكلمة يتلاءم مع معاني النومة الثقيلة التي أصابت الفتية داخل الكهف كل هذه المدة الطويلة.

---

(1) يقول ابن جني: (فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلعب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بما ويحتذونها عليها) [الخصائص. ج2/ص159]. وقد أفرد بابا في (الخصائص) وسمه بباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني أتى فيه على كثير الأمثلة والشواهد التي توضح تعالق الأصوات بمعانيها.

(2) قدوري، غانم الحمد. المدخل إلى علم أصوات العربية. منشورات المجمع العلمي، بغداد ص 86.

(3) السعران، محمود. علم اللغة. ص 168.

نضيف، فضلا عن ذلك، أن المعاني الصوتية للفظ (كهف) تتعزز حينما نلاحظ أن هيئة جهاز النطق عند اللهاة أثناء لفظ الكلمة تشكل تجويفا فمويا، يماثل شكل الكهف الحقيقي، وذلك حينما يرسم التحريك أو التشكيل مع حركة الفتحة القصيرة لصوت (الكاف) ثغرا يضيق معه مجرى الهواء المنبعث من الرئتين، وكأنه يشكل مدخلا، فتأتي حركة السكون ويتقعر معها الفم عند تحقيق صوت (الهاء)، ثم ينغلق التجويف حينما تتقارب الشفتان إلى أن تتشكل فتحة ضيقة، يخرج عبرها النفس عند تحقيق صوت (الفاء).

إن في هذه المقومات الصوتية تناسبا عجيبا مع ما يوحي إليه لفظ (الكهف) على رأس السورة، مما يزيد المعنى ثراء وقوة.

## 2-2- دلالة العلامة المعجمية

تبدو مفردة (الكهف) هي العلامة العَلْمُ على السورة ومفتاح الولوح إلى مضامينها، فهي عتبتها ومحورها الذي تدور عليه مقاصد المتن، ولا يمكن مقارنة أسرار هذه السورة الكريمة إلا بمعرفة الدلالة الإيحائية لهذه المفردة المعجمية، فقد تكررت هذه العلامة ست (6) مرات<sup>(1)</sup> في خطاب السورة.

تستوحي هذه العلامة المعجمية مدلولها من المخزون القاموسي العربي، حيث تكوّن أصوات: (الكاف) و(الهاء) و(الفاء) كلمة واحدة، وهي في حقيقتها غار في جبل، وجمعه كهوف<sup>(2)</sup>، أو هو مثل "المغارة في الجبل إلا أنه أوسع

(1) وردت في الآيات الآتية: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الآية 9). ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ (الآية 10). ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آدَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الآية 11). ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الآية 16). ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْبَيْتِ﴾ (الآية 17). ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الآية 25).

(2) ينظر: ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. ج 5/ ص 144.

منها، فإذا صغر فهو غار... يقال فلان كهف فلان أي ملجأ، ويقال فلان كهف أهل الرِّيبِ إذا كانوا يُلُودُونَ به فيكون وُزْرًا ومَلْجَأً لهم<sup>(1)</sup>، والكهف بتعبير الشعراوي رحمه الله هو: "فجوة في الجبل تحجب من فيها عن الناس، فمن أراد أن يختبئ من قوم يطاردونه، أو لصوص يريدون سرقة وقتله، فإن كان في منطقة جبلية، فإنه يلتجئ إلى كهف في الجبل يحميه"<sup>(2)</sup>.

استحضارا للإحالات اللغوية السالفة لمفهوم مفردة (الكهف) نستخلص إماءة إلى معاني النجاة واللوذ والحِمْى، وهي إفادات تجعل الأُوَيَّ إلى مثل هذا الغار الجبلي هروبا من العدو مسعى لكل مضطهد مغلوب. اعتدنا أن يكون أوي المرء إلى أهله أو بيته أو عشيرته أو إلى أي مكان تتوفر فيه أسباب الأمان وشروط الحياة. لكن الخطاب القرآني أبي إلا أن يظهر معجزته، وينأى عن هذا المنطق الاعتيادي الإنساني، فكان الإيواء إلى (كهف)، لكنه ليس إيواء عاديا، بل هو لجوء إلى ملجأ الله، وفرار إلى سبيل الله، واعتصام بحمى الله. لذلك، استحال الكهف برحمة الله مأوى وارفاء، وصار الضيق والوحشة وسعا ونجاة قال تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾<sup>(3)</sup>.

لقد زالت الوحشة، وتوارى الخوف، وتوافرت أسباب الحفظ الرباني في منتهى الراحة والأمان، تماما مثلما حصل مع محمد صلى الله عليه وسلم حينما لاحقه كفار قريش وهو فار من غدرهم، فأكرمه الله بسكينة في غار النجاة أزال خوفه وتوجسه. يقول سبحانه: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ

(1) ابن منظور. لسان العرب. مادة (ك ه ف).

(2) الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، جمهورية مصر العربية - القاهرة (د.ت)، ص 7.

(3) سورة الكهف، الآية: 16.

لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴿١﴾.

لهذا، يمكن القول إنه لا يخلو اختيار علامة: (الكهف) تسمية لهذه السورة من أسرار لغوية مؤثرة، لأن (الكهف) على الرغم مما يمتاز به من خصائص جغرافية وجيولوجية ونفسية لا تصلح لدوام العيش الإنساني<sup>(2)</sup>، خاصة في الليالي المظلمة، فقد جعلته قدرة الله ومشيتته موطنًا للرحمة ومرفقًا للسكينة والارتياح، فلا يحسون فيه بضيق المكان، والزمن يتوقف فيه، لا يحسون بضيق الزمن، بل تأتي رحمة الله لتحيط بهم<sup>(3)</sup>، لينعموا في جود غامر من لدن رحمان قاهر.

### 2-3- دلالة العلامة النحوية

تنهض العلامة النحوية في اسم سورة الكهف بدور أساسي في الإشارة إلى مقصدية الخطاب، حيث نجد من بين العلامات النحوية الفاعلة في توجيه المعنى في تسمية السورة علامة التعريف "ال". فهي علامة نحوية للعهد، بحكم أن قصة أهل الكهف متداولة في التاريخ وخاصة أنها معروفة<sup>(4)</sup> لدى أهل الكتاب قبل نزول الوحي على

(1) سورة التوبة، الآية: 40.

(2) نستدل على هذا الكلام بما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أن كان يتزود الطعام والماء وما يحتاج لمواصلته خلوته بغار حراء، والغار في الجبل مثله الكهف. عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((وكان يخلو بغارٍ حراءٍ فيَتَحَنَّنُ فِيهِ -وهو التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِدَلِّكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى حَدِيحَةٍ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا)) (رواه البخاري في صحيحه. رقم: 3)

(3) الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 9.

(4) عن ابن عباس، في ما يروي أبو جعفر الطبري، قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة [...] فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: [...] سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبي فأتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

رسول الله صلى الله عليه وسلم. جاءت هذه العلامة لتفيد التأكيد والتخصيص، فالخطاب يخص بالتحديد والتعيين (الكهف) الذي كان مسرحاً لقصة الفتية الذين آمنوا بالله وتركوا عبادة قومهم. والدليل المؤيد لمعهودية (الكهف) وطابعه التعيني المخصوص هو أنه تكرر ذكره بهذه العلامة التعريفية في متن السورة، حيث ذكر أربع (4) مرات بـ (ال)، ومرتين (2) مضافاً إلى ضمير الغيبة العائد على الفتية. الأمر الذي لا يمنع من القول: إن الكهف كان معروفاً لدى الفتية حتى قبل أمرهم بالإيواء إليه، لأنه قد يكون قبل ذلك مكانهم الأثير في التعبد والاعتكاف والخلوة، ولما اشتدت عليهم وطأة المشركين، جاءهم أمر الله بأن يلجئوا إلى كهفهم المألوف.

لذلك تنبئ هذه الوحدة الدلالية (الكهف) على رأس السورة بأن الخطاب اللاحق سوف يخبر عن أمر سيكون الكهف مسرحاً لأحداثه، وأنه سيحمل حقائق يقينية لا غبار على صدقيتها، ما دام كلام الوحي هو مصدر معلوماً.

لذا، اكتسبت مفردة (الكهف) بوصفها عنواناً للسورة وزناً دلالياً يحمل تجليات إيحائية ترتبط بمقاصد الخطاب الرئيس للسورة الذي يشكل امتداداً لتفاصيلها، لأن العنوان عتبة قرائية وعنصر من العناصر الموازية التي تسهم في تلقي النصوص، وفهمها، وتأويلها داخل فعل قرائي شمولي، يفعل العلاقات الكائنة والممكنة بينهما<sup>(1)</sup>. ولذلك كان بدهياً أن تثير علامة (الكهف) الفضول في موقعها لرصد تجلياتها.

---

(1) فوزي هادي الهنداوي، وكرنفال أيوب. سحر العنونة، سيمياء العنوان في النصوص الإبداعية، مجلة كلية اللغات، العدد 33.

### 3- أثر العلامة السيمائية في فهم اسم سورة الكهف

إذا قمنا باستقراء عام لصدى مفهوم (الكهف) داخل متن السورة، نتوصل إلى أنه يضم سبلا إيجابية تهدي إلى معاني الرحمة. إن علامة (الكهف) رمز قوي لرحمات واسعات من الله، أو بكلمة موجزة نحن أمام رحمات الكهف أو كهف الرحمات، يظهر ذلك جليا من خلال ما تفصح عنه الآيات الآتية. قال تعالى:

- ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾<sup>(1)</sup>
- ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(2)</sup>.
- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾<sup>(3)</sup>.
- ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾<sup>(4)</sup>
- ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(5)</sup>
- ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾<sup>(6)</sup>.

تؤول إيماءات هذه الآيات ضمن سياقاتها إلى كهوف من الرحمات؛ إذ كل قصة تشير إلى صورة من صور رحمات الكهف، حيث نُشرت رحمة الله في كهف الفتية استجابة لاستعطافهم الصادق، ودعوتهم الخالصة لربهم، بعد أن تحوّل كهفهم الواقعي إلى شأبيب من الرحمة الشاملة، وكان العلم اللدني في قصة موسى والعبد الصالح

---

(1) سورة الكهف، الآية: 10.

(2) سورة الكهف، الآية: 16.

(3) سورة الكهف، الآية: 65.

(4) سورة الكهف، الآية: 57.

(5) سورة الكهف، الآية: 82.

(6) سورة الكهف، الآية: 98.



الخصير (عليهما السلام) رحمة بموسى في ذهوله وعدم صبره، وكانت أفعال العبد الصالح رحمت غمرت المساكين والضعفاء واليتامى والصالحين، وكان الإصلاح والفلاح والعدل ومحاربة الفساد في قصة ذي القرنين رحمة بكل الأقسام الذين مر بهم، وكان السد الذي بناه ختاماً لأعماله الصالحة رحمةً نجاةً من طغيان يأجوج ومأجوج وفسادها ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾<sup>(1)</sup>.

يمكن القول إن الكهف واحد، لكن إحالاته السيميائية توحى إلى رحمت متعددة، متعددة في أجناسها وأنماطها بحسب المواقف والأحداث التي صاحبت النماذج الإنسانية التي قدمتها السورة للاعتبار والافتداء، ولذلك جاءت في الآيات السالفة علامة لغوية منكرة (رحمة)، وليست معرفة. فهي رحمة على إطلاقها وعمومها ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(2)</sup>، أما كيفيتها أو حجمها أو شكلها أو نوعها فهو غير محدد، ولا معين، وإنما يُيسر الله نزوله على أهله ومستحقه بما يوافق أحوالهم وخصوصياتهم.

يكفي أن نتأمل، بعمق، ذلك القتل الذي لحق الغلام على يد العبد الصالح، فهو يبدو ظاهرياً أمراً سيئاً وقاسياً، ليس فيه من الرحمة شيء، لكنه "كان رحمة بالأب والأم؛ بأن جنبهما الله شقاءً كان سيأتي على يد هذا الغلام، يملأ حياتهما بالطغيان، ويقودهما إلى الكفر والعياذ بالله، ورحمة بهما أيضاً لأن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يتركهما بلا ذرية، فرزقهما غلاماً صالحاً خيراً منه زكاة وأقرب رحماً، يملأ حياتهما بهجة، وينسيهما فقد الابن الأول، أما الغلام فقد رحمه الله بأن توفاه قبل أن يدخل في سن التكليف، ليدخل الجنة بلا حساب"<sup>(3)</sup>.

---

(1) سورة الكهف، الآية: 98.

(2) سورة الأعراف، الآية: 156.

(3) الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 57.

ومع ذلك، يجدر بنا التنبيه في عقب هذا الاستشهاد أن مسوغ القتل لا يمكن تبريره أو تسويغه في الواقع البشري بدعوى الرحمة، لأن الأمر ههنا يتعلق بحالة مخصوصة لعبد صالح يتلقى الوحي من الله الذي يمكنه من علم لدي ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(1)</sup>، فاقتضت حكمة الله تعالى عبْرَ هذا المشهد العجائبي أن تنقل للعقل الإنساني أن المشيئة لله حصريا في الحكم والتدبير وتسيير مجريات الغيب. وهو ما تؤكده العلامات اللغوية التي تشكلت في بناء الآية:

✓ (ما) النافية التي تشير إلى الاعتراف الصريح بأن الفعل لم يكن صادرا عن إرادة العبد الصالح (ما فعلته عن أمري).

✓ (ذلك) الإحالة الإشارية إلى فعل القتل الذي وقع إزاء الغلام، أي: ما رأيت يا موسى من قتل.  
✓ (تأويل) هو حكم من الله، وما أنا إلا منفذ لأمر الله.

تجدر الإشارة إلى أن لفظ (كهف) ذكر ست (6) مرات في سورة الكهف، وكذلك الشأن للفظ (رحمة) ذكر ست (6) مرات أيضا. وهي علامة إحصائية تقوي فرضية هذا التلازم الرمزي بين اسم السورة (الكهف) ومعناها التأويلي السيميائي (رحمات).

بكلمة مختصرة، تبقى مفردة (الكهف) علامة سيميائية مخصوصة تناسب ما يكتنزه خطاب السورة من معان ودلالات قوية، فالكهف مليء بكهوف معنوية<sup>(2)</sup>، تستمد غناها من مختلف مسالك الدلالة التي توحى بها القصص الواردة في متن السورة؛ فكهف الفتية مظهر من مظاهر الإعجاز الإلهي في الرحمة والحكمة وتدبير الوجود، وكهف صاحب الجنتين عنوان لمعنى الإيمان والكفر ونتائجهما في الحياة الدنيا قبل الآخرة، وكهف موسى والخضر

(1) سورة الكهف، الآية: 82.

(2) الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص4.

(عليهما السلام) علامة إيجابية على منهج الله في علم وفهم قوانين الوجود، وكهف ذي القرنين دعوة واضحة لنصرة

الحق والإصلاح، ودحض الباطل والفساد ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا﴾<sup>(1)</sup>.

---

<sup>(1)</sup> سورة الكهف. الآية: 110.

# المبحث الثالث

أثر العلامة اللغوية في توجيه المعنى في سورة الكهف

## 1- تمهيد

نسعى في هذا المبحث إلى استنطاق بعضا من النصوص التنزيلية التي تحمل في طياتها علامات لغوية داخل السورة التي بين أيدينا، ونحاول تفصي أبرزها تأثيرا في المعنى، ونتعقب الحكم التي كانت وراء الاختيارات اللغوية في بعض الآيات، ونعمل على رصد دلالاتها التي تهيأت في سياقات ورودها وفق الآتي:

## 2- تجليات العلامة الصوتية في سورة الكهف

### 2-1- أثر الخصائص الجرسية في توجيه المعنى

تجمع مناسبة قويّة بين العلامة الصوتية ومعانيها في الخطاب القرآني، حتى إن الجملة القرآنية وظفت "الجرس الموسيقي للكلمة وما تحويه من ظلال للمعاني في إثراء معنى الكلمة، والايحاء بمضمونها قبل أن يوحى مدلولها اللغوي به"<sup>(1)</sup>. معنى ذلك أن هناك قصيدة في اصطفاء الأصوات المعبرة عن المقاصد القرآنية. نستعرض النماذج الآتية تمثيلا لدور العلامة الصوتية في توجيه المعنى في هذه السورة الكريمة.

● مفردة "أيقاظا" في قوله تعالى: ﴿وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾<sup>(2)</sup>.

أيقاظا: من المعاني المعجمية ل: "اليقظة" التي هي "نقيض النوم (...)" والاستيقاظ هو الانتباه من النوم (...).  
ورجل يقظ أي متيقظ حذر"<sup>(3)</sup>، وقد وردت على صيغة جمع التكسير.

تصور اللفظة في سياقها حال الفتية العجيبة؛ إذ هم في حقيقة أمرهم نيام، لكن الرائي يحسبهم أيقاظا لما هم

---

(1) مختار عمر، أحمد. لغة القرآن - دراسة توثيقية فنية - قاموس القرآن الكريم. ط 2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1997م، ص 141.

(2) سورة الكهف. الآية: 18.

(3) ابن منظور. لسان العرب. مادة (يقظ).

فيه من حركة، وعيون متيقظة، توحى بالصحو والانتباه، لأن معالم اليقظة المستفادة من التقليب والحركة أخفت الحال التي هم عليها. ولذلك كان جرس هذه اللفظة بما تحمله أصواتها من تشديد وجهر مناسباً تمام المناسبة لتصوير الموقف أدق تصوير، حتى ليكاد القارئ يشعر معها وكأنه يعيش لحظة الموقف وهو يرى.

توحى مفردة: (أيقاظاً) إلى أن المشهد المعبر عنه تعتمل فيه الحركة والتقليب، وذلك لأن إنتاج هذه الأصوات يتحصل بعد الضغط على مخارجها، الضغط الذي يولد اضطراباً في اللسان عند النطق بالأصوات، وخاصة أنه جيء بصوت (القاف) لتعتمد عليه بنية الكلمة، لكونه أتى في وسطها، و(القاف) أحد أحرف القلقل، والقلقلة تحريك واضطراب، الأمر الذي ناسب مشهد اليقظة الذي عنوانه التقلب والتؤؤز والانتقال من وضعية إلى وضعية. ناهيك عن صوت (الهمزة) بوصفه أول أصوات الكلمة الذي ينبعث من الجوف، ويتسم بانبثاقه من عمق المخرج وبقربه من جوف الصدر<sup>(1)</sup>، ليعبر عن اليقظة المشهودة المنسولة من سبات عميق، بل تعد في عمقها وحقيقتها أمرها نوماً ثقيلاً.

ينهض، كذلك، صوت (الطاء) بقوة نطقية ملموسة. إنه صوت مستعل يخرج "مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا"<sup>(2)</sup>، ومعنى الاستعلاء "أن تتصعد في الحنك الأعلى"<sup>(3)</sup>، واستعلاء صوت (الطاء) واضح الإشارة إلى معاني اليقظة والتفطن، خاصة أن الاستيقاظ من النوم أو الغفوة في الحياة الإنسانية العادية يقتضي القيام من وضع الاستفال إلى وضع الاستعلاء والوقوف تأهباً للحركة والاشتغال.

والمثير للانتباه أن مفردة: (أيقاظاً) تكتب بعلامات خطية تلفت النظر، حيث تميزت بأحرفها الطويلة ذات الرسم العمودي القائم (همزة على ألف وألفان ثم الألف التي فوق الطاء (الشليلة))، ولا شك أن في ذلك إشارة

---

(1) قادر، فخرية غريب. تجليات الدلالة الإيحائية. ص 65.

(2) ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج 1/ ص 61.

(3) ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج 1/ ص 76.

لطيفة تومئ إلى معاني اليقظة والقيام والتؤفر.

• مفردة "رقود" في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾<sup>(1)</sup>.

رقود جمع راقد. والرقاد: النوم<sup>(2)</sup>، والرقاد والرقود يكون بالليل والنهار عند العرب<sup>(3)</sup>. تحمل أصوات الأحرف الأصول للفظ (رقود) من الخصائص الصوتية والنطقية ما يتناسب مع معانيها في سياق ورودها؛ ف(الراء) صوت تكراري مجهور، والتكرير الصوتي في هذا الحرف<sup>(4)</sup> يومئ إلى استمرار حدث النوم وتواصله. وصوت (القاف) يتسم بصفة الجهر والشدة، لأنه "حرف أشبع الاعتماد من موضعه، ومنع النفس أن تجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت"<sup>(5)</sup>، فيكون بهذه الخصائص أكثر ملاءمة للدلالة على وطأة النوم وشدته التي تمكنت من الفتية، ومنعت الاستيقاظ أن يتسرب إلى جفونهم.

ما زاد في قوة هذا الإيجاء ذلك الصائت الطويل (حركة الضمة الطويلة) الذي أعطى ملمحا صوتيا يدل على طول مدة الرقاد، وخاصة أن حركة الضمة استحكمت حروف الكلمة بكاملها، وهي من الحركات الثقيلة في إشارة رهيبة إلى نومتهم الثقيلة الطويلة.

أما حرف (الذال) الصوت الشديد المجهور الذي ينحبس الهواء أثناء نطقه فترة لالتقاء طرف اللسان بأصول

---

(1) سورة الكهف. الآية 18.

(2) ابن فارس، أحمد. مقاييس اللغة. ج2/ ص 428.

(3) ابن منظور. لسان العرب. مادة (رقد).

(4) صوت (الراء) يدل على تكرار الفعل واستمراره. للمزيد من الإيضاح ينظر المبارك، محمد. فقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، مطبعة جامعة دمشق، 1960م. ص 151.

(5) ابن جني. سر صناعة الإعراب. ج1/ ص 75.

الثنايا العليا التقاء محكما<sup>(1)</sup> يناسب حدث انحباسهم في الكهف فترة من الزمن، واستحكام النوم إطباقه عليهم. نشير إلى أنه في ظل المقارنة بين لفظ (رقود) مع لفظ (أيقاظا) على مستوى الرسم، نلاحظ أن العلامة الخطية التي بنيت عليها هيئة (رقود) تنعدم فيها الحروف العمودية القائمة (مثل: الألف) بل على العكس تماما نجد حرفي (الراء والواو) يتجه رسمهما إلى الأسفل بما يوئمه الدلالة التي تنطوي عليها اللفظة في سياقها من نوم وما يتطلبه من استلقاء وتمدد على سطح الأرض.

• مفردة "غورًا" في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾<sup>(2)</sup>.

يطالعنا ابن منظور في اللسان بأن: "غور كل شيء: عمقه وبعده"<sup>(3)</sup>. والعمق والبعد يصعب إدراك حقيقة علمه. ولعل المعنى الوظيفي لهذه اللفظة في سياق الآية يشير إلى غور الماء، وبعده عن الساعي إليه، أي "حتى لا يستطيع أن يطلبه لبعده في قاع الأرض"<sup>(4)</sup>.

نلاحظ أن الهيئة النطقية والصفات الصوتية لبنية لفظ (غورا) تحاكي محتواها الدلالي، وذلك أن صوت الغين صامت احتكاكي طبقي<sup>(5)</sup>، يخرج من أقصى منطقة سقف الحنك اللين<sup>(6)</sup>، ويدل بما فيه من الاحتكاك على الغيوبة والستر والتغطية<sup>(7)</sup>. تستجيب هذه السمات لمضمون اللفظة في مقامها المخصوص، لأن الماء المطلوب

---

(1) ينظر: أنيس، إبراهيم. الأصوات العربية. ص 48 / النوري، محمد جواد. علم الأصوات العربية. ط 1، جامعة القدس المفتوحة، 1996م – عمان الاردن، ص 160.

(2) سورة الكهف. الآية: 41.

(3) ابن منظور لسان العرب. مادة (غار).

(4) العثيمين، محمد بن صالح. تفسير سورة الكهف. ط 1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ، ص 75.

(5) النوري، محمد جواد. علم الأصوات العربية. ص 163.

(6) علي، نجاة. النطق بالأصوات اللغوية العربية. ط 1، الدار المصرية\_ اللبنانية، 2019م، ص 59.

(7) الشافعي إبراهيم. الصوت العربي وقيمته الدلالية. شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، تاريخ الإضافة: 2020/8/9

[https://www.alukah.net/literature\\_language/0/141362](https://www.alukah.net/literature_language/0/141362)



أضحى بعيد المنال، لقد اختفى وغاب عن المتناول.

أما صوت (الواو) الانزلاقي الذي تَرْتَبَّ بعد صوت (العين) تضيق الشفتان أثناء النطق به مع انفراج قليل لخروج النفس<sup>(1)</sup>، فيومئى إلى عمق غور الماء الذي أصبح من العسير الوصول إلى فرشته، وخاصة أن المجهود النطقي لصوت (الواو) فيه من المشقة ما يحيل على هذا العسر. بينما صوت (الراء) التكراري الناتج عن ضربات اللسان المتكررة على اللثة يناسب معنى استمرار غور الماء وغيابه، ما يجعل الساعي إليه يلهث دائما وراء الأسباب التي أدت إلى جفافه واختفائه من دون جدوى.

نحسب أن هذه المعاني هي التي أراد العبد المؤمن إيصالها إلى (صاحب الجن تين) الكافر، لينصحه ويرشده إلى سواء السبيل، لعله يستدرك غروره ويصحح اعتقاده.

• مفردة "زلقا" في قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ

فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾<sup>(2)</sup>.

بعد الزلق في اللغة: المكان المزلقة. مزلقة ومزلقة وزلق وزلق ومزلق: لا يثبت عليها قدم<sup>(3)</sup>. صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها<sup>(4)</sup>.

يتسم أول أصوات اللفظ (الزاي) بسمة الجهر وبالصفة الصغيرية<sup>(5)</sup>. إنه صوت حاد، ويعد أحد الأصوات قاطبة<sup>(6)</sup>. يعبر بهذه العلامات في سياق هذه الآية على حدة تأثير الصواعق (الحسبان) على الأرض، وكأنها

(1) السعران، محمود علم اللغة. ص 180 / فخرية غريب، قدار. تجليات الدلالة الإيحائية. ص 35.

(2) سورة الكهف. الآية: 40.

(3) ابن منظور. لسان العرب. مادة(زلق).

(4) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 723.

(5) ينظر: العطية، خليل إبراهيم. في البحث الصوتي عند العرب. دار الجاحظ للنشر- بغداد، 1983م، ص 58.

(6) غريب، فخرية قادر. تجليات الدلالة الإيحائية. ص 37.

مُسحت من كل أثر لنبات أو ماء. ونلاحظ أن ما يتصف به هذا الصوت من صفات جعلته ذا قوة تأثير في توجيه المعنى، ولذلك كان صوتا مفضلا للتعبير عن هذا النوع من المعاني؛ فقد وظفه القرآن في لفظ (جرزا) في سياق قريب من معاني هذا المقام في السورة نفسها. قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾<sup>(1)</sup>.

إن انحراف الأرض التي كانت جنة معروشة عن إنباتها وإنتاجها إلى أرض ملساء صلداء يصاقب الهيئة النطقية لصوت (اللام) الذي يتوسط مفردة: (زلقا)، وهو حرف منحرف<sup>(2)</sup>، فضلا عن سمة الوضوح السمعي التي يتسم بها، وكونه من أصوات الذلاقة<sup>(3)</sup> بما يماثل الوضوح التام الذي يظهر على مساحة الأرض القحطاء التي أصابها الزلق على امتداد مجال الرؤية. ومن المثير للإدراك أن تكون إحدى معاني الذلاقة حدة العطش<sup>(4)</sup>، والذلاقة سمة بارزة في صوت (اللام). أما (القاف) الصوت الشديد الانفجاري<sup>(5)</sup> يحاكي بخصائصه شدة تصلد الأرض، وقوة الأثر الذي لحقها حتى أضحت بيضاء يُزلق عليها. وبذلك تكون الأصوات الثلاثة: (الزاي واللام والقاف) علامات صوتية لامت المحتوى الدلالي الذي تحفل به الكلمة (زلقا) في هذا السياق.

• صوت (الشين) في المفردات: "ينشر" و"يبشر" و"رشدا" في الآيات:

- ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾<sup>(6)</sup>.

- ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾<sup>(1)</sup>.

---

(1) سورة الكهف. الآية: 8.

(2) المبرد، أبو العباس. المقتضب. تح محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب. - بيروت. ج 1/ ص 193.

(3) الخليل، ابن أحمد. العين. تح مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج 1/ ص 12.

(4) منه في الحديث "إِنَّهُ ذَلِقَ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ الْعَطَشِ" (ينظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات. النهاية في غريب الحديث والأثر. تح طاهر

أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، ج 2/ ص 165).

(5) السعران، محمود. علم اللغة. ص 131.

(6) سورة الكهف. الآية: 2.

- ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(2)</sup>.

يتميز صوت (الشين) بجرس صوتي يجعله صوتاً مناسباً للمواقف التي تعالجها هذه الآيات، حيث تحضر فيها معاني البشارة والرحمة والرحابة تالياً؛ إذ تشكل خاصية الهمس فيه ملمحاً ملائماً لمعاني الرقة والرأفة والرحمة، غير أن سمات الرخاوة والاستطالة والتفشي<sup>(3)</sup> تعد أهم خصائص هذا الصوت، فقد جاءت علامة التفشي منسجمة مع تفاصيل الرحمة التي تفتشت وانتشرت في أرجاء الكهف، وفي قلوب أصحابه. كما أن البشائر المتعاقبة التي يزفها الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين تتوافق مع حركية الهواء الكثير الذي يتدفق خارجاً حينما يُنطق صوت (الشين). فضلاً عن أن الرشد الذي طلبه الفتية تهماً لهم على أوسع نطاق: رشد في الاهتداء إلى رحمة الله، رشد في الثبات على الإيمان، ورشد في الانعتاق من ربة الظلم... الأمر الذي يعانق الدلالة الصوتية الكامنة في الخصائص الجرسية لهذا الصوت المشترك بين الآيات.

● مفردة "تخرج" في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ ۖ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(4)</sup>.

وظف القرآن فعل الخروج: (تخرج) المنوط بـ(الكلمة) للتعبير عن معنى الفعل: (تُلفظ) أو (تُنطق) في سياق الآية السالفة، يبدو أن لهذا التوظيف لطائف إيحائية من جهة العلامة الصوتية، حيث إن المسار الذي تقطعه أصوات لفظ (خرج) في جهاز النطق يحاكي الترتيب الذي تتشكل وفق هيئته أصول الكلمة: (خ- ر - ج)؛ ف (الخاء) صوت مهموس ينشأ في أدنى الحلق، و(الراء) صوت مجهور يأتي من ذلق اللسان، بينما (الجيم) الصوت المجهور الشديد يخرج من وسط الحلق. إن هذه المقومات الصوتية التسلسل أكسبت المفردة قوة في الإيحاء للحدث

(1) سورة الكهف. الآية: 10.

(2) سورة الكهف. الآية: 16.

(3) سيويه. الكتاب. ج 4 / ص 448.

(4) سورة الكهف. الآية: 5.

المعبر عنه، كما أن معنى الخروج يكون من الداخل إلى الخارج، وهو في هذا المنحى يصاقب المسار الذي يمر منه النفس في جهاز النطق لتحقيق أصوات الأحرف الثلاث، مما جعل لفظ (تخرج) أكثر استجابة لمناسبة هذا المقام المخصوص.

نعزز هذا الافتراض بما احتج به النظام حينما قال: "أنه تعالى وصف الكلمة بأنها تخرج من أفواههم والخروج عبارة عن الحركة، والحركة لا تصح إلا على الأجسام. والجواب أن الحروف إنما تحدث بسبب خروج النفس عن الحلق، فلما كان خروج النفس سببا لحدوث الكلمة أطلق لفظ الخروج على الكلمة"<sup>(1)</sup>.  
نضيف فضلا عن ذلك أن السمات النطقية التي تنتقل من الهمس إلى الجهر إلى الجهر الشديد توحى بأن كلمة الشرك كانت ساكنة في أعماق قلوب المشركين يتهامون بها ويتناجون إلى أن خرجت مجهورة من أفواههم من دون استحياء ولا احتشام.

## 2-2- أثر علامة التكرار الصوتي في فهم المعنى

يجد المتدبر للخطاب القرآني في سورة الكهف قيمة عظيمة للعلامة الصوتية من جهة التكرار، فالترديد الصوتي لبعض الأصوات أو الكلمات أو الآيات يلفت انتباه القارئ والسامع إلى الإيقاع الناشئ عن هذا التكرير، ومن ثمة، إثارة انتباهه إلى الدلالة الإيجابية لهذه العلامة.

• تكرر صوتي (الذال) و(الدال) في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾<sup>(2)</sup>، وفي قوله

سبحانه: ﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾<sup>(1)</sup>.

(1) الرازي. مفاتيح الغيب. ج 21/ ص 425.

(2) سورة الكهف. الآية: 4.

يتسم السياق الذي وردت فيه الآيتان بالتهديد والغلظة والإنذار؛ سياق يقتضي توظيف علامات صوتية ذات وضوح سمعي عال، ووقع قوي، تُنتج إيقاعاً ضاغظاً يولد موقف الردع والهيبة. لذلك تعدد ورود الصامتتين: (الذال) و(الذال) في التشكيل الصوتي الذي تنبني عليه الآيتان السالفتان. فقد تكرر صوت (الذال) ثلاث مرات وصوت (الذال) مرة واحدة في كل آية. يشكل تكرار هذين الصوتين، بهذا النحو، إيقاعاً قارعاً للأذان، ويلقي بجرسه الجهري القوي على النفوس المشركة بالله والظالمة لنفسها تهديداً مُندراً.

يوحي (الذال) الصوت المجهور الاحتكاكي<sup>(2)</sup> بقوته النطقية المتكررة وسمته الجهرية الاستمرارية أن المشركين قد باتوا في سخط، وغضب من الله، لما تفوهوا به من شرك وفجور، كما أن العذاب الإلهي الشديد ينتظر كل من سولت له نفسه معانقة الظلم والكفر. يماثل تضيق مخرج هذا الصوت أثناء إنتاجه ضيق فجوة الانعتاق من ربة عذاب الله، إن تهادى الظالمون في كفرهم. أما صوت (الذال) المجهور الانفجاري الشديد<sup>(3)</sup> ففيه من التقريع والجلجلة ما يدق آذان الكفار والمشركين إيداناً بموقف الإنذار والوعيد والتهديد، ويعبر عن شدة الموقف وقوة الوعيد المنتظر، ويلفت إلى جسامة الأفعال التي اقترفها الظالمون، وما يترتب عنها من فساد يستوجب غلظة وشدة.

● تكرار صوتي (الميم) و(السين) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾<sup>(4)</sup>.

نلاحظ أن السياق القرآني عندما تحول إلى الحديث عن جزاء المؤمنين ورضوان الله عنهم وظف علامات صوتية مغايرة لتلك التي عرفناها في مقام الحديث عن الكفار وعذابهم، ومن ضمن هذه العلامات نجد تكرار

(1) سورة الكهف. الآية: 87.

(2) عبد الجليل، عبد القادر. الاصوات اللغوية. ط 2، دار صفاء للتوزيع والنشر - عمان، 2014م - 1435هـ، ص 160.

(3) المرجع نفسه. ص 159.

(4) سورة الكهف. الآية 88.

صوت (الميم)، وصوت (السين)، بما يؤهلها من خصائص نطقية وإيقاعية توجه المعنى وتُدقِّقه. فقد تكرر جرس (الميم) ست مرات، وتردد صوت (السين) ثلاث مرات أيضا، ويعد (السين) حرفا مهموسا<sup>(1)</sup>، والهمس المتكرر إيقاع يناسب خطاب اليسر والوسع ومتعة الحسنى، كما أن جرسه الصفيري<sup>(2)</sup> المتردد على مدى الآية أندى في السمع<sup>(3)</sup>، وأكثر جذبا للانتباه، وأوقع أثرا في النفس، بما فيه من وضوح سمعي يتساوق مع وضوح صراط المؤمنين الذين يعملون الصالحات على امتداد وجودهم الحياتي.

يومي تكرر صوت (الميم) في البنية الصوتية للآية الكريمة إلى الضم والجمع والكسب، بما يتوافق مع واقعة ضم الشفة على الشفة<sup>(4)</sup>، لتعبر هذه المزايا عن التماسك الإيماني الذي يجمع أهل الإيمان ويربط على قلوبهم ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(5)</sup>، الشيء الذي يجعل اعتصامهم بالله أقوى وأشد، في حين أن الاتساع الحاصل على مستوى الشفتين أثناء خروج الصوت يوحي إلى سعة دائرة الإيمان التي تسع كل من يؤمن بالله ورسوله ويعمل صالحا. كما أن استقرار اللسان وسط الفم وعدم ميلانه يحدث هويا في الفم<sup>(6)</sup> لحظة نطق الصوت يشير إلى أن ثبات أهل الإيمان والتقوى على القول الثابت، واستقرار قلوبهم وابتعادها عن الانحراف، يسهم في فوزهم بالحسنى وزيادة. وبذلك تكون هاتان العلامتان الصوتيتان، بجرسهما المتكرر المتآزر مع باقي الأصوات الأخرى، قد رسمتا إجماء مشهد الفوز والظفر الذي ناله أهل الجنة والنعيم.

---

(1) ابن جني. سر صناعة الإعراب، ج1/ ص 211.

(2) ينظر: الحمد، غانم قدروري. المدخل إلى علم الأصوات العربية. ط 1، دار عمار، عمان الأردن، 1425هـ - 2004م، ص 117.

(3) سيويه. الكتاب. ج4/ ص 464.

(4) عباس، حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998، ص 75.

(5) سورة الكهف. الآية: 14.

(6) ينظر: ابن جني. سر صناعة الإعراب، ج2/ ص 90.

• تكرار حركة الفتحة (الطويلة والقصيرة) في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾<sup>(1)</sup>.

يبدو أن مصوت الفتحة يتواجد بنسبة مئوية كبيرة في هذه الآية، حيث بلغت حوالي 60%، ويصل مجموع هذا المصوت في هذه الآية إلى تسع حركات طويلة، وثمان عشرة حركة قصيرة. ولا شك أن هذه العلامة الصوتية المكثفة تثير فضول المتلقي إلى اكتشاف تجلياتها في هذا المقام.

يتسم المد الطويل (الألف) بسمة الامتداد والاتساع، إثر انفتاح الحلق والفم، إذ تكون الشفتان معهما مسطحتين منفرجتين<sup>(2)</sup>، وهي مقومات تُحدث بجرسها التكراري في المفردات (أوى، إلى، قالوا، ربنا، آتنا، لنا، أمرنا، رشدا) إيقاعا خادما لمعاني الاستعطاف والتضرع. وعليه، يستنتج القارئ المتأمل في مضمون الآية أن مد الفتح الطويل جاء بهذا الكم المهم في التشكيل الصوتي للآية ليصور معالم الحال النفسية التي كان عليها أهل الكهف، فهم كانوا في موقف ضعف واضطرار، فلجؤوا إلى استجداء ربهم بالدعاء والنداء، من خلال توظيف أصوات المد والانفتاح، لأنها أنسب العلامات لمقام التضرع واستجداء الرحمة.

تَعَزَّرَ كذلك سياق الآية بغزارة المصوت القصير (حركة الفتح)، الشيء الذي يترجم أن الأجواء التي ينقلها مشهد الآية يسودها الندل، والتعلق برحمة الله، والطمع في رشده من خلال الأفواه المفتوحة للنداء، والأكف المنبسطة للدعاء.

(1) سورة الكهف. الآية: 10.

(2) ينظر: قادر، فخرية غريب. تجليات الدلالة الإيحائية، ص 42.

• تكرار صوت (السين) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ

أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ

وَحَسْنَتٌ مُّرْتَفَعًا ﴿١﴾.

تعد هذه الآية أكثر الآيات إيراداً لصوت (السين) في سورة الكهف، فقد تكررت هذه العلامة ست مرات، وهي من أصوات الصفيير الثلاثة (الصاد والسين والزاي)، تخرج من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى<sup>(2)</sup>، ويتسم صوتها بسمات: الهمس والرخاوة والرقّة والاستفال. وهي خصائص تستجيب لمقام الحديث عن أهل الجنة، وما هم فيه من عيش رغيد، وذلك أن الحديث عن سياق نعيم الجنة وأصحابه يقتضي إيقاعاً صوتياً هامساً رقيقاً، يسمو بالنفس إلى درجات الفرح والسرور، ويزيد ترددها المتكرر القلب والعقل رقة ورهافة وخشوعاً.

استحق الفائزون بالجنات من النعم: "الاستبرق" و"السندس" وهما مفردتان وردتا متتابعتين، وتردد فيهما جرس (السين) ثلاث مرات بما يتوافق مع معناهما الوظيفي، فالمقومات النطقية لصوت (السين) بوصفه صوتاً صفييراً مرققاً ورخواً توحى إلى معاني السلاسة والرقّة والصفاء. ونعلم انطلاقاً من استخبارنا كتب المعاجم أن (السندس) هو رقيق الديباج و(الاستبرق) صفيقه<sup>(3)</sup>، وهي معانٍ تلائم إيجاءات هذين الصوتين، وترجم دقة اختيار القرآن للعلامات اللغوية عامة، والصوتية خاصة، كي تستجيب للمقامات المخصوصة الواردة فيها.

---

(1) سورة الكهف. الآية 31.

(2) ينظر: ابن الجزري. النشر في القراءات العشر، ج 1/ 200-201.

(3) الصنعاني، محمد بن إسماعيل. تفسير غريب القرآن. ط 1، تح حلاق محمد صبحي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1421هـ - 200م، ص 194.



• تكرر صوت (العين) في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(1)</sup>.

يتحدث سياق الآية عن نقطة التقاء موسى (عليه السلام) مع الخضر (العبد الصالح) قبل أن تنطلق رحلة التعلم التي ينشدها موسى. نلاحظ في ظل هذا السياق تردد صوت (العين) خمس مرات؛ أي: بنسبة 12% من مجموع أصوات هذه الآية. ينبعث جرس هذا الصوت من وسط الحلق، فيحدث صوتا احتكاكيا مجهورا مرفقا<sup>(2)</sup>، ليعبر بهذه السمات النطقية، في ظل الدلالة السياقية، عن هذا التلاقي بين موسى والخضر (عليهما السلام) الذي تولد من عمق رحلة شاقة قطعها موسى بحثا عن العلم والتفقه.

ستحکم هذه الرحلة أجواءً رفيعة رهيبة عنوانها الرحمة والعلم والامثال. لذلك كان فونيم (العين)، بتريده الموزع على أطراف الآية، أكثر الأصوات استجابة لعمق المغزى وقوة المعنى، لأن العلم والرحمة مقصدان يُخرجان المرء من ظلمات الجهل وقسوة الضلال إلى عالم العلم والنور والرأفة.

كما أن انفتاح جهاز النطق أثناء خروج صوت (العين) يشكل علامة صوتية توحى إلى استعداد العقل الراغب في العلم، والإدراك الساعي إلى الفهم والانقياد والإقبال بنفسية منفتحة على التعلم والاسترشاد والامثال.

• تكرر صوتي (القاف) و(اللام) في قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(3)</sup>

(1) سورة الكهف. الآية 65.

(2) عبد الجليل، عبد القادر. الاصوات اللغوية. ص 180.

(3) سورة الكهف. الآية 74.

تكرر جرس (اللام) سبع مرات على امتداد هذه الآية، وهو صوت منحرف وشديد يجرى فيه الهواء لانحراف اللسان مع الصوت<sup>(1)</sup>، ليتماشى بهذه المزاياء التلفظية مع معاني الدهشة التي ألمت بموسى (عليه السلام) عندما لاحظ ذلك الانحراف في السلوك - في اعتقاده- الذي أتى به الخضر، وخاصة أن المقام مقام قتل، أكثر من ذلك، أنه قتل لغلام (صبي). لذلك اقتضى السياق إيقاعا سمعيا شديدا الوقع على السامع، وجرسا ذا وضوح سمعي لافت، نظرا لجلل الحادث وجسامته، كما توافرت في هذا الصوت المجهور المفخم<sup>(2)</sup> مقومات نطقية جعلته يكون أكثر الأصوات وفاء بما يعتمل في المعنى من تهيب ودهشة وانحراف عن العادة في التعامل مع الغلمان.

كما أن تكرار الإيقاع الصوتي لجرس (القاف) الذي ذكر ست مرات في الآية يتعاضد مع تردد موجات (اللام) لرفد السياق بذبذبات صوتية تحاكي المعنى وتناسب المبنى، من حيث إن (القاف) صوت لهوي انفجاري (شديد) شبه مفخم<sup>(3)</sup> يستجيب بانفجاره وقلقلته المجلجلة لمحاكاة حال الفزع والصدمة التي أحاطت بأجواء المقام وخاصة بموسى من جراء ما شهد من فعل القتل.

● تكرار أصوات مفردة (أحدا) في الآيات الآتية:

- ﴿كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالُوا  
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ  
مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾<sup>(4)</sup>

(1) سيبويه. الكتاب. ج4/ ص 435.

(2) عبد الجليل عبد القادر. الأصوات اللغوية. ص 174.

(3) المرجع نفسه. ص 179.

(4) سورة الكهف. الآية: 19.

- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَلْبُهُمْ ۗ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِتْ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (1)

- ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۗ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۗ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (2)

- ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (3)

- ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (4)

- ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمَّ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (5)

- ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۗ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (6)

- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۗ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (7)

ذُكِرَتْ مَفْرَدَةً (أَحَدًا) بِأَصْوَاتِهَا الثَّلَاثَةِ ثَمَانِ (8) مَرَاتٍ عَلَى مَدَارِ سُورَةِ الْكَهْفِ بِكَامِلِهَا، إِذْ تَتَرَدَّدُ كُلُّ فِتْرَةٍ

عَلَى أُذُنِ السَّمَاعِ عَلَى امْتِدَادِ مَسَارِ السُّورَةِ، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَهِيَ الْمَفْرَدَةُ الْخَاتِمَةُ لِمَتْنِ السُّورَةِ. تَشْكَلُ هَذِهِ

الْعَلَامَةُ الْمَتَكَرِّرَةُ إِيقَاعًا مِنْبَهَا يَتَوَزَعُ بِانْتِظَامٍ عَلَى مَتْنِ السُّورَةِ.

(1) سورة الكهف. الآية: 22.

(2) سورة الكهف. الآية: 26.

(3) سورة الكهف. الآية: 38.

(4) سورة الكهف. الآية: 42.

(5) سورة الكهف. الآية: 47.

(6) سورة الكهف. الآية: 49.

(7) سورة الكهف. الآية: 110.

من الدلالات السياقية الرئيسية التي تخدمها هذه المفردة تنزيه الله عن الشريك وتوحيده في الربوبية، فضلا عن تعميم الحكم وشموله، وربطه بتميز الله وتفرده في قدرته وعلمه. ولعل هذه العلامة جاءت بهذا التوزيع التكراري المنتظم على مدار السورة كلها خادمة لمعاني التوحيد والتفرد الإلهي.

يتكون لفظ: (أحد) من (الهمزة) الصوت الشديد الذي يمنع الهواء أن يجري في جهاز النطق أثناء تحقيقه (1)، وهو صوت حنجري انفجاري يتسم بعمق المخرج وقربه من جوف الصدر، وهو أكثر الأصوات تأثيرا بما يجيش في الصدر من انفعالات (2)، يعبر بما يتمتع به من فوائد صوتية عن أن توحيد الله والإخلاص لتفرد يتفجر في القلوب التي في الصدور ﴿وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (3).

وإذا كان جرس (الهمزة) لا يصدر من مخرجه إلا بصعوبة ومشقة، فإن ذلك يوحي بأن الابتعاد عن براتين الشر هو ابتعاد عن الضيق في النفوس، والضنك في العيش، كما أن الخارج من ظلمات الشرك إلى أنوار الإيمان والتوحيد هو خروج من العسر إلى اليسر والوسع.

يتآزر صوت (الحاء) مع صوت (الهمزة) في تعميق المعنى، وذلك بما يتصف به من سمات رهيبة وعذبة. فهو صوت حلقي احتكاكي (4) يرفد اللسان العربي بأعذب أصوات الدنيا قاطبة، وهو أقدر الأصوات تعبيرا عن خلجات القلب ورعشاته (5). نلاحظ أن الخصائص النطقية لحرف (الحاء) تناسب الدلالة السياقية التي تخدمها المفردة في مقاماتها، حيث ينعم المعانق لشمائل تمجيد الله في وحدانيته، والمستسلم لتفرد في الحكم والشأن بعذوبة

---

(1) ينظر: سيبويه. الكتاب. ج 4/ ص 434.

(2) قادر، فخرية غريب. تجليات الدلالة الإيحائية في القرآن. ص 65.

(3) سورة الحج. الآية: 32.

(4) ينظر: مايو، عبد القادر. الوجيز في اللغة. ص 46-49.

(5) ينظر: حسن، عباس. خصائص الحروف العربية ومعانيها. ص 178.

في العيش، وطمأنينة في القلب، ووسع في الحياة.

تحتم مفردة (أحدا) تشكيلها الصوتي بعلامة (الدال) الصوت الشديد المجهور والمرقق<sup>(1)</sup>، الذي يولد بهذه المقومات إيقاعا قويا يترجم المضمون الدلالي الذي تكفلت به هذه المفردة. إنه جرس يقرع الأذان إنذارا وتبشيرا؛ ينذر أهل الكفر والمشركين تقريرا لهم وتهديدا، ويبشر الموحددين المؤمنين إكراما وتعزيزا لهم.

يبعث وجود صوت قوي مثل (الدال) بتردده على مسامع الناس في فاصلة كثير من الآيات على الإثارة والانتباه للمقاصد التي تعالجها السورة، يأتي على رأسها تصحيح الاعتقاد، وخاصة أن هذا الصوت يحتل الصدارة إحصائيا (تسعا وعشرين مرة) في فواصل السورة كلها.

ومهما يكن من أمر، فإن الإيقاع الذي تولد من تكرار العلامات الصوتية المشكلة لبنية المفردة (أحدا) على امتداد الآيات التي وردت فيها جاء منسجما مع خدمة الغرض الأسمى من خطاب السورة، وهو توحيد الله في ربوبيته، وتنزيهه عن الشريك، وتفردته عن كل شيء، فضلا عن لفت الانتباه إلى الإنذار والتهديد الموجه لكل من سولت له نفسه ولوج ظلمات الشرك.

---

(1) حسان، تمام. مناهج البحث في اللغة. ص 93.

## 2-3- دالات العلامة الصوتية في فواصل سورة الكهف

### 2-3-1- أهمية العلامة الصوتية في الفاصلة القرآنية

يتنوع النظام الصوتي في القرآن الكريم طبيعة وتشكيلا وتنغيمًا وإيقاعًا، ومن صوره الإيقاعية الفاصلة القرآنية بوصفها علامة صوتية ذات قيمة تعبيرية مهمة، تسهم في بناء المعنى من خلال التشكيل الصوتي للإيقاع القرآني. إن الفواصل "حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إلهام المعاني"<sup>(1)</sup>، وتحقيق التناغم، وإثراء الأسلوب بجمالية رائقة؛ فهي توفر للخطاب القرآني "نظاما موسيقيا فريدا، وامتد تأثيرها إلى بناء الجملة القرآنية بناء نحويا خاصا قد يفترق عن البناء الأصولي للجملة العربية في نحو النحاة"<sup>(2)</sup>.

إن العلامة الصوتية في الفاصلة القرآنية تنهض بمهمة لفظية ومعنوية في الوقت ذاته. إنها مهمة جرسية إيقاعية، لكنها تضطلع بمهمة معنوية دلالية أيضا. لتشكل بما توفره من صدى صوتي وظلال دلالية علامة مؤثرة في وجهة المعنى.

### 2-3-2- معاني علامة الفاصلة في سورة الكهف

يأمعان النظر في أصوات الفاصلة القرآنية في سورة الكهف نجد أنها تميزت بحركة الفتح (تنوين الفتح) على مدار السورة بكاملها، تنوين يتحول إلى (ألف مدّ) عند الوقف على فواصل الآيات. كما لاحظنا تنوعا في هذه الأصوات التي تعاقبت على حروف الفاصلة في هذه السورة المباركة، وسجلنا حضورا مكثفا لأصوات بعينها، مثل

---

(1) الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج1/ ص 51.

(2) العبد، محمد سليمان. من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم. المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد 36، السنة 1989، ص93.

صوتي: (الدال) و(الراء) على الخصوص، ثم صوتي:(الياء) و(اللام) كما تبين إحصائيات الجدول الآتي:

### جدول رقم (8): عدد مرات ورود أصوات الفاصلة في سورة الكهف

صا، زا، جا، ضا	طا، فا، وا	ما، نا	عا	قا	لا	با	را	دا (ى)	أصوت الفاصلة
1	2	3	5	6	13	17	24	29	عدد مرات الورد

نلاحظ من خلال معطيات الجدول (8) تنوعا في حروف الفاصلة، لكن أصوات: (الدال) و(الراء) و(الباء) و(اللام) أكثر العلامات ورودا في نهاية الفاصلة القرآنية التي تغطي مدار السورة، حيث تكرر (الدال) تسعا وعشرين (29) مرة، و(الراء) أربعاً وعشرين (24) مرة، و(الباء) سبع عشرة (17) مرة، و(اللام) ثلاث عشرة (13) مرة، وكلها علامات صوتية تتسم بخاصية الشدة. ولا يخفى أن وجود أصوات الشدة بهذا الكم الكثيف يشكل علامة موجهة لمقاصد السورة. وما دامت السورة الكريمة تعالج موضوع العقيدة، والرد على سؤال المشككين، فإن الأمر يقتضي أصواتا قوية ذات وقع وصدى يؤثر في نفسية المخاطب وقناعته.

إن الملاحظ المتدبر لتوزيع أصوات الفاصلة سيجد - لا محالة - أنه يتساوق مع السياقات التي ترد فيها، فحينما كان الحديث في مقام الرد الحاسم بالجواب القاطع على السائلين المشككين: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \* فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا \* ثُمَّ

بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا \* تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۗ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ  
 وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١﴾ وظف القرآن الكريم دوي (الدال) الذي يناظر مواقف القوة والجدل: (رَشَدًا)، (عَدَدًا)،  
 (أَمَدًا)، (هُدًى)، (مُرْشِدًا)، (أَحَدًا)... وكذلك لما كان الكلام منصبا على وصف مشاهد من يوم القيامة:  
 ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا \* وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ  
 جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٢) ختمت الفاصلة ألفاظها بـ: (أَحَدًا)،  
 (مَوْعِدًا)، (عَصْدًا)... ونعلم أن صوت (الدال) يتميز بقوة النطق وشدة الالتصاق، إذ باستطاعته أن يولد بجرسه  
 التكراري إيقاعا مجلجلا يطرق الأسماع بما يثبت الحق، ويثبط الشك.

لذلك، فردا على المنكرين وإبرازا لحقائق الدين وبيانا لأهوال يوم القيامة، يتطلب سرد أحداث قصة أصحاب  
 الكهف قوة إيقاعية ووضوحا سمعيا، ونقاء صوتيا، استجابة لمقتضى مقاصد البيان والإيضاح والإقرار. وهي  
 المقومات التي توافرت أسباب وجودها في صوت (الدال) بخصائصه النطقية مُعَصِّدا بأصوات مماثلة تتكامل معه،  
 لخدمة الدلالة السياقية، من مثل: صوت (الطاء) في (شططا) وصوت (الباء) في (كذبا) وصوت (القاف) في  
 (مرفقا). إن هذه العلامات خلقت توهجا صوتيا يستنهض هم العقول التائهة، ويوقظ النفوس الغافلة من أجل  
 تصحيح العقائد الفاسدة السائدة، وتثبيت عقيدة التوحيد الخالدة.

أما عندما انتقل الخطاب إلى الحديث عن قصة موسى والخضر (عليهما السلام)، فقد لجأ إلى تكثيف صوت  
 (الراء) في إيقاع الفاصلة، من الآية: (65) إلى الآية: (82). و(الراء) صوت "يجري معه النفس لانحرافه إلى اللام،

(١) سورة الكهف. الآيات: 10 - 11 - 12 - 13.

(٢) سورة الكهف. الآيتان: 47 - 48..



وللتكرير الذي فيه<sup>(1)</sup>، وذلك لأن هذه الصفة التي يتمتع بها صوت (الراء) بسبب الضربات المتسارعة للسان على اللثة تصور بجرسها التكراري تلك الأشواط التي قطعها رحلة موسى بحثا عن العلم والتعلم.

اللافت أن هذه السمة التكرارية تتساق مع تكرار أحداث وأحوال بعينها أكثر من مرة في هذه القصة، من مثل: (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ثلاث مرات، (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا... ) ثلاث مرات كذلك. وبما أن المغزى من الكلام هو إظهار حكمة الله في تدبير الظواهر الوجودية، من حيث إن ظاهر الأشياء لا يعبر دائما عن حقيقة جوهرها، ومصدقا لقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>، فإن علامة صوت (الراء) برنته التكرارية المسترسلة كانت أنسب الأصوات تعبيراً عن إلحاح موسى عليه السلام المتكرر على مزيد من الاكتشاف والتعلم.

نجد كذلك أن الفاصلة التي يتردد إيقاعها بعلاوتي: (الباء) و(اللام) تتلاءم بأجراسها المخصوصة مع المعاني التي يعالجها السياق، وخاصة سياق قصة ذي القرنين؛ إذ في معرض الحديث عن قوة التمكين، وعظمة الأسباب التي يملكها ذو القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا \* فَاتَّبَعِ سَبَبًا﴾<sup>(3)</sup>، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾<sup>(4)</sup>؛ ورد حرف (الباء) صوتا انفجاري شديدا<sup>(5)</sup> مجهورا، حيث يستشعر الإنسان ذلك الوقع الإيقاعي القوي الذي خلقته أصوات لفظ(سببا)حينما يتردد جرسها كل حين على امتداد قصة ذي القرنين، كما أن استحكام الشفتين بالضغط عليهما قبل خروج صوت (الباء) يوحي في إشارة طريفة إلى استحكام ذي القرنين بزمام الجاه

---

(1) مكّي، بن أبي طالب القيسي. الرّعاية لتجويد القراءة. ط2، وتحقيق لفظ التلاوة. تح: أحمد فرحات، دار عمار، عمان - الأردن، 1404هـ - 1984م، ص 195 - 196.

(2) سورة يوسف. الآية: 76.

(3) سورة الكهف. الآية: 84 - 85.

(4) سورة الكهف. الآية: 89 والآية: 92

(5) ابن جنّي. سر صناعة الإعراب. ج1/ ص 119.

والسلطان، وتمكنه من قبضة الحكم التي صدت ظلم المفسدين، ومنعت شر المبطشين، وسدت منفذ الطاغين ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَفْبًا﴾<sup>(1)</sup>.

أسهم صوت (اللام) بإيقاعه المتردد في فاصلة هذه السورة في بيان المعنى وإيضاح الدلالة وفق الأحداث والوقائع التي حضر فيها، وذلك بما يتسم به من صفات نطقية وخصائص جرسية أبرزها سمة الانحراف والتشديد، حيث وظف الأسلوب القرآني - في نهاية بعض الآيات - صوت اللام ليكون منبها بنغمه الشديد إلى ما يقتضيه الإنسان من زيغان وتيهان ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾<sup>(2)</sup>، ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾<sup>(3)</sup>، فحينما ينحرف الإنسان عن منهج الإيمان القويم ومسار الحق المبين، وينتهج أسلوب الجدل العقيم: فإن التنبيه إلى هذا السلوك المعوج والعناد الفج تناسبه الأصوات الشديدة الرادعة، لعله يستفك من غفلته، ويستغفر لذنبه.

من جهة أخرى، تسمح حركة الفتحة الطويلة (ألف المد) التي تأخذها حروف الفاصلة لمخرج النطق بالميل إلى الانفراج والاتساع إثر انفتاح جهاز النطق على مستوى (الحلق والغم والشفيتين)، ونحسب أن هذا الاصطفاء لهذه الخصائص الصوتية يتناسب مع مضامين السورة، لأنه إذا كانت سورة الكهف، عموماً، تعالج تصحيح العقيدة وإثبات الحقائق الإيمانية من خلال سياقات: الرحمة والهداية والإصلاح، فإن السمات النطقية التي يتمتع بها مصوت الفتحة بما فيه من خفة ولين واتساع<sup>(4)</sup> يسهم في صناعة جو من الوسع والانشراح، وخاصة أننا نلاحظ أحياناً هيمنة حركة الفتحة على لفظ الفاصلة كله من دون غيرها (سَرَبًا، نَصَبًا، عَجَبًا، سَبِيًا، مَدَدًا، أَحَدًا)، ولا

---

(1) سورة الكهف. الآية: 97.

(2) سورة الكهف. الآية: 54.

(3) سورة الكهف. الآية: 55.

(4) العظيمة، خليل إبراهيم. في البحث الصوتي عند العرب. منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد- الجمهورية العراقية 1983م، ص 51.

شك أن هذا القلب الإيقاعي يخدم معاني الرحمة واللفظ والهداية ورحابة أبواب الإيمان والتوحيد التي يعالجها خطاب السورة.

صفوة القول، إن إيقاع الفاصلة في سورة الكهف يعد علامة إيحائية أسهمت في بيان مقاصد السورة ومضامينها على الوجه الأكمل، وذلك بأصواتها المترددة بشكل منتظم على مدار الآيات، فكانت بذلك مدخلا من المداخل التي يمكن استقصاؤها من أجل فهم أعمق، وإدراك أحق للمعاني والدلالات التي تنقلها السورة. وما هذه الفواصل "التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب<sup>(1)</sup>.

## 2-4- أثر علامتي: النبر والتنغيم في معاني سورة الكهف

### 2-4-1- علامة النبر

يعد النبر علامة صوتية نوعية، ترفد الدلالة بإشارات تعبيرية توجه مسار المعنى، ويمكن "بوساطته تعرف البيانات القاصدة للخطاب وما يعتوره من الانفعالات والمضامين، ومن ورائهما التعرف على المقاصد والمواقف"<sup>(2)</sup>. يطلق الصوت المنبور على المقطع الأكثر ضغطا أثناء التلغظ بالكلمة أكثر من غيره مما يجاوره في الكلمة حيث

---

(1) الرافي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ص 150.

(2) قادر، فخرية غريب. تجليات الدلالة الإيحائية. ص 123.

يكون الجهد النطقي أكثر قوة على مستواه<sup>(1)</sup>.

من علامات النبر في سورة الكهف نذكر ما يأتي:

● مفردة "ملتحدًا" في قوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾<sup>(2)</sup>.

نلاحظ أنه حينما نقرأ (ملتحدًا) يحصل النبر على مستوى المقطع الصوتي /ت/ حيث يعتمد اللسان على أسنان الفك العلوي ليخرج صوت (التاء) مهموسا مرققا ليعضد مضمون الكلمة في الآية، حيث إن الإيواء إلى الله، والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، يضمن الراحة النفسية والرأفة الإيمانية.

ما يركي هذا المنحى في الفهم هو أن المقطع المنبور أتى بعد المقطع الأول، المختوم بصوت (اللام)، و(اللام) صوت منحرف من جانبي اللسان، وكأن الميل إلى ملجأ الله أضمن وأبقى لأنك لن تجد آمن منه ملجأ أبدا. والملتحد معناه في اللغة الممال، أي موضعا أميل إليه<sup>(3)</sup> والملتحد الملتجأ<sup>(4)</sup>، لذلك حقق التأزر بين المقطعين والنبرة المصاحبة جرسا أضاف للمعنى تجليات كاشفة.

● مفردة "فاعل" في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذُلِكَ غَدًا﴾<sup>(5)</sup>.

---

(1) لمزيد من التفصيل ينظر: حسان، تمام. مناهج البحث في اللغة. ص 170. / مختار أحمد. دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب - القاهرة، 1997م - 1418هـ، ص 162.

(2) سورة الكهف. الآية 27.

(3) القنوجي، أبو الطيب محمد. فتح البيان في مقاصد القرآن. تقديم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412 هـ - 1992 م، ج 14/ ص 365.

(4) الزمخشري. الكشاف. ج 4/ ص 631.

(5) سورة الكهف. الآية 23.

تتكون كلمة: (فاعل) من ثلاثة مقاطع صوتية حصل فيها النبر على مستوى المقطع الأول /فا/، و(الفاء) صوت ينتج بعد ضغط أسنان الفك العلوي الأمامية على الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا<sup>(1)</sup>. نستشعر من خلال تلك النبرة المتألقة على مستوى مقطع (الفاء) أنه الصوت الأقوى تعبيرا عن محمول الكلمة؛ إذ بالإضافة إلى معاني التجدد والاستقبال التي تتضمنها الصيغة الصرفية؛ فإن النبرة المرتفعة أثناء الارتكاز على المقطع /فا/ توحى بدلالة التأكيد، وكأن الأمر حاصل مستقبلا من دون أدنى شك.

نضيف دعما لهذا الافتراض تلك النبرة الصاعدة المستمدة من ضغط اللسان على الحنك لإخراج حرف (النون) في لفظ (إني)، وهي نبرة تناسب مقتضى المقام، لأنها تعزز معاني التأكيد أكثر قوة من ورود لفظ (إني). ولذلك نهي الله في الآية عن مثل هذا القول الذي يحمل معاني اليقين والقدرة على الفعل في المستقبل، في حين أن الأمر يرتبط بمشيئة الله التي تفعل ما تريد وتقدر ما تشاء، ومن ثم وجب اتباع الأمر المراد فعله بر(إن شاء الله).

- مفردة "الحق" في قوله عز وجل: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾<sup>(2)</sup>.

تشكل النبرة الصاعدة التي يُنطق بها صوت (القاف) المشدد في مفردة (الحق) علامة مؤثرة في وجهة المعنى الذي يتلقاه السامع أو يتلوه القارئ، وتخبر علامة النبر الواضحة على مستوى قلقة صوت (القاف) أن المعنى يستهدف صفة الله أو اسما من أسمائه الحسنى. بينما إذا قرأ القارئ المقطع بصوت خافض بعيد عن نبرة الوضوح السمعي المستطال قد يتغير المعنى كليا ليلتقط السمع لفظ (الحق) كأنه فعل أمر من (اللاحق)، وهو غير المراد من الآية. لذلك تعد علامة النبر عاملا أساسيا في تحديد حدود الألفاظ بداية ونهاية، وفي رسم معالم المعنى المقصود.

(1) المبرد. المقتضب. ج 1/ 194.

(2) سورة الكهف. الآية 44.

- مفردة "نبغ" في قول الله سبحانه: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ۖ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾<sup>(1)</sup>.

تبين هذه الآية الكريمة، بشكل واضح، الدور الفعال المنوط بعلامة النبر في تدقيق المعنى وضبطه حتى يتيسر للمتلقي سبيل الفهم، فعند تلاوة المفردة (نبغ) في العبارة (ما كنا نبغ) بعلو في الصوت وبروز في النطق واستطالة فيه على مستوى المقطع الأخير: /غ/، فإن المعنى يكون مؤداه إقرارا بالأمر "ذلك ما كنا نطلب؛ لأن الله أخبره بأنه إذا فقد الحوت، فذاك محل اتفاهه مع الخضر"<sup>(2)</sup>. وحينما نزول هذه العلامة الصوتية المميّزة قد يلتبس المعنى، خاصة مع وجود (ما) الموصولة مع احتمال أن يلحقها النبر فتتحول إلى نفي يزيح المعنى عن دلالاته السياقية المقصودة، لأن الصوت -بحسب السمرقندي- قد يرتفع مع (ما) إذا دلت على النفي<sup>(3)</sup>.

- عبارة "وترى" في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾<sup>(4)</sup>.

يظهر جليا من خلال هذه الآية أن الدور الصوتي الذي تنهض به علامة النبر في عبارة: (وترى) يكون له الأثر البالغ في ضبط المعنى، حيث يسهم في تحديد مآل الدلالة انطلاقا من التجاور الموجود بين (الواو) الاستثنائية والفعل (ترى)، إذ يقتضي هذا التجاور في ظل السياق إحداث النبر على مستوى المقطع الثاني /رى/ من الفعل (ترى)، فزيادة الجهد النطقي، وإطالة النغمة في نهاية المقطع يبرز معه المعنى ويتضح المقصود، بينما إقصاء مزية النبر في هذا المقام قد يجلب اللبس، ويثير الغموض، لأن الضغط الصوتي قد يتحول إلى (الواو) فيغدو كأنه جزء من كلمة: (وترى) أو (وتر) من الوتر، فيضيع المعنى ويحدث الإبهام.

(1) سورة الكهف. الآية 64.

(2) العثيمين، محمد بن صالح. تفسير سورة الكهف. ص 111.

(3) ينظر: البايبي، أحمد. القضايا التطريزية. ج 1/ ص 288.

(4) سورة الكهف. الآية: 18.

## 2-4-2- علامه التنغيم

تضطلع علامه التنغيم في الخطاب بوظيفة نحوية تمييزية، وتطلق هذه الصفة على النمط الصوتي الأدائي انطلاقاً من تنوع في نغمة الصوت وذبذباته وانسجاماً مع السياق الذي ترد فيه، وتنجم عن ذلك دلالات محدّدة لمآل المعنى.

عرّف محمود السعران التنغيم بوصفه "المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام"<sup>(1)</sup>، معنى ذلك أن الأداء الصوتي يختلف من مقام إلى مقام، فالتنغيم المصاحب لعبارة الاستهزاء ليس هو نفسه المتداول في مقام التأكيد أو الأمر أو الغضب أو التعجب...

وهكذا، يعد التنغيم علامة صوتية لها أثرها في توجيه الفهم في الخطاب. نلمس ذلك الأثر في ما نورد من أمثلة من سورة الكهف:

• يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾<sup>(2)</sup>.

يستلزم الكلام في هذا المقام أداء ينخفض معه منحى التنغيم، لأن قراءة العبارة بنغمة هابطة تشحن المعنى بدلالات نفسية تؤثر على المتلقي، فعندما تسمع لقراءة بهذه النغمة النازلة تستشعر في نفسك أنه ادعاء كاذب ليس له حجة أو دليل، والكذب من علامات الكيد، والكيد أمر يُدبّر في الخفاء، وهذا السياق يناسبه الانخفاض في الصوت، لأن في مثل هذه الأقوال "جرأة على الله وتقوّل عليه، وكفر وتحد أو افتراء عليه، لذلك فهي تؤدي

(1) السعران، محمود. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. ص 192.

(2) سورة الكهف. الآية: 4.

على مستوى طبقات الصوت بصوت خفيض تسفيها لقائلها، وتعظيما لله واستحياء منه<sup>(1)</sup>، فتكون هذه العلامة الصوتية التنغيمية مؤشرا باعثا على استنكار وإدانة ما يتلفظون به إزاء وحدانية الله، سبحانه عما يصفون.

• يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(2)</sup>.

قد يضمّر الكلام الموجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم استفهاما<sup>(3)</sup> في قوله تعالى: (تريد زينة الحياة الدنيا)، ويكون المراد: (أتريد زينة الحياة الدنيا؟)، فلو قرئت من دون تلوين تنغيمي مناسب، لتوهم السامع أنها جملة خبرية تقريرية، وهو أمر غير مرجح في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أن منحى التنغيم يؤول إلى الاستفهام الإنكاري، لكنه استفهام خرج عن معناه الاستجوابي إلى معنى آخر، نستنتق منه عتابا موجّها ومسددا لمنحى الدعوة الإسلامية، وحتى إن كان الخطاب في ظاهره من خواص الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن المراد توجيه عامة المؤمنين الوجهة الراشدة حرصا على لحمّة الدعوة المحمدية. لذلك يحتاج هذا الأسلوب إلى نغمة

---

(1) البايبي، أحمد. القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصوتة الإيقاعية. ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد عمان - 2012م، ج1/ ص 297.

(2) سورة الكهف. الآية 28.

(3) قد تكون جملة (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال، فيكون التقدير: ولا تعد عينك عنهم مريدا زينة الحياة الدنيا. وقد تكون استئنافية وتكون استفهامية حذفت منها أداة الاستفهام. ينظر: (حماسة، محمد عبد اللطيف. فتنة النص: بحوث ودراسات نصية، ط 1، دار غريب، 2008 ص، 181)



صاعدة يرتفع معها منحنى الصوت<sup>(1)</sup> تثبيتها لهذه المعاني، لأن التنغيم قد يكون في بعض النصوص أهم من وجود الأداة<sup>(2)</sup>، فتحمل نبرته تجليات إيجابية ذات أثر في مسلك المعنى.

• قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾<sup>(3)</sup>.

يستنبط القارئ لهذه الآية الكريمة معاني العذاب الموعود والتهديد المنتظر انطلاقاً من الدلالة المباشرة الظاهرة في الخطاب، إلا أن العلامة الصوتية التي تسهم في تشكيل بناء المعنى وطريقة أدائها تزيد من إبراز دلالات التهديد والعذاب والإغلاظ.

تضيف نعمة الأداء في سياق هذه الآية دلالات نفسية وعاطفية تؤثر في المعنى وفي فهم المتلقي. فحينما تقرأ الآية بنبرة صوتية صاعدة، وتلج الأسماع بصدى مرتفع تحدث انفعالات شعورية، تنجم عنها تصورات ذهنية تصور حجم الوعيد المنتظر.

ولتقوية الحجة في هذا الباب، نستدل بما ساقه ابن جني تبريراً لزيادة (الواو) في إحدى القراءات، بقوله: "يُتَأَوَّلُ لقراءة الحسن: "سَأُورِيكُمْ"، أراد: سأُرِيكُمْ وأشبع ضمة (المهمزة) فأنشأ عنها (واوا)، وهو أبو سعيد (..) وزاد في احتمال (الواو) في هذا الموضع أنه موضع وعيد وإغلاظ، فمكّن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده"<sup>(4)</sup>، وجد ابن جني ههنا مبرراً إلى أن مقام الإغلاظ والتهديد يقتضي إيقاعاً حاداً في الأداء، وقوة في التلفظ، تركي محتوى

(1) ينظر: البايبي، أحمد. القضايا التطريزية. ج1/ ص 288 وما بعدها.

(2) ينظر: بولخطوط، محمد. الأثر الإيقاعي للتنغيم في سورة المائدة. مجلة العلامة، العدد 04، يونيو 2017، ص 86.

(3) سورة الكهف. الآية: 29.

(4) ابن جني، أبو الفتح. المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ-1999م، ج1/ 259.

اللفظ، وتوضح الغاية المقصودة. إن قراءة الآية أعلاه بنغمة تستجيب لمقام التهديد والإخافة وتدفع إلى استشعار قوة الموقف وشدته كفيل بإحداث الأثر المتوخى من المعنى، وذلك ما عبر عنه الزركشي بكمال الترتيل حينما قال: "فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله فإن كان يقرأ تهديدا لفظ به لفظ المتهدد وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم"<sup>(1)</sup>، والقراءة بلفظ المتهدد تقتضي نبرة فيها من الشدة والحدة في الصوت ما يثير السمع ويشد الانتباه، لأن مشاهد العذاب التي تصرح بها الآية تقتضي إيقاعا معبرا عن فظاعة ما ينتظر الكفار.

• قال سبحانه وتعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(2)</sup>.

يكون الإطار الصوتي الذي تؤدي في ظله الآية عاملا مهما في تحديد المعاني النحوية المتضمنة في التعبير، فالنغمة التي تنطق بها جملة: (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) تتماهى نبرتها الصوتية مع الدلالة السياقية التي ترفد معاني التعجب والغرابة لهذه الكلمة الثقيلة الخارجة من أفواه المشركين. يقول الزمخشري: "وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أكبرها كلمة"<sup>(3)</sup>. لقد أوحى طريقة أداء الآية بمعاني التعجب التي قد تغيب عن الأفهام إن كان الأداء مخالفا لمقتضى السياق. من هنا، تبرز في هذا المقام تلك الوظيفة النحوية التمييزية<sup>(4)</sup> للعلامة الصوتية على مستوى النغمة التعجبية التي تضم استنكارا وسخرية من قول كذب مردود جملا وتفصيلا.

• قال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(5)</sup>

(1) الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج 1/ ص 450.

(2) سورة الكهف. الآية: 5.

(3) ينظر: الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 703.

(4) ينظر: البايبي، أحمد. القضايا التطريزية في القراءات القرآنية. ج 1/ ص 266.

(5) سورة الكهف. الآية: 49.

لعل الإيقاع التنغمي الذي تتلى به جملة الاستفهام الظاهر في الأسلوب: (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة) خرج عن مراد الاستخبار إلى معاني التفجع<sup>(1)</sup> والتألم، خاصة أنه مسبوق بعبارة: (يا ولتنا) التي تحمل علامات التحسر والتوجع. إن الحال التي وجد المجرمون أنفسهم فيها ليست حال من يسأل للاستجاب ومعرفة ما غاب عن الذهن، وإنما الموقف موقف ندب وتحسر، لذلك فهو يحتاج نغما يصدق بالأنين والوجع.

لا شك إذا، في أن التنغيم الصوتي يدفع المخاطب إلى تخيل لحظة تفوه المرء بهذه العبارة وهو مصدوم من كتاب جامع لكل صغيرة وكبيرة، فيستشعر حينها حجم الحسرة والندم الجاثم على صدور أهل الخسران يوم القيامة.

### 3- أثر العلامة الصرفية في توجيه المعنى في سورة الكهف

تعد العلامة الصرفية جسر الربط بين العلامة الصوتية والعلامة النحوية، فهي البنية التي تصاغ الأصوات في قلبها، لتشكيل أبنية لها معان ودلالات يمكن توظيفها في تركيب محدد.

### 3-1- دلالات علامة الفعل

#### 3-1-1- الفعلان: (تستطع)، (تسطع)

نحسب أن إيراد صيغتين لفعل واحد علامة صرفية تثير الفضول العلمي لتبئ حقيقتة هذا الاختلاف. ولعل في هذا التباين في البناء لطائف تؤول إلى الدلالة السياقية التي تقتضي التناسب بين المعنى والمبنى.

---

(1) يقول ابن فارس: يكون اللفظ استخبارا، والمعنى تفجع. نحو: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ (الطعالي، الصاحبي في فقه اللغة، ص 135).

نلاحظ هذا الحضور والغياب لعلامة (التاء) في الفعل نفسه: (تستطع) و(تسطع) في الآيتين: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(1)</sup>، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(2)</sup>؛ حيث حضرت (التاء) في الفعل الأول (تستطع)، وغابت في الثاني (تسطع)، ويظهر من هذا الوجود والغياب أن للعلامة في وجودها معنى وفي غيابها معنى آخر.

يمكن القول إن موسى (عليه السلام) كان متأكدًا من صبره، واثقًا من استطاعته الصبر على مجريات الأحداث العارضة التي يمكن توقعها بالفطرة الإنسانية. يعزز هذا الافتراض التعبير بصيغة اسم الفاعل: (صابر) في قوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾<sup>(3)</sup>، لأنه يدل على التأكيد وعلى الدوام أكثر من الفعل (أصبر)، لأنه كان على يقين تام أنه قادر، بعد مشيئة الله، على التحكم في نفسه وسلوكه إزاء ما سوف يقع، وكان يظن أن السياق تحكمه تصرفات بشرية، لكنه بعد أن توالت المواقف الخارجة عن الحسبان، وتتابع الأحداث الفجائية، تلاشت عزيمة صبره، وضعفت قدرته على المقاومة وعدم السؤال، فصدرت عنه ردود أفعال تجاه ما يحدث أمامه.

كانت الأفعال ثقيلة على خاطر موسى لقوتها وغرابتها، لكونها لم تكن في حدود المتوقع. ولذلك ورد الفعل كاملاً دون نقص (تستطع)، كي يحاكي بأمانة تامة عسر حال موسى مع الصبر، ويوحى إلى حجم القلق النفسي الذي استبد بموسى عليه السلام، لأن موسى لم تكن له القدرة الكافية على مواجهة الأحداث كما وعد قبل. ولذلك عبر الفعل بعلامة (التاء) من دون حذفها.

(1) سورة الكهف. الآية: 78.

(2) سورة الكهف. الآية: 82.

(3) سورة الكهف. الآية: 69.

لكن حينما استسلم موسى أمام حكمة الله في ما يحدث، وعرف قدره القاصر أمام شؤون الله في خلقه، خف ثقل الذهول الذي أصابه إزاء المواقف المثيرة التي شهدتها (خرق السفينة، قتل الغلام، وبناء الجدار)، فعبر الخطاب بتخفيف الفعل (تسطع) إيدانا بأن الموقف خفت وطأته، ونزلت شدته، ولم يعد فيه اختبار لقدرة موسى أو جهده في الصمود أمام ما يجري، لينقل السياق اقتناع موسى واطمئنانه بأن الأمر تضبطه حكمة ربانية ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾<sup>(1)</sup>، فجاء الفعل مخففاً لينظر الهدوء النفسي ولحظة الانسراح التي تهيأت لموسى عليه السلام.

### 3-1-2- الفعلان: (استطاعوا)، (اسطاعوا)

قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾<sup>(2)</sup>.

وظف الخطاب القرآني فعل: (اسطاعوا) متعلقاً بعبارة: (أن يظهروه)، واستعمل (استطاعوا) متعلقاً بـ(نقبا). يبدو أن الفعل الأول أقل بناء من الثاني، ولا شك أن هذا الاصطفاء يتناسب مع مفعولي الفعلين؛ فالظهور على السد أو الحائط لاعتلائه يكون أيسر من ثقبه أو نقبه، لأن صعود السد يتطلب مجهوداً أقل شدة وقوة من عملية النقب، والنقب يقتضي عملاً شاقاً ومجهوداً جباراً للتمكن منه.

يرى ابن الزبير - ونحن نذهب معه في هذا الرأي- أن "الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجاء بالفعل مخففاً مع الأخف، وجيء به تماماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب"<sup>(3)</sup>.

(1) سورة الكهف. الآية 82.

(2) سورة الكهف. الآية: 97.

(3) ابن الزبير، الثقفى الغرناطي. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج3/ ص 324.

ما يدعم هذا الافتراض أن المادة التي شُيِّدَ بها السد كانت سبكا من فلزات الحديد وعنصر النحاس المذاب. قال سبحانه ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾<sup>(1)</sup>، الشيء الذي جعل هذا البنيان أكثر قوة وصلابة بهذا التفاعل الكيميائي المحكم، وبذلك سيكون العجز والفشل التامين مآل كل من حاول إحداث النقب بجداره. ولهذا، عبر القرآن على هذا العجز المستحيل تجاوزه بـ: (وما استطاعوا) بعلامة (التاء)، ليفيد العجز عن الشيء بعد التعلق به، وتكلف محاولته، وبذل الجهد في سبيل تحقيقه، وكان العجز في (فما استطاعوا) هو العجز المؤيس الذي يئد في النفس بواعث الأمل في الحصول على المراد، بصرفها كلية عن التعلق به، أو بذل أي جهد في سبيل تحقيقه<sup>(2)</sup>.

ومن ثمة، أوحى الزيادة في مبنى الفعل (استطاعوا) إلى زيادة في المعنى من حيث قوة الجهد المبذول أثناء النقب، وأوحى النقصان في الفعل (استطاعوا) إلى درجة أقل في الجهد المبذول أثناء الظهور على السد.

### 3-2- دلالات علامة اسم الفاعل

حازت العلامة الصرفية: (اسم الفاعل) نصيبا مهما في الأسلوب القرآني عموما، وفي سورة الكهف خصوصا. حيث وردت هذه الصيغة ثمان وثلاثين (38) مرة في سورة الكهف، وبذلك تكون أكثر المشتقات ورودا في هذه السورة المباركة.

(1) سورة الكهف الآية: 96.

(2) ينظر: طبل، حسن. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 66.

تكمّن قوة استعمال اسم الفاعل في مقوماته الصرفية التي ينماز بها، فهو يستعمل في اللغة العربية للدلالة على معنيين متلازمين<sup>(1)</sup> :

- **الأول:** التأكيد على أن الحدث واقع لا محالة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(2)</sup>، معنى ذلك أن مسألة الخلافة في الأرض واقعة حتما من دون أدنى شك، وأن آدم (عليه السلام) هو من سيتولى هذه الخلافة، لذلك صار للملائكة يقين تام من الأمر، فجاء سؤالهم كيفيا وليس احتملا للجعل أم لا: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾<sup>(3)</sup>. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾<sup>(4)</sup>. لقد استقر وانتهى أنهم مغرقون بالتأكيد.

- **الثاني:** الاستقبال، أي وقوع الحدث في المستقبل وقوعا مؤكدا، ولذلك إذا أكد المتكلم حدثا سيقع في المستقبل وجب أن يتبعه بقوله: ((إن شاء الله)) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(5)</sup>. ومنه قوله سبحانه ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾<sup>(6)</sup>، فالهلاك الذي سيلحق أهل القرية أمر محتم ومؤكد بناء على ما تنبئ به الصيغة الصرفية ((مهلكوا)).

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. تأملات لغوية في القرآن الكريم (تطبيقات نحوية في القرآن الكريم). محاضرات ألقاها على طلاب ماستر الدرس اللغوي والخطاب الشرعي بكلية الآداب بني ملال (2013-2015).

(2) سورة البقرة. الآية: 30.

(3) الآية نفسها.

(4) سورة هود. الآية: 37.

(5) سورة الكهف. الآيتان: 23 - 24.

(6) سورة العنكبوت. الآية: 31.

وعليه، فإن تكثيف اسم الفاعل في هذه السورة المباركة يوحي بقوة في التأكيد واليقين في ما تفصح عنه من أسرار ومضامين، وفي الوقت نفسه صد ودفع لشبهات المشككين المرتابين.

### 3-2-1- اسم الفاعل: (جاعلون)

يقول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾<sup>(1)</sup>.

نلاحظ أن الخطاب عبر بصيغة اسم الفاعل على حدث الجعل الثاني عوض الفعل، بخلاف الجعل الأول الذي عبر فيه بوساطة الفعل: (جعل): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(2)</sup>؛ فالجعل الأول أمره دنيوي معلوم وملموس، والناس كلهم مطلعون على زينة الأرض بمختلف أصنافها<sup>(3)</sup>، لذلك عبر بصيغة الفعل الماضي. وحينما تعلق الشأن بما هو آت أو غائب عن الناس<sup>(4)</sup>، ولا أحد يعلم أمره إلا الله، وأن وقوعه حتمي جاءت صيغة اسم الفاعل لتعبر عن معاني التأكيد واليقين التام، لا سيما أن المؤكدات: (إن) و(اللام) و(اسم الفاعل) علامات تعاضدت لحسم صدقية أن ما على الأرض من زينة سيكون مآله الزوال والعدم.

---

(1) سورة الكهف. الآية: 8.

(2) سورة الكهف. الآية: 7.

(3) جميع ما على وجه الأرض، من مآكل لذيدة، ومشارب، ومسكن طيبة، وأشجار، وأثمار، وزروع، وثمار، ومناظر بهيجة، ورياض أنيقة، وأصوات شجية، وصور مليحة، وذهب وفضة، وخيل وإبل ونحوها، الجميع جعله الله زينة لهذه الدار. ينظر: (السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي). ط 1، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م. ص 470.

(4) يقول الأستاذ محمد إسماعيلي علوي: إن سياق كل الآيات التي تضمنت صيغة اسم الفاعل دال على أمر فيه شك أو رنية أو مما قد يلتبس على الناس. (ينظر: إسماعيلي علوي، محمد. تأملات لغوية في القرآن الكريم: تطبيقات نحوية في القرآن الكريم) (مرجع سابق).



ندعم حجتنا بما جاء في سورة الرحمن بصيغة اسم الفاعل، وهو قريب من معاني الآية التي نحن بصدد تحليلها يقول سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(1)</sup>، إذ لم يقل (يفنى)، بل قال (فانٍ) تعبيراً عن أمر حاسم وأكد، وهو الفناء المؤكد لكل ما على الأرض. وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

### 3-2-2- اسم الفاعل: (صابرا)

يقول سبحانه: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾<sup>(3)</sup>.

تؤكد هذه الآية على أن دلالة التأكيد علامة من علامات صيغة اسم الفاعل، حيث استعمل موسى عليه السلام مفردة (صابرا) بدلا من الفعل (أصبر) ليعرب عن عزمته القوية وإرادته الجارحة في مواصلة رحلة العلم، من خلال تأكيده التام على أنه سيكون صابرا من دون شك. ولذلك علق على ثقته في نفسه وفي ما يقول ب(إن شاء الله)، لأن كل شيء يخضع لمشيئة الله على الرغم من وثوقه ويقينه، معنى ذلك أن موسى (عليه السلام) أكد للعبد الصالح أنه سوف يصبر ويطيع أمره إذا أمره<sup>(4)</sup>، وكأنه يريد إثبات أنه قادر تمام القدرة على الصبر والمقاومة بعدما نفى عنه الخضر الاستطاعة على ذلك: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾<sup>(5)</sup>.

إن لعلامة اسم الفاعل في الخطاب القرآني دورا دقيقا في نقل المعنى، وتحصيل الدلالة المناسبة للسياق الذي ترد

(1) سورة الرحمن. الآية: 26.

(2) سورة الأنبياء. الآية: 104.

(3) سورة الكهف. الآية: 69.

(4) ابن عاشور، الطاهر. التحرير والتنوير. ج 15 / 373.

(5) سورة الكهف. الآية: 68.

فيه، فحينما نسمع: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾<sup>(1)</sup>، نقتنع أن التعبير وظف اسم الفاعل: (المؤمنين) لوصف أهل الإيمان، والإقرار بأن صفة الإيمان ثابتة فيهم، بل مستمرة ومستقرة في قلوبهم.

من هنا، نفهم سر العدول عن صيغة الفاعل: (آمنوا أو يؤمنون) لأنها تفيد التجدد والحدوث، وهو ما يمنع حصول معاني الثبات على الإيمان والاستمرار عليه.

### 3-2-3- اسم الفاعل: (باسط)

قال عز وجل: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾<sup>(2)</sup>.

يظهر أن الآية عبرت في هذا السياق باسم الفاعل (باسط) بدلا من صيغة الفعل المضارع الذي قبله: (تزارور)، (تقرضهم)، (نقلبهم)، وذلك لتدقيق المعنى وضبط المقصد المخصوص في هذا المقام؛ فالأفعال بما فيها من مضارعة واستقبال تدل على معاني الحدوث والتجدد، والتعبير بالاسم فيه قصدية إلى الثبوت والدوام. وإذا كان الفتية في حركية وانتقال من حال إلى حال، فإن الكلب باق على الهيئة نفسها، باسط ذراعيه، ومستمر على ذلك. وعليه، "فإن أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وأن قولنا: "كلبهم يبسط ذراعيه"، لا يؤدي الغرض، وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاوله الصفة وتجدها في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاوله وتزجية فعل، ومعنى يحدث شيئا فشيئا"<sup>(3)</sup>. كما أن وظيفة الحراسة التي يضطلع بها (الكلب) إزاء الكهف تقتضي هيئة ثابتة توحى بالمراقبة الدائمة المستمرة. لهذه المسوغات أثر الخطاب

(1) سورة الكهف. الآية: 2.

(2) سورة الكهف. الآية: 18.

(3) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص 175.

القرآني صيغة اسم الفاعل (باسط) عوضاً عن (بيسط)، لكونه علامة حاملة لمعنى الوصف الملازم لهيئة الكلب بما ينسجم مع المشهد العام الذي يصور أحوال أصحاب الكهف، لأنه لو "قيل: (بيسط) لم يؤد الغرض، لأنه يؤذن بمزاولة الكلب البسط، وأنه يتجدد له شيء بعد شيء فباسط أشعر بثبوت الصفة"<sup>(1)</sup>.

### 3-3 - دلالة صيغة المصدر

#### 3-3-1 - المصدر: (غورا)

سيلاحظ المتأمل في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾<sup>(2)</sup> لجوء الخطاب القرآني إلى التعبير بالمصدر: (غورا) بدلا من اسم الفاعل: (غائرا). لا شك أن هذا الاستعمال يحقق إفادات أكثر دقة وخصوصية من توظيف اسم الفاعل، لأن "اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدلة على المعاني"<sup>(3)</sup>.

وإذا سلمنا بهذه القناعة، فإن التعبير بعلامة اسم الفاعل: (غائرا) قد يترك بصيص أمل لإمكانية الوصول إلى الماء، لأن الماء قد يكون غائرا بعيدا لكنه موجود. يقول الإمام الشعراوي: "يمكن أن يكون الماء غائرا، ونستطيع إخراجه بالآلات مثلا"<sup>(4)</sup>. ووفقا لهذا المعنى، انتقى الخطاب المصدر: (غورا)، لأن المصدر يدل على الحدث مجردا،

(1) السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج2/ ص 376.

(2) سورة الكهف. الآية: 41.

(3) الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج3/ ص 34.

(4) الشعراوي. تفسير الشعراوي. ج14/ ص 8919.

وليس في بنيتها الصرفية ما يدلّ على زمن محدد<sup>(1)</sup>، فضلا عن أن المصدر أقوى وأثبت في المعنى، فأنت حين تأمر بالمصدر فقد أمرت بالحدث المجرد، وهو أكد من الفعل<sup>(2)</sup>.

آثر الأسلوب القرآني توظيف هذه العلامة في هذا السياق لما فيه من الإطلاق والتأكيد والمبالغة، مما يسعف في الإيحاء إلى استحالة الوصول إلى الماء، ويبعث في نفس الكافر اليأس من أي إمكانية أو حيلة يفكر في اللجوء إليها طلبا لقطرة ماء، ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا﴾<sup>(3)</sup>، وكأن المخاطب يقول له: "قطعا لن تصل إليه بأيّ وسيلة من وسائلك. وعلى المنوال نفسه جاء الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾<sup>(4)</sup> (5).

### 3-4-4- دلالات علامة الإفراد والتثنية والجمع

#### 3-4-1- لفظ: (فتية)

دُكر لفظ (فتية) في سورة الكهف مرتين بالتعريف وبدونه، ولم يرد إلا في هذه السورة بهذه الصيغة. قال

سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾<sup>(6)</sup>، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾<sup>(7)</sup>.

---

(1) يقول ابن مالك: "المصدر اسم دال بالأصالة على معنى قائم بفاعل أو صادر عنه حقيقة؛ أو مجازا، أو واقع على مفعول وقد سُمِّي فعلا وحدثا وحدثانا" (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك. ص 87). لأن التعبير بصيغة المصدر لا يصرف المتلقي إلى فهم مقيد بزمن ما، بل يحسر الذهن في التصور المجرد عبر زمن مبهم أو مطلق.

(2) ينظر: السامرائي، محمد فاضل، معاني النحو. ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1420هـ - 200م، ج 2/ ص 167.

(3) الكهف. الآية: 41.

(4) سورة الملك. الآية: 30.

(5) ينظر: الشعراوي. تفسير الشعراوي. ج 14/ ص 8919. (بتصرف يسير).

(6) سورة الكهف. الآية: 10.

(7) سورة الكهف. الآية: 13.

مفردة (فتية) جمع لفتى، وهو جمع قلة على وزن (فِعْلَةٌ)، لم يشكل قلبه الصرفي قاعدة قياسية يبنى عليها في شيء، ولهذا، هناك من اعتبره "من أسماء الجمع، وليس ببناء يقاس عليه لا يجوز غُرابٌ وَغُرْبَةٌ، ولا غِنِيٌّ وَغِنِيَةٌ"<sup>(1)</sup>. كأني بما يحمل هذا اللفظ من علامات صرفية أمام انسجام تام مع إفادات قصة أصحاب الكهف. إنهم كانوا قلة قليلة ممن توردوا على أهل الشرك، والشرك مستفحل في السواد الأعظم من قومهم، فاختاروا غارا في جبل فرارا بإيمانهم، لعلهم يسلمون من بطش المجرمين.

لقد استعمل خطاب السورة مفردة (الفتية) للقلة، لأن أكثر ما قيل في عدتهم سبعة وثامنهم كلهم<sup>(2)</sup>، في حين ذكر اللفظ في سورة يوسف على صيغة (فتيان) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(3)</sup>. إن السياق في سورة يوسف يبين سياق سورة الكهف، لأن يوسف عليه السلام نال أسباب التمكين والملك، ومن ذلك ما توافر له من خدم وحشم كثير، فناسب لفظ (فتيان) المقام للدلالة على أن محيط العزيز (يوسف) يراعه فتیان كُثُرٌ. ندعم هذا الافتراض بحجة ما قاله فاضل السامرائي من أن "ذكرهم بـ(الفتيان) للدلالة على أنهم أكثر من عشرة إذ لا شك أن عمال العزيز الذين يعملون على الطعام أكثر من عشرة فاستعمل الفتية للقلة والفتيان للكثرة"<sup>(4)</sup>.

---

(1) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج. زاد المسير في علم التفسير. ط 1، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - 1422 هـ، ج3/ص66.

(2) السامرائي، فاضل. معاني الأبنية العربية. ط 2، دار عمار، عمان - الأردن، 2007م - 1428هـ، ص 119.

(3) سورة يوسف. الآية: 62.

(4) السامرائي، فاضل. معاني الأبنية العربية. ص 119.

### 3-4-2- مفردتا: (أيقاظا) و(رقود)

يبدو في قول تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾<sup>(1)</sup> أن الوصف الذي أطلق على أهل الكهف اختلف في صيغة الجمع بين القلة والكثرة، حيث وصفهم بـ(الأيقاظ) في البداية ثم بـ(الرقود)<sup>(2)</sup> بعد ذلك. وإذا توافقت صيغة (أيقاظ) مع العدد الراجح لفتية الكهف، لكونهم لم يتجاوزوا سبعة أفراد حسب عدد من كتب التفسير<sup>(3)</sup>، فإن الخطاب قد عدل إلى صيغة الكثرة (رقود)، لتبدو هذه الثنائية المتقابلة صرفا ومعجما وبلاغة أكثر جمالا وإبداعا وانسجاما في وصف مشهد الفتية داخل الكهف. فلما كانت اليقظة منعدمة في أجفان الفتية، والرأي لخالهم يخيل إليه أنهم أيقاظ، فإن الوصف بالقلة ناسب العدد والحال. ولما استغرق المنام زمنا طويلا، وبلغ أكثر من ثلاثمائة سنة، وكانت مدة نومهم هذه نموذجا إعجازيا بارزا في القصة، لجأ الأسلوب القرآني لهذه الصيغة ليتناسب مع طول مدة الرقاد في الكهف، لأن النوم طوال هذا الزمن الممتد أمر يثير الدهشة ويدعو إلى الإعجاب، فجاء اللفظ بصيغة جمع الكثرة ليلائم سياق الحدث. وأن في هذا التوظيف إسهاما في تقريب الصورة الحقيقية للمشهد، وتيسير تمثل المعنى في الأذهان، لأنه ليس المراد تكثير عددهم (أهل الكهف) بل تكثير الصفة التي كانوا عليها<sup>(4)</sup>.

(1) سورة الكهف. الآية 18.

(2) ذهب بعض من العلماء إلى اعتبار مفردة (رقود) مصدرا. نذكر منهم الإمام الرازي الذي قال: "هم رقود أي نائمون وهو مصدر سمي المفعول به كما يقال قوم ركوع وقعود وسجود يوصف الجمع بالمصدر، ومن قال إنه جمع راقد فقد أبعد لأنه لم يجمع فاعل على فعول" (مفاتيح الغيب. ج 21/ص 444). بينما هناك من العلماء من رد هذا التخريج. يقول الإمام الألوسي: "وما قيل إنه مصدر أطلق على الفاعل واستوى فيه القليل والكثير كركوع وقعود لأن فاعلا لا يجمع على فعول مردود لأنه نص على جمعه كذلك النحاة كما صرح به في المفصل والتسهيل" (الألوسي، شهاب الدين. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط 1، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415هـ، ج 8/ص 214). ينظر كذلك: (الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان. ج 3/ص 224).

(3) ينظر: الطبري. جامع البيان. ج 17/ص 641 / الرازي. مفاتيح الغيب. ج 21/ص 448.

(4) ينظر: شلي، محمد أحمد محمود. دلالات الإفراد والتثنية والجمع في القرآن الكريم. ص 412.

من هنا، يبرز اختلاف الدلالة في الجمع المكسر بين القلة والكثرة، وتبرز قوة اللغة العربية في التقعيد والتدقيق بين العلامات، لأن لكل علامة تأثيرا خاصا في توجيه المعنى.

### 3-4-3- مفردات: (جنة) و(جنتين) و(جنات)

ورد لفظ (الجنة) في سورة الكهف سبع مرات بين إفراد وتثنية وجمع، لكنه توزع بين دلالاته على معنى الجنة في الدنيا، ودلالاته عليها في الآخرة. فكان مبنى الإفراد والتثنية يشير إلى معاني الجنة في الحياة الدنيوية، ومبنى الجمع يوصي إلى دلالتها في الآخرة.

يتحصل معنى الجنة في الآخرة من خلال قوله تعالى:

- ﴿أُولَئِكَ هُم جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾<sup>(1)</sup>.
  - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾<sup>(2)</sup>.
- ومعنى الجنة في صيغتها الدنيوية يمكن استخلاصه من الآيات الآتية:
- ﴿رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾<sup>(3)</sup>.
  - ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾<sup>(4)</sup>.
  - ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾<sup>(5)</sup>.
  - ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾<sup>(6)</sup>.

---

(1) سورة الكهف. الآية: 31.

(2) سورة الكهف. الآية: 107.

(3) سورة الكهف. الآية: 32.

(4) سورة الكهف. الآية: 34.

(5) سورة الكهف. الآية: 35.

(6) سورة الكهف. الآية: 40.

- ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾<sup>(1)</sup>.

من البدهي أن يكون الاختلاف حاصلًا بين المعنيين؛ لأن مقام الدنيا دون مقام الآخرة. يقول سبحانه: ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾<sup>(2)</sup>؛ فجنة الدنيا متاعها قليل ولحظي وزائل، وجنات الآخرة نعيمها كثير وخالد ودائم. ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾<sup>(3)</sup>. لذلك ناسب الجمع بما فيه من دلالة على الكثرة والقوة والكمال جنات الآخرة، وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله ((أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))<sup>(4)</sup>. ولاءم الأفراد والتثنية بما يجيلان عليه من نقص وقلة جنة الدنيا الفانية والقليلة المتاع.

#### 4- أثر العلامة النحوية في توجيه المعنى في سورة الكهف

##### 4-1- معاني علامة الرتبة

تُعد الرتبة علامة من العلامات النحوية الدالة على المعنى، وهي عنصر في بنية النظام النحوي، إذ بوساطتها يمكن تحديد موقع الكلمة في ترتيب الجملة. إنها تنظم الإمكانيات الدلالية في التراكيب اللغوية، "فالعبرة إنما تدل على المعنى بوضع مخصوص، فإن بُدِّلَ ذلك الوضع والترتيب زالت تلك الدلالة"<sup>(5)</sup>. يُفترض في كلمتين يجمعهما ارتباط أن تأتي إحداها أولاً والأخرى ثانياً، ويمتنع العكس إذا كانت الرتبة محفوظة، أما والرتبة غير محفوظة جاز تقديم إحدى الكلمتين في ظل إفادة الجملة نحويًا.

(1) سورة الكهف. الآية: 39.

(2) سورة الضحى. الآية: 4.

(3) سورة التوبة. الآية: 38.

(4) صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، رقم: (3244).

(5) ينظر: القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. ص: 179.



#### 4-1-1- الرتبة المحفوظة

تحتفظ الكلمة برتبتها إذا كان موضعها ثابتا، فلا يمكن أن تتقدم أو تتأخر عنه، وإذا حدث تغيير في رتبتها يتغير المعنى كليا أو يختل التركيب ويصبح غير مفيد لمعناه.

نقدم في ما يأتي نماذج لعلامة الرتبة المحفوظة في سورة الكهف:

• المبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(1)</sup>.

يبدو أن (المال والبنون) تعبير أخذ حكم الابتداء، لأن الآية أخبرت عنه بكونه (زينة الحياة الدنيا)، والخبر والمبتدأ كلاهما معرفة، ولا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا كانا معرفتين معا بل أيهما قدمت فهو المبتدأ<sup>(2)</sup>.

يتضح من تدقيق التأمل في تركيب الآية المرصوف على هذا الترتيب أن فيه من التناسق ما يناسب المعاني السابقة عليه، وذلك أن الخطاب قدم تمثيلا محسوسا للحياة الدنيا الزائلة، ﴿وَاصْرِبْ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾<sup>(3)</sup>، فأعقبه بذكر عنصرين من العناصر الأكثر فتنة في الحياة الدنيا: (المال والبنون)، فأخبر عنهما بكونهما زينتها، "وترتيب هذا الإنتاج أن يقال المال والبنون زينة الحياة الدنيا وكل ما كان زينة الحياة الدنيا فهو سريع الانقضاء فالمال والبنون سريع الانقضاء"<sup>(4)</sup>.

ومن ثمة، كانت علامة الرتبة المحفوظة بين طرفي الجملة الاسمية مؤشرا بليغا في رقد المعنى بما يرومه الخطاب من مقاصد، ومنها لفت الانتباه، والتحذير من الاغترار بأشد النعم فتنة في الدنيا: المال والبنون.

(1) سورة الكهف. الآية: 46.

(2) ينظر: الزمخشري. المفصل في صناعة الإعراب. ط 1، تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، 1993، ص 46 / السكاكي. مفتاح العلوم. ط 1، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1407 هـ - 1987 م. ص 213.

(3) سورة الكهف. الآية: 45.

(4) أبو حيان، الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. طبعة: 1420 هـ، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ج 7/ ص 186.

• (إن) مع اسمها وخبرها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

عَمَلًا﴾<sup>(1)</sup>.

يعد ورود (إن) مع معموليها بهذا الترتيب علامة على تركيب محفوظ الرتبة، وذلك لأن النواسخ الحرفية تعمل بحملها على الفعل، ولذا لا يمكن التصرف في اسمها وخبرها تقديمًا وتأخيرًا لضعفها كما يؤكد النحاة<sup>(2)</sup>. يقول سيبويه: "كما أنه لا يجوز أن تقول: إِنَّ أَخوكَ عبدَ الله، على حدِّ قولك: إِنَّ عبدَ الله أخوك، لأنها ليست بفعل، وإنما جعلت بمنزلة، فكما لم تتصرف إن كالفعل، كذلك لم يجز فيها كلُّ ما يجوز فيه، ولم تقو قوته"<sup>(3)</sup>.

يتبين من كلام سيبويه أن قوة الفعل في العمل منحتة مرونة في تغيير رتبته، بينما الناسخ (إن) المشبه بالفعل لم يكن يملك تلك الميزة لضعفه، فهو فرع عن الأصل (الفعل). لذلك، وجب في حقه التزام<sup>(4)</sup> الرتبة حفاظًا على أصل المعنى.

يتناسب هذا الترتيب منطقيًا مع ترتيب الفعل والجزاء، لأنه لا يمكن أن ينال الأجر والجزاء إلا من عمل عملاً يترتب عنه ذلك الجزاء. فمن صدق الله ورسوله، وعمل بأمر الله، وانتهى بنهيه، لا يضيع أجره عند الله ﴿أُولَئِكَ هُمُ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) سورة الكهف. الآية: 30.

(2) ينظر: ابن يعيش. شرح المفصل. 1 ج/ ص 103. / العكبري، أبو البقاء. اللباب في علل البناء والإعراب. ط 1، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، 1416 هـ / 1995 م، ج 1/ ص 108.

(3) سيبويه. الكتاب 59/1.

(4) غير أنه يمكن استثناء نقض هذا الالتزام إذا كان الخبر ظرفًا أو جارا ومجرورا، فتقول: إن في الدار زيدا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ (المزمل. الآية: 12) ينظر: عبد المؤمن محمود محمد. دور الرتبة في الدرس النحوي - عرض ودراسة - حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد العشرون للعام 1437 هـ / 2016 م. ص 53.

(5) سورة الكهف. الآية: 4.

• رتبة الصلة وموصولها في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾<sup>(1)</sup>.

نجد كذلك، أنه من الرتب المحفوظة في النظام النحوي العربي رتبة الصلة وموصولها، لأنهما متلازمان ومتكاملان، فالصلة بيان وإيضاح للموصول، إذ بها يعرف وبها يفسر، لأن الموصول يظل مبهما وغامضا ما لم يظهر معناه من خلال صلته، "ألا ترى أنك لو ذكرتها من غير صلة، لم تفهم معناها، حتى تُضَمَّ إلى شيءٍ بعدها"<sup>(2)</sup>. وإذا كانت الموصولات تفتقر إلى صلوات توضحها وتبينها، فإنها تلزم ربتها في الترتيب، حيث انعقد الإجماع عليها، وامتنع عكسها، من قِبَل أن الصلة بمثابة التفسير للاسم الموصول، والمفسر لا يتقدم على المفسر<sup>(3)</sup>. يتبين للقارئ المتدبر أن مدار الاسم الموصول (الذين) قد توضح بصلته المتأخرة عنه ﴿غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾، وأزالت الغموض الذي قد يتأتى حينما نذكر (الذين) من دونها. ومن ذلك قوله سبحانه الآية: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾<sup>(4)</sup> وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾<sup>(5)</sup>.

• الصفة (شديدا) في قول تعالى: ﴿قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾<sup>(6)</sup>.

تعد التوابع من العلامات التي تلتزم ربتها إزاء المتبوعات. فهي تتبع ما قبلها في عدة علامات منها الإعراب،

كما يقول ابن مالك:

يَتَّبِعُ فِي الإِعْرَابِ الأَسْمَاءِ الأَوَّلُ \* نَعَتْ وَتَوْكِيدٌ وَعَطْفٌ وَبَدَلٌ<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الكهف. الآية: 21.

(2) الأنباري، كمال الدين. أسرار العربية. ط 1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ-1999م، ص 263.

(3) ينظر: عبد المؤمن محمود محمد. دور الرتبة في الدرس النحوي- عرض ودراسة- ص 116.

(4) سورة الكهف. الآية: 31.

(5) سورة الكهف. الآية: 52.

(6) سورة الكهف. الآية: 2.

أتى الاسم الذي أطلقه النحاة على التابع من حيث كونه تابعا لمتبوع، معنى ذلك أن حَقَّه التأخُّر، ولا يمكن التقديم عليه. والتابع لشيء يكون جزءا منه، أو كالجزم منه، لا يتقدم عليه في الحكم؛ لأن التابع يتبع متبوعه، وهذا شأن مبدأ قاعدة الأصل والفرع حيث يتبع الفرع الأصل.

بالعودة إلى الآية السالفة نصادف أن الصفة (شديدا) صفة تابعة للموصوف (بأسا)، ترتبت بعده لأنها بيان له، فلا يمكن أن تتقدم عليه، لأن ذلك سيخالف المنطق اللغوي والوجودي من حيث كون الصفة أو النعت يحتاج إلى موصوف أو منعت سابق في الوجود. يقول المبرد: "إن النعت لا يكون قبل المنعوت"<sup>(2)</sup>.

يبدو أن لفظ (بأس) في سياق الآية المقصود به جنس من العذاب، وصفة الشدة فيه تحمل معاني التأكيد بما يثير التخويف والتهديد في نفس من زاغ من طريق الإيمان، لذلك جاءت الصفة (شديدا): للتأكيد، وإلا كونه من عند الله، يكفي هذا قرينة على أنه شديد<sup>(3)</sup>. ونعلم أن الصفة أو النعت قد يرد جملة ويتأخر بدوره عن الموصوف، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم جَنَاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾<sup>(4)</sup>. حيث جاءت العبارة (تجري من تحتها الأنهار) لبيان صفة من صفات المنعوت (جنات عدن)، ومن ثم وظيفها خطاب السورة متأخرة كي يقرب ماهية الجنات الموعودة إلى أذهان السامعين، ومن أجل تحقيق مسعى الترغيب والتحبیب إلى النفوس.

---

(1) ابن مالك. ألفية ابن مالك. دار التعاون. ص 44.

(2) المبرد. المقتضب. ج4/ص192.

(3) المغمسي، صالح بن عواد. سلسلة محاسن التأويل. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>. ج44/ص5.

(4) سورة الكهف. الآية: 31.

## 4-1-2- الرتبة غير المحفوظة

تكون الجملة الاسمية في الأصل الإسنادي على الترتيب الآتي: [مبتدأ + خبر]، معنى ذلك أن نظام الجملة الاسمية في اللغة العربية يحفظ للمسند إليه رتبة الصدارة، ثم يليه المسند، لكن مرونة النحو العربي قد تفسح الإمكان للعدول عن هذا الترتيب وفق ضوابط وشروط محددة.

• في قوله تعالى: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup>.

تقدم في هذه الآية الخبر على المبتدأ جوازا: المسند (له) + المسند إليه (غيب) بسبب أن المبتدأ نكرة مقيدة بالإضافة.

يبدو-والله أعلم- أن الخطاب لجأ إلى هذه العلامة النحوية لإفادة معنى الاختصاص؛ أي: اختصاص الله سبحانه بغيب السماوات والأرض وحده من دون أحد غيره. واقتضى النظم القرآني تقديم شبه الجملة- وإن كان موضعها التأخير- لأنها المحيلة على المقصود، والضمير فيه يعود إلى الله، والله سبحانه هو المقصود بالاهتمام، فقد "ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفى فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به"<sup>(2)</sup>، وذلك في سياق الرد على أهل الشك والريبة الذين تحدوا رسول الله في شأن خبر أصحاب الكهف، فضلا عن إبراز العناية بهذه الحقيقة المطلقة الدائمة المرتبطة باختصاص الله بعلم الغيب وحده عامة. يقول سبحانه: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(3)</sup>. ويقول أيضا: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى

(1) سورة الكهف. الآية: 26.

(2) الزمخشري. الكشاف. ج2/ ص 716.

(3) سورة سبأ. الآية: 3.

غَيْبِهِ أَحَدًا<sup>(1)</sup>.

نضيف أيضا أنه في قوله سبحانه: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾<sup>(2)</sup> تقدم شبه الجملة (لهم) بوصفه مسندا على المسند إليه (جنت)، والمسوغ اللغوي لهذا العدول هو ورود اسم الناسخ (كان) معرفة بالإضافة، فجاء هذا التقديم ليفيد الاهتمام والعناية بالذين آمنوا بتخصيصهم بنعمة جنت الفردوس.

وفي آية أخرى تحولت رتبة خبر كان من التأخير إلى التقديم في قوله تعالى: ﴿كَانَ لَهُ ثَمْرٌ﴾<sup>(3)</sup> على الرغم من ورود كلمة (ثمر) نكرة محضة، لأن دخول (كان) الناسخ أجاز الابتداء بالخبر، حيث "يصح في أسماء النواسخ أن تكون في أصلها معارف أو نكرات - كقولهم: كان إحساناً رعاية الضعيف"<sup>(4)</sup>، وقد كان هذا النهج في التركيب في الآية علامة نحوية تفيد تخصيص صاحب الجنتين بالثمر الذي يملكه وحده أكثر من غيره أو من دون غيره.

يمكن أن يسري الحكم نفسه على تقديم خبر أن في الآية: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾<sup>(5)</sup>، حيث تقدم الجار والمجرور الذي محله التأخير، وتأخر الاسم (أجرا) الذي مكانه التقديم، وعدل الأسلوب عن التسلسل الاعتيادي لنظام الجملة الاسمية، ليفيد اختصاص أهل الإيمان بالأجر الحسن، لأن الإحالة الضميرية تحيل عليهم. فضلا عن

---

(1) سورة الجن. الآية: 26.

(2) سورة الكهف. الآية: 107.

(3) سورة الكهف. الآية: 34.

(4) عباس. حسن. النحو الوافي. ط 15، دار المعارف. ج 1/ ص 488.

(5) سورة الكهف. الآية: 2.

توجيه العناية والاهتمام بهم في ظل سياق الترغيب. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾<sup>(1)</sup>.

من جهة أخرى، لئن كانت الصدارة للفعل فالفاعل بوصفهما ركنين أساسيين وبعدهما المفعول وغيره من الفضلات هي الأصل في بناء الجملة الفعلية في النظام النحوي العربي، فإنه يجوز أحيانا نقض هذه المراتب لأغراض دلالية يقتضيها المقام. نسجل هذا العدول في علامة الرتبة على مستوى الجملة الفعلية في سورة الكهف في قوله تبارك وتعالى: ﴿تَنْحَنُّ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾<sup>(2)</sup>، حيث أسند فعل الجملة (نقص) إلى المبتدأ (نحن: الفاعل المعنوي)، وأسند إلى الضمير المقدر (نحن: الفاعل النحوي) في الوقت نفسه، والمسند إليه في الحالتين يحيل على الله سبحانه؛ أي قصر فعل القصاص الحق على الله وحده لا غيره.

يقول ابن عاشور: "وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي في جملة (نحن نقص عليك) يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق"<sup>(3)</sup>. فكان في هذا التقديم إثارة الانتباه إلى عظمة الله وقدرته (نحن) في علم ما تقدم وما تأخر من أخبار وقصص وأحداث تاريخية أو مستقبلية على حقائقها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

تقدم أيضا في بناء الجملة نفسها شبه الجملة (عليك) على المفعول به (نبأهم)، وهو إثبات وتخصيص للرسول بالقول الثابت، وتقوية للنبي بالوحي الحق، بعدما ظن المشركون أنهم ينفردون بعلم قصص الأمم السالفة، وتحذوه

---

(1) سورة الكهف. الآية: 88.

(2) سورة الكهف. الآية: 13.

(3) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج15/ ص 271.

(4) سورة البقرة. الآية: 216.

بذلك تقليلا من شأن رسالته، فتقدمت رتبة الجار والمجرور (عليك) العائد على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتأخر المفعول (نبأهم) في علامة إيجابية تحيل على أنه أهم وأسمى في العناية من نبئهم.

• قال سبحانه وتعالى في صدر السورة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾<sup>(1)</sup>.

تقدم شبه الجملة على المفعول به في هذه الآية، وهي علامة نحوية تعد مظهرا من مظاهر قاعدة التقديم والتأخير في الرتبة في نظام اللغة العربي، حيث تأخرت رتبة المفعول به (الكتاب)، وتقدم شبه الجملة (على عبده) الذي حقه التأخير، فشكل هذا العدول قرينة لغوية تشير إلى تركيز الاهتمام والعناية بمن أنزل عليه الكتاب، وهو الرسول صلى الله وسلم إكراما له بهذا الوحي العظيم، وتعزيزا لاصطفائه بالرسالة القرآنية. وذلك -والله أعلم- لأن الغرض من بناء الجملة على هذا النمط هو تركيز الاهتمام على العبد الرسول نصرة له على الخصوص، ورفعاً من شأنه بنعمة القرآن في سياق الرد على أهل الشرك والجحود، لأن "المقام مقام إثبات نبوته ببيان الأمور الثلاثة التي سألتها اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم شاهدا على نبوته"<sup>(2)</sup>.

وإذا تفقدنا تركيباً آخر في سورة البقرة، نجد أن الاهتمام انصرف إلى العناية بالكتاب في ذاته في قوله سبحانه: ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾<sup>(3)</sup>، لأن التبئير ينصب على الكتاب المنزل بالحق. لذلك حافظت الجملة على رتبها الأصلية: الفاعل + الفاعل + المفعول + شبه جملة.

يستمد المنطق النحوي السالف معقوليته من التفكير الإنساني في الوجود، وهو أمر متداول في المعهود اللغوي العربي منذ القدم، وذلك بشهادة سيبويه الذي يقول: "كأهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى، وإن

(1) سورة الكهف. الآية: 1.

(2) السيلكوتي، عبد الحكيم. حاشية القاضي عبد الحكيم السيلكوتي على تفسير البيضاوي. ص 5. (مخطوط).

(3) سورة البقرة. الآية: 176.



كانا جميعاً يُهْمَانِهِمْ وَبِعَيْنَانِهِمْ"<sup>(1)</sup>. وذلك أن الناس يعطون الأولوية والاهتمام دائما للأشياء التي يريدون إبرازها وبيان أهميتها، ولعل خير مثال نسوقه في هذا الصدد، نستوحيه من عالم الاقتصاد والتجارة المعاصر، حيث يتجه الاهتمام أكثر في صناعة الأشياء والأجهزة إلى الواجهات أو ما يعرف بـ (الديزاين: Design) أو المظاهر الخارجية للسلع لإثارة انتباه الزبناء، وجلب اهتمامهم، وتلبية ميولاتهم وأذواقهم.

#### 4-2- معاني علامة الفصل والوصل

تعد علامتا الفصل والوصل من العلامات النحوية المهمة في توجيه الفهم والتأثير في المعنى، فالوصل علامة على العطف باستعمال أدوات العطف، والفصل يكون من دونها. وقد ذهب القزويني إلى أن "الوصل عطف بعض الجمل"<sup>(2)</sup> على بعض والفصل تركه"<sup>(3)</sup>

نسوق بعض النماذج من سورة الكهف، لنكتشف أثر هذه العلامة في منحى المعنى.

#### 4-2-1- مواضع الوصل

وردت في سورة الكهف أغلب العلامات العاطفة بين الجمل أو المفردات في اللغة العربية، إلا أن حرفي (الواو) و(الفاء) كانتا الأكثر حضورا في وصل الجمل، وذلك للخصائص المعنوية التي تسعفها في خدمة السياقات التي ترد فيها.

---

(1) سيبويه : الكتاب. ج1/ ص 34.

(2) علما أن العطف تحصل فائدته في الأفراد والجمل وأن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك الإعراب (ينظر: الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 223).

(3) القزويني الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة. ط 3، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، ج3 / ص 97.

يوضح الجدول الآتي عدد مرات ورود هذه الحروف في سورة الكهف:

جدول رقم (9): يبين عدد مرات ورود علامات العطف في سورة الكهف

علامات العطف	عدد مرات الورد	الآيات التي ورد فيه
(الواو)	161	على مدار السورة
(الفاء)	70	
(ثم)	05	92-89- 87-37-12
(أو)	05	60-55-41-20-19
(بل)	02	58-48
(أم)	01	09

يظهر واضحاً من خلال إحصائيات الجدول (9) هيمنة حرفي (الواو) و(الفاء) في ظاهرة العطف في سورة الكهف، مما ينبئ بأهمية المعاني التي يخدمها هذان الحرفان في مواضعهما. ولكي نتبين كيفية إسهام أدوات العطف في إغناء النظم القرآني في هذه السورة نستعرض النماذج الآتية:

• في قوله سبحانه: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ

وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الكهف. الآية: 19.

نلاحظ في آخر الآية ذلك العدول من العطف بـ (الفاء) إلى (الواو) في قوله: (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ) إِلَى قَوْلِهِ: (وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)، حيث عطف ثلاث جمل بـ(الفاء) ثم ختم بالـ(واو): (وليتلطف). إن هذا العدول لم يأت عبثاً، وإنما اقتضت الدلالة النحوية إعمال هذا البناء لتدقيق المعنى وضبط الفهم، وذلك أنه حينما ننظر في شأن الجمل الثلاث الأولى نجدتها متوالية، لا يمكن أن تسبق أولها مرتبة التي تليها تركيباً، ولا يمكن أن تسبق إحداها الأخرى واقعا وإجراء فعلياً؛ فلا بد لتنفيذ المهمة أن يُبعث المبعوث أولاً، ثم عليه أن ينظر إلى الطعام ثانياً، ثم الإتيان به بعد ذلك ثالثاً.

وإذا كان العاطف (الفاء) علامة نحوية بحكم خصائصه التي تفيد "التشريك في الحكم والترتيب والتعقيب"<sup>(1)</sup>، فإنها الأنسب لهذا السياق بهذا الترتيب. لكن حينما انقطع نظام الترتيب وظف التعبير القرآني علامة (الواو) لتحقيق العطف، وذلك لأن التلطف ليس أمراً تابعا في الترتيب للأفعال السالفة عليه.

لقد تفتن لهذا الأمر الزركشي حينما قال: "عطف هذه الجمل الثلاث بـ(الفاء)، ثم لما انقطع نظام الترتيب عطف بالواو فقال تعالى: (وليتلطف)، إذ لم يكن التلطف مترتباً على الإتيان بالطعام كما كان الإتيان منه مرتباً على التوجه في طلبه، والتوجه في طلبه مترتباً على قطع الجدل في المسألة عن مدة اللبث بتسليم العلم له سبحانه"<sup>(2)</sup>.

يبقى التلطف هو أخذ الحذر والتفرق في جميع الأفعال التي سيأتي عليها المبعوث حتى لا يشعر أحد بأمره، ويمكن أن ينسحب هذا التلطف على مسار أفعاله كلها منذ أن يخرج من الكهف إلى أن يقضي الغرض المنشود، لأن فعل التلطف لم يكن مرتباً في زمن أو رتبة بين الأفعال المتسلسلة، بل هو فعل يصاحب المسار من بدايته إلى

(1) ابن هشام. شرح قطر الندى وبل الصدى. ط 11، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1383هـ. ص 302.

(2) الزركشي. البرهان. ج 4/ ص 45.

نهايته. لذلك اختار الأسلوب القرآني علامة (الواو) لعطف الجملة الأخيرة على غير منوال سابقاتها تنبيهاً لمثل هذا الفهم.

- في قوله عز وجل: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

ذكرت الآية احتمالات العدد الممكن لأهل الكهف وكلبهم منفصلة، ما عدا الاحتمال الأخير، حيث عدلت فيه إلى إثبات (الواو)، فقال عز وجل: (وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ)، فاقترن (الواو) بالصفة (ثامنهم) من دون غيرها من الصفات المذكورة.

يسمى بعض النحاة<sup>(2)</sup> هذه (الواو) ب(واو الثمانية)، من جهة أنها تكررت أكثر من مرة في القرآن الكريم مع المرتبة الثامنة؛ إذ تُذكر سبعة أمور متوالية من دون عطف، ثم يأتي الأمر الثامن مقروناً ب(الواو). يقول سبحانه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(3)</sup>، وقوله: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾<sup>(4)</sup>.

يعد تحقيق الوصل ب(الواو) في الجملة الثالثة (وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) علامة نحوية تثير الفضول المعرفي لاستنتاج فائدة إثباتها في هذا المقام، وحسبنا أن نعتمد على المؤشرات اللغوية السابقة عليها واللاحقة للاقتراب من هذا المسعى. وردت في الآية بعد قوله سبحانه: (سابعهم كلبهم) عبارة: (رجما بالغيب)، ثم تواصل العد، وبعد أن

(1) سورة الكهف. الآية: 22.

(2) ينظر: الزركشي. البرهان. ج 3/ ص 189/ الثعالبي، أبو منصور. فقه اللغة وسر العربية. ط1، تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، 2002م، ص 248.

(3) سورة التوبة. الآية: 112.

(4) سورة التحريم. الآية 5.

وردت: (وثامنهم كلبهم) لصيقة ب(الواو) تبعثها عبارة: (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ). نعتقد -والله أعلم- أنه عندما انقطع العد ب(رجما بالغيب) فقد كان إشارة موحية إلى أن الاحتمالين الأوليين من العد مجرد قذف بالظن وادعاء بالتخمين، وحينما جاءت جملة العد الثالثة معطوفة ب(الواو)، فكأن هذه (الواو) علامة تؤكد لصوق الصفة بموصوفها، وتومئ إلى أن صفة الثامن هي الأقرب صحة وثباتا في حق الكلب. نحتج لذلك بما قاله الزمخشري: "وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم، قالوا عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرحموا بالظن كما غيرهم".<sup>(1)</sup> نفترض أيضا أن الدليل الذي يزيد من تقوية هذا المعنى هو عبارة: (ما يعلمهم إلا قليل) التي جاءت بعدها، معنى ذلك أنه بعد علم الله هناك القليل ممن يعلم عدتهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: "أنا من أولئك القليل" <sup>(2)</sup>.

• في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

وصل جملة: (خلق أنفسهم) بجملة: (خلق السماوات والأرض)، وعطف جملة: (وما كنت متخذ المضلين عضدا) على (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض)، ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك، كما صرح بقوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾؛ أي أعوانا ردا لانتخاذهم أولياء من دون الله شركاء له في العبادة. إن الجامع في ظل السياق هو الاشتراك في حكم النفي، نفي إسهاد إبليس وذريته حدث خلق السماوات والأرض، ونفي

<sup>(1)</sup>الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 714 / ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المشابهة للفظ من أي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 2/ ص 318.

<sup>(2)</sup> ينظر الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 712. يضيف ابن عباس في المصدر نفسه، ص 714: "حين وقعت الواو انقطعت العدة، أي: لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها. وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات".

<sup>(3)</sup> سورة الكهف. الآية: 51.

إشهاد بعضهم خلق بعض؛ أي: إن إحضارهم في كلا الخلقين لم يكن حاصلًا إطلاقًا، بل الخلق كان وفق مشيئة الله وحده، ثم جاء نفي آخر: (وما كنت متخذ المضلين عضدا) معطوفا على (ما أشهدتهم) ليكون تحصيل حاصل. لأن جملة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) تذييل لجملة (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض)<sup>(1)</sup>.

لم يكونوا ممن حضر خلق السماوات والأرض ولا ممن شاهد خلقهما ولا أنفسهم، ولا كانوا أعوانا على ذلك. فهم "لم يحضروها لأن خَلَقَ السماوات والأرض كان قبل خَلْقِهِمْ، وكذلك ما شَهِدُوا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ؛ لأنهم ساعة خَلَقْتَهُمْ لم يكونوا موجودين. إنهم لم يشهدوا شيئا من ذلك لكي يخبروكم"<sup>(2)</sup>.

لقد كانت علامة العطف في هذه الآية قرينة لغوية ساعدت في تشريك الجملة الثانية في حكم الجملة الأولى،

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾<sup>(3)</sup>.

• في قوله سبحانه: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾<sup>(4)</sup>.

تحقق العطف بين الجملتين: (لكننا هو الله ربي) و(لا أشرك بربي أحدا) في هذه الآية، ليفيد الجمع بين الإخبار عن ربوبية الله للعبد المؤمن، وعن تنزيهه الله عن الشريك، في مقابل الكفر الذي استحکم بصاحب الجنتين وأدى به إلى الشرك. فأفادت جملة (لكننا هو الله ربي) معاني الإيمان بالله ربا، وأشارت جملة (لا أشرك بربي أحدا)

---

(1) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج15/ص343.

(2) الشعراوي. تفسير الشعراوي. ج14/ص8936.

(3) سورة الكهف. الآية: 26.

(4) سورة الكهف. الآية: 38.

إلى توحيد الله سبحانه في الألوهية، وكان الجمع بين الإيمان والتوحيد بعلامة العطف (الواو) ليتحقق تكامل متين بين المعنيين. ولذلك ذهب الألوسي إلى أن "الغرض من مجموع الكلام إثبات الإيمان على الوجه الأكيد"<sup>(1)</sup>.

• في قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(2)</sup>.

بعد أن عمل الأسلوب القرآني على تأكيد أساس الاعتقاد، وإثبات الوحدانية المطلقة والدائمة في حق الله (إلهكم إله واحد)، جاءت علامة الوصل اللغوية (الفاء) لتربط بين هذا الأساس وما يترتب عليه في سياق شرطي واضح (فمن كان يرجو لقاء ربه)، معنى ذلك أنه من شهد بالوحدانية، وآمن بالبعث، فعليه بالأعمال الصالحة ضمانا للقاء ربه، وفوزا بالنظر إلى وجهه ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣٠﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(3)</sup>.

كانت علامة (الفاء) بوصفها رابطة بين الجملتين وسيلة فعالة في نقل المعنى على الوجه الأكمل، حيث جاء النظم بطريقة بديعة في إفادة الأصول الثلاثة؛ إذ جعل التوحيد أصلا لها والأصلين الآخرين فرعاً عليه، وأكد الإخبار بالوحدانية بالنهي عن الإشراك بعبادة الله تعالى<sup>(4)</sup>.

نضيف أنه في الآية نفسها وردت أداة العطف (الفاء) في عبارة (فليعمل عملاً صالحاً) لربط الجواب بشرطه، يعني أنه من فعل الشرط يتحقق له الجزاء، ومن لم يلتزم به حرم الجزاء. لذلك أفادت هذه العلامة النحوية معاني التعجيل والسرعة في التحقق، إذ كلما تحقق الشرط حصل الجواب بالتلازم. والشرط شرطان معطوفان: (عمل

---

(1) ينظر: الألوسي. روح المعاني. ج 8/ ص 265.

(2) سورة الكهف. الآية: 110.

(3) سورة القيامة. الآية: 23.

(4) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج 16/ ص 55.

صالح) و(توحيد خالص)؛ فالعمل الصالح يستمد قوته من منهج التوحيد، ويرتكز على منهج النبوة، وينأى بعيدا عن الشرك وأنواعه، ومن ثمة، يمكن صاحبه من الظفر ببقاء ربه، وهو أعظم الجزاءات.

#### 4-2-2- مواضع الفصل

- في قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾<sup>(1)</sup>.

يفضي غياب علامة الوصل بين الجملتين: ((وربك الغفور ذو الرحمة)) و((لو يؤاخذهم بما كسبوا)) إلى استنتاج أن بين التعبيرين تكاملا في المعنى، وانسجاما في الدلالة. هذا التكامل والانسجام أتاح الفصل بين الجملتين. من هنا، نفهم قصد عبد القاهر الجرجاني لما أشار إلى أن الفصل يقع في حق "جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد"<sup>(2)</sup>. وبالنظر إلى العلاقة الجامعة بين الجملتين أعلاه نجد أن الثانية بيان للأولى، حيث إن رحمة الله تتحقق في إمهاله المذنبين أصحاب الذنوب والآثام إلى أجل معلوم، وفي ذلك التأجيل رحمة ورأفة بهم، لأنهم يستحقون العقوبة العاجلة المترامنة مع ما قدمت أيديهم، وبما كسبوا من فسق. إذ بسبب ذلك كانت الجملة (لو يؤاخذهم بما كسبوا) بيانا<sup>(3)</sup> لجملة (وربك الغفور ذو الرحمة) ، لأن عدم المؤاخذة على الرغم من اعتراف الذنب هو من حقائق غفران الله لعباده. لذلك استغنت الجملة عن علامة العطف، لأن الوصل يستفاد من خلال اتحادهما التام، وتكاملهما الواضح.

(1) سورة الكهف. الآية: 58.

(2) الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 243.

(3) ينظر: التحرير والتنوير. ج 15/ ص 357.



يمكن أن نتوصل إلى الإفادات نفسها في قوله جل وعلا: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا

كَذِبًا﴾<sup>(1)</sup>، حيث استوى النظم من دون علامة الوصل بين جملة: (إن يقولون إلا كذبا) وجملة: (كبرت كلمة

تخرج من أفواههم)، وذلك لأن الجملة الثانية مؤكدة لمضمون الأولى، ولأن الكلام الملفوظ من الأفواه وليس له

تحقق في الواقع يعد كذبا، سواء علم صاحبه أو لم يعلم. والكذب هو كل ما يخالف الواقع من أخبار، والصدق هو

كل ما يطابق الواقع من حقائق؛ فإذا قال قائل: "قدم فلان اليوم"، وهو لم يقدم، فهذا كذب سواء علم أم لم

يعلم<sup>(2)</sup>.

إن عدول الأسلوب القرآني عن إثبات حرف العطف غايته أن تكتمل أركان التعجب المستفاد من هذه الآية،

ويلتحم مع التأكيد على أن افتراءات المشركين وادعاءاتهم باطلة لا أساس لها، ولا منطق يركي صحتها. لذلك، كان

التركيبان متلازمين، حيث يؤكد الثاني الأول ويكمله.

• في قول الله سبحانه: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا \* قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا \* فَوَجَدَا

عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا \* قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ

(1) سورة الكهف. الآية: 5.

(2) الدليل المركزي لهذا الادعاء هو قصة سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ رضي الله عنها حينما مات عنها زوجها وهي حامل فوضعت بعد موته بلبالٍ ثم خلعت ثياب الحداد، ولبست الثياب الجميلة تريد أن تُحْطَبَ، فدخل عليها أبو السنابل فقال لها: "ما أنت بناكح حتى يأتي عليك أربعة أشهر وعشر"، لأنها وضعت بعد موت زوجها بنحو أربعين ليلة أو أقل أو أكثر، فلبست ثياب الإحداد ثم أتت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبرته بالخبر فقال لها: "كذب أبو السنابل" (أخرجه الإمام أحمد، رقم: (4273) وغيره وأصله في الصحيحين)، مع أن الرجل ما تعمد الكذب، يظن أنها تعتد بأطول الأجلين، فإن بقيت حاملاً بعد أربعة أشهر وعشر بقيت في الإحداد حتى تضع، وإن وضعت قبل أربعة أشهر وعشر بقيت في الإحداد حتى تتم لها أربعة أشهر وعشر، تعتد أطول الأجلين، ولكن السنة بينت أن الحامل عدتها وضع الحمل ولو دون أربعة أشهر، فالشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق على قول أبي السنابل "كذب" مع أنه لم يتعمد. (ينظر: العثيمين، محمد بن صالح. تفسير العثيمين-سورة الكهف- ص 16-17).

تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلِّمْتَ رُشْدًا \* قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا \*  
قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا \* قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ  
أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا<sup>(1)</sup>.

يظهر في هذه الآية الكريمة غياب حروف العطف في الحوار الذي دار بين موسى وغللامه، وبينه وبين الخضر، إذ ورد فعل القول مفصولاً من غير معطوف، فكلمة استؤنف الكلام بفعل القول غابت علامة الوصل بين الجمل. معنى ذلك أن الخطاب القرآني لم يستأنف الكلام بإحدى أدوات العطف من مثل: (فقال...) كما ورد في سياق قوله سبحانه: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(2)</sup>، أو كما جاء في قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾<sup>(3)</sup>، بل أتى الكلام مفصولاً في هذه الآيات.

إن مسلك الخطاب القرآني في الدلالة بالمحاورة حكاية عن الأقوال في الغالب يأتي مجرداً من العاطف، إما لأن فعل القول يأتي حكاية جواب، أو ابتداء المحاورة. وقد برر ابن عاشور هذا المعهود القرآني في التعبير بكونه "طريقة متبعة في القرآن في حكاية المحاورات، وهي طريقة عربية قال زهير:

قِيلَ لَهُمْ أَلَا ارْكَبُوا أَلَاتًا ... قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ آلَاتَا

أي فاركبوا، ولم يقل فقالوا. وقال رؤبة بن العجاج:

(1) سورة الكهف. الآيات: 62 – 70.

(2) سورة المؤمنون. الآية: 24-23.

(3) سورة آل عمران. الآية: 59.

## قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلَمَى وَإِنْ ... كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنْ<sup>(1)</sup>

يمكن أن يحدث الحكي عن محاورة متزامنة في الأقوال والمكان بتوظيف أدوات العطف استثنائاً في الأسلوب، ويقع تكرار مكروه قد تمجه أذن السامع، ولذلك "حذفوا العاطف في أمثاله كراهية تكرير العاطف بتكرير أفعال القول"<sup>(2)</sup>.

من هنا، غابت علامة الوصل في الآيات السالفة قبل أفعال القول، لأنه حكاية عنهم أنهم (قالوا..)، وليس الأمر إخباراً من الله تعالى. وإذا كان كذلك، كان العطف ممتنعاً<sup>(3)</sup>. فضلاً عن أن الجمل في التحاور يحصل بينها كمال الاتصال أخذاً ورداً، لأنها تكون عبارة عن سؤال/ جواب في التخاطب.

نشير إلى أنه إذا حدث أن وظف القرآن العاطف إلى جانب أفعال القول -وهو قليل في القرآن- فإنه يحصل "إذا لم يكن المقصود حكاية التحاور بل قصد الإخبار عن أقوال جرت أو كانت الأقوال المحكية مما جرى في أوقات متفرقة أو أمكنة متفرقة"<sup>(4)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾<sup>(5)</sup>.

• في قوله تعالى: ﴿وَحَسْبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج1/ ص 401.

(2) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج1/ ص 401.

(3) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص 232.

(4) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج1/ ص 401.

(5) سورة آل عمران. الآية: 59.

(6) سورة الكهف. الآية: 18.

تعد علامة (الواو) الجامعة بين جملة: (نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) وجملة: (كلبهم باسط ذراعيه) علامة ابتداء أو استئناف، فهي ضرورية لأمن اللبس، وإبعاد الغموض الذي قد يحصل في معنى التركيب؛ لأنه إذا جرد الابتداء أو الاستئناف من قرينة (الواو) في عبارة (وكلبهم...) قد يتوهم المتلقي المشاهد على غير حقيقته، وقد يتبادر إلى الأفهام أن نقلبيهم يكون ذات اليمين بينما ذات الشمال الكلب باسط ذراعيه، وهي صورة غير مقصودة من الخطاب.

استوقفنا في هذا الصدد عدد من المفسرين<sup>(1)</sup> الذين اعتبروا الجملة (كلبهم باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية، وأن الجملة الحالية، و(الواو) واو الحال<sup>(2)</sup>، غير أننا لا نميل مع هذه القناعة - والله أعلم - لأنه إذا كانت الجملة الحالية، فإن إفادة الآية بناء على هذا التفسير تكون على النحو الآتي: (نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال حال بسط كلبهم ذراعيه)، فهذا الفهم يجعل الجمل في ارتباط وتعلق تامين، بينما نحن إزاء كمال الانقطاع بين الجملتين؛ لأن أصحاب الكهف كانوا في تقلب في كلتا الجهتين، في حين كان كلبهم باسطا ذراعيه في عتبة الكهف.

لذلك كانت العلامة اللسانية (الواو) ابتدائية أو استئنافية، فأسهمت في رسم المشاهد بالشكل الذي يجعل الصورة العامة كما لو تمر أمام عيني القارئ.

---

(1) الزمخشري. الكشاف ج2/ ص 709 والنسفي، أبو البركات حافظ الدين. تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ط 1، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ - 1998 م، ج2/ ص 291.

(2) ابن هشام. شرح قطر الندى. ص 271.

• في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾<sup>(1)</sup>.

لم يدرج النظم القرآني علامة العطف في هذه الآية قبل جملة: (إنا لا نضيع)، وذلك لأنها مكملة للأولى بوصفها خبرا للناسخ الحرفي(إن). فهي جملة في موضع الخبر، ودخول علامة العطف فيها محال، لأن الخبر لا يعطف على المبتدأ<sup>(2)</sup>. إن الإيمان المتوج بالعمل الصالح يضمن الأجر لصاحبه بميزان الله سبحانه، فالمعنيان متلازمان في الجملتين، إذ الأجر يقتضي العمل الصالح، والعمل الصالح يضمن الأجر، فلا حاجة إذن لإيصال العبارتين بأداة العطف.

#### 4-3- أثر العلامة الإعرابية في المعنى

تعد القرينة الإعرابية علامة مركزية في النظام النحوي العربي، وذلك لدورها المحوري في تحديد المعنى الوظيفي للألفاظ الداخلة في تركيب الجمل. نسوق بعض النماذج من سورة الكهف لبيان هذه الأهمية.

• علامة النصب في مفردة "كَلِمَةً" في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۗ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا

كَذِبًا﴾<sup>(3)</sup>.

كان لكثير من علمائنا الأسلاف اهتمام خاص بهذه الآية، وتحديدًا بالحركة الإعرابية في لفظ "كلمة"، وذلك بحكم أن الرفع هو الحركة المتوقعة عادة في مثل هذه التراكيب، وبسبب ذلك حازت عناية خاصة لكشف سر ورودها بعلامة النصب.

(1) سورة الكهف. الآية: 30.

(2) ينظر: الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 323.

(3) سورة الكهف. الآية: 5.

يقول الطبري: "فتأويل الكلام: عَظُمَت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: (اتخذ الله ولداً)، و(الملائكة بنات الله)"<sup>(1)</sup>. وأفرد الرازي في مفاتيح الغيب أربعة مباحث لتشريح ما قيل في حق هذه الكلمة من دون أن يدي برأيه في المسألة. نكتفي بما نقل في البحث الأول<sup>(2)</sup> الذي جاء فيه: "قريء: كبرت كلمة بالنصب على التمييز وبالرفع على الفاعلية، قال الواحدي ومعنى التمييز أنك إذا قلت كبرت المقالة أو الكلمة جاز أن يتوهم أنها كبرت كذبا أو جهلا أو افتراء، فلما قلت كلمة ميزتها من محتملاتها فانتصبت على التمييز والتقدير كبرت الكلمة كلمة فحصل فيه الإضمار، أما من رفع فلم يضمن شيئا كما تقول عظم فلان"<sup>(3)</sup>. ويرى الزجاج أن (كلمة) "تقرأ بالرفع والنصب، فمن نصب فالمعنى كبرت مقالته (اتخذَ اللهُ وَلَدًا) كلمةً، فكلمةً منصوب على التمييز. ومن قرأ كلمة بالرفع فالمعنى عظمت كلمة هي قولهم: (اتخذَ اللهُ وَلَدًا)"<sup>(4)</sup>.

استحضارا لهذه الآراء، نقول إن أسلوب الآية يوحي بمعاني التعجب في هذا المقام، لأن المعنى هنا واضح ولا شيء يبهمه، كما أن السياق يناسب التعجب أكثر من شيء آخر، ولعل (كبرت) هنا جاءت بالتاء لمجاورة (كلمة)، وكأن المعنى مفاده (كبر ما يقولون!)، أو (كبر قولهم (اتخذ الله ولدا!)، لأنه ادعاء لا يستند على حجة أو دليل. ولذلك يستحق الذم والتعجب. كما أن قراءة (كلمة) بالرفع على الفاعلية لا يدعم التعجب من قولهم المستنكر والشاذ. يقول الزمخشري: "والنصب أقوى وأبلغ. وفيه معنى التعجب، كأنه قيل: ما أكبرها كلمة!"<sup>(5)</sup>.

(1) الطبري، ابن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. ط 1، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م. ج 17/ ص 596.

(2) للاطلاع على بقية المباحث ينظر: مفاتيح الغيب. ج 21/ ص 425-426.

(3) مفاتيح الغيب. ج 21/ ص 425.

(4) الزجاج، أبو إسحاق. معاني القرآن وإعرابه. ط 1، تح: عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب - بيروت، 1408 هـ - 1988 م، ج 3/ ص 268.

(5) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 703.

زيادة على أن علامة الفعل (كَبُرَ) تفيد أن الشيء عَظُمَ وَجَسَمَ، ومن ثمة فكلمتهم تلك فاقت كل الحدود بهتاناً وافتراءً. يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(1)</sup>، ويقول كذلك: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

نضيف فضلاً عن ذلك ملمحاً طريفاً، وهو أن الرفع يُشعر بمعاني التشريف لما يوصى إليه من رفعة وسمو ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾<sup>(3)</sup>، ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾<sup>(4)</sup>، وما دامت كلمتهم ساقطة خبيثة، فإنها لا تستحق حتى حركة الرفع إعرابياً وخطاً، فاستحقت النصب، لأن فيه معنى الجمود والركون، وإذا كانت أنصاب الأصنام رجساً، فإن من الكلام ما هو رجس أو أشد أيضاً. يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾<sup>(5)</sup>. ولذلك ناسبت الدلالة الإيحائية للنصب السياق وأوحت بمعاني التحقير والتبخيس لكلمتهم.

• علامة الرفع في مفردة "الحمد" في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾<sup>(6)</sup>.

أخذت أول كلمة في سورة الكهف -وهي (الحمد)- علامة الرفع، والمفردة في هذا المقام اسم مرفوع بالابتداء في جميع القراءات المروية<sup>(1)</sup>. وهذا دليل بدهي على أن السورة ابتدأت بجملة اسمية، والجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستقرار.

(1) سورة غافر. الآية: 35.

(2) سورة الصف. الآية: 3.

(3) سورة فاطر. الآية: 10.

(4) سورة مريم. الآية: 57.

(5) سورة المائدة. الآية: 90.

(6) سورة الكهف. الآية: 1.

نسجل أن التعبير القرآني اصطفي الابتداء بالجملة الاسمية مع أن التعبير بالفعلية جائز (نحمد حمدا لله)، وذلك لأن استخدام هذا الصنف من التركيب من دون الآخر يفيد أن (الحمد) ينطوي على معاني الثناء المطلق الدائم لله، وأن الحمد ثابت ومستمر في حقه سبحانه وتعالى.

إن الخطاب عدل عن النصب إلى الرفع على الابتداء، لأن في الرفع دلالات أقوى وأثبت، وذلك شأن العرب في التعبير. يقول سيوييه "إنما استحبو الرفع فيه لأنه صار معرفة وهو خبر فقوى في الابتداء"<sup>(2)</sup>. بينما الابتداء بالفعل سيقصر على إفادة معاني الحدوث والتجدد، والقصد في ظل السياق يروم ثبوت الحمد لله، وتمكين الثناء الجميل إليه كما يليق بمقامه سبحانه، فكان الرفع على الابتداء أقوى للقصد وأنسب للمعنى.

نضيف تعزيزا لما سبق أن علامة التعريف (ال) في لفظ (الحمد) أفادت معاني العموم والإطلاق، فهي علامة للجنس، وذلك أن الحمد بهذا المعنى دال على عموم المحامد. زيادة على أن ورود الكلمة في صدارة الجملة يفيد أن (الحمد) عظيم المعنى، جليل المغزى في حق الله منزل الكتاب وباعث الرسل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبَدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْدَمٌ»<sup>(3)</sup>.

ملاك الأمر، نذهب مع ابن عاشور إلى أن توظيف هذه العلامات النحوية جملة أفاد معاني "الدلالة على الدوام والثبات بمصير الجملة الاسمية والدلالة على العموم المستفاد في المقام من (ال) الجنسية، والدلالة على

---

(1) ينظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج1/ ص 151.

(2) سيوييه. الكتاب. ج 1/ ص 328.

(3) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الأدب. باب الهدي في الكلام. رقم: (4840).



الاهتمام المستفاد من التقديم. وليس واحد من هذه الثلاثة بممكن الاستفادة لو بقي المصدر منصوباً إذ النصب يدل على الفعل المقدر والمقدر كالملفوظ<sup>(1)</sup>.

يُذكر أن في القرآن خمس سور افتتحت بـ(الحمد) وهي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ وفاطر، وتوجد كل سورة في ربع ما عدا سورتي سبأ وفاطر اللتان توجدان معا في الربع الرابع، ومن الدلالات السيميائية للعدد أربعة أنه يرمز إلى الثبات وقوة القاعدة هندسياً.

نشير إلى أن مفردة (الحمد) التي افتتحت بها سورة الكهف تشكل علامة مهمة في تحقيق التناسب بينها وبين السورة التي قبلها. فإذا كان التسبيح في الذكر أولاً ثم الحمد بعده عادة، فإن سورة (الإسراء) افتتحت بالتسبيح وسورة (الكهف) بالحمد. إن هذا التناسب المتين والعجيب بين السورتين يزيد قوة حينما نقرأ في نهاية سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(2)</sup> وفي بداية سورة الكهف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(3)</sup>.

• لفظ "سنين" في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾<sup>(4)</sup>.

ثبت في قواعد العدد والمعدود في النحو العربي بأن تمييز مائة وما يضاعفها يكون مفرداً ومضافاً إلى مائة، في حين ورد لفظ "سنين" جمعاً على غير القاعدة النحوية في تمييز العدد في هذه الآية الكريمة. يستوقفنا السياق ههنا للتأمل بعد أن عدل الخطاب عن المفرد إلى الجمع في كلمة "سنين" بدليل تنوين مائة.

يشرح ابن يعيش قوله تعالى: (ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ) بقوله: "إن (سنين) نصبٌ على البدل من (ثلاثمائة)، وليس

(1) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج1/ ص 157.

(2) سورة الإسراء. الآية: 111.

(3) سورة الكهف. الآية: 1.

(4) سورة الكهف. الآية: 25.

بتمييز.. هذا رأي أبي إسحاق الزجاج، قال: ولا يجوز أن يكون تمييزاً؛ لأنه لو كان تمييزاً، لوجب أن يكون أقل ما لبثوا تسعمائة سنة؛ لأنّ المفسّر يكون لكل واحد من العدد، وكل واحد "سنون"، وهو جمع، والجمع أقل ما يكون ثلاثاً، فيكونون قد لبثوا تسعمائة سنة<sup>(1)</sup>. ومضى الزمخشري إلى أن "سنين: عطف بيان لثلاثمائة. وقرئ: ثلاثمائة سنين، بالإضافة، على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز، كقوله بالأخسرين أعمالاً، وفي قراءة أبي: ثلاثمائة سنة"<sup>(2)</sup>. وأضاف القرطبي أن الجمهور قرأ "ثلاثمائة سنين" بتنين مائة ونصب سنين، على التقديم والتأخير، أي سنين ثلاثمائة فقدم الصفة على الموصوف، فتكون "سنين" على هذا بدلاً أو عطف بيان"<sup>(3)</sup>.

نرى -والله أعلى وأعلم- أن من جهة المعنى، لعل في مفردة "سنين" معاني الشدة والصعوبة<sup>(4)</sup> بدليل هجرة الفتية إلى الكهف، وبدليل قوله تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾<sup>(5)</sup>، والإيواء يكون لما فيه رحمة وسكينة وراحة بدن وطمأنينة بال، ثم قوله عز وجل: ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ﴾<sup>(6)</sup>، ليُفهم أن قومهم كانوا في شدة وعناء سنين عدداً، ولعل الله عاقبهم بجرمانهم من رحمته التي نشرها على عباده المؤمنين أصحاب الكهف.

أما من جهة كونها جاءت جمعا لا أفرادا كما هو في التمييز عادة، فيعد علامة إضافية تقوي ما ذهبنا إليه من افتراض أعلاه. إذ أثر الخطاب القرآني التعبير بالأصل لما في دلالة الأصل من قوة وتمكن، لأن إضافة العدد إلى

(1) ابن يعيش. شرح المفصل. ج 4/ ص 14.

(2) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 716.

(3) ينظر: القرطبي، شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. ط 2، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ - 1964م. ج 10/ ص 387.

(4) يقول الإمام السهيلي في الروض الأنف: "أكلتهم السنة فسموا شدة القحط سنة قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (الأعراف 130). ومن ثم قيل أسنت القوم إذا أقحطوا" (السهيلي، أبو القاسم. الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام. ط 1، تح عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ/ 2000م. ج 3/ ص 86).

(5) سورة الكهف. الآية: 16.

(6) سورة الكهف. الآية: 16.

الجمع هو الأصل (لأن المعدود جمع)، وذلك لإبراز معاني المبالغة في الدلالة على الكثرة، وعلى شدة هذه المدة وصعوبتها.

- علامة النصب في لفظ "جمعا" في قوله تعالى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾<sup>(1)</sup>.

أخذ لفظ "جمعا" علامة النصب بوصفه مصدرا لفعل قبله (جمعناهم) اشتمل على حروف من لفظه، فهو مفعول مطلق جاء لتأكيد الفعل. إن العلامة الإعرابية في هذه الكلمة حملت معاني إضافية للمعنى؛ إذ لا يستقيم المعنى من دونها، والمراد من ذلك إثبات معاني التأكيد التي تحملها اللفظة في موقعها المخصوص وفي حروفها المكررة من جنس الفعل. فهي تشير إلى أن الله سبحانه سيجمعهم "جمعا تاما، دون أن يترك أحدا من الخلائق بدون إعادة إلى الحياة، بل الكل مجموعون ليوم عظيم هو يوم البعث والحساب<sup>(2)</sup>. إنه سيجمعون جمعا مؤكدا لا يستثنى أحدا.

- لفظ "الحق" في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾<sup>(3)</sup>.

يظهر أثر العلامة الإعرابية في توجيه المعنى في لفظ "الحق" من خلال ما تأخذه هذه المفردة من حركة في آخرها، وذلك أن كلا من الرفع والنصب والجر يفيد معنى مخصوصا؛ فالجر - هو المشهور<sup>(4)</sup> - في هذه الآية الكريمة يجعل الكلمة صفة لاسم الجلال، أي: إنه من نعت الله، وأن معنى الكلام: هنالك الولاية لله الحق ألوهيته، لا الباطل ألوهيته<sup>(5)</sup>، بينما علامة الرفع تجعل كلمة (الحق) من نعت الولاية، ومعناه: هنالك الولاية الحق، لا الباطل لله

---

(1) سورة الكهف. الآية: 99.

(2) ينظر: طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط 1، دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة. ج 8/ ص 578.

(3) سورة الكهف. الآية: 44.

(4) قرأ بذلك عائمة قراء المدينة والعراق. ينظر الطبري. جامع البيان. ج 18/ ص 29. والألوسي. روح المعاني. ج 8/ ص 270.

(5) الطبري. جامع البيان. ج 18/ ص 29.

وحده لا شريك له<sup>(1)</sup>، في حين أن النصب في قراءة شاذة يفيد في هذا المقام معاني وجهها الزمخشري بقوله: "وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد، كقولك: هذا عبد الله الحق لا الباطل"<sup>(2)</sup>.

بناء على ما سلف، يكون قد توضح السبل إلى أن لفظ "الحق" وصف لله بالجر؛ أي: إن الله ذو الحق الثابت الذي لا يتغير، ويكون وصفاً للولاية؛ أي: إن ولاية الله هي الحق، وكلا المعنيين يثبتان الحق لله سواء ولاية أو نعتاً.

#### 4-4- معاني علامات نحوية أخرى

- توظيف (إن) في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(3)</sup>.

إن من الإمكانيات التي تتيحها العلامة النحوية في التعبير باللسان العربي العدول عن أداة إلى أخرى لغاية نحوية ودلالية يقتضيها السياق، لتنفيذ في تدقيق المعنى وتوجيه المقصود، ومن ذلك علامات النفي.

نلاحظ أن الخطاب القرآني عدل في سياق هذه الآية إلى توظيف الأداة (إن) عوضاً عن (ما) التي تستخدم عادة في مثل هذه التراكيب، مما أثار الانتباه إلى اقتفاء أثر المعنى في هذا التعبير.

بالتأمل في الدلالة النحوية لهذه الآية، يتبين أن الأسلوب القرآني أثر استعمال (إن) لتحصيل معنى النفي أولاً، لأنها تكون في معنى (ما)<sup>(4)</sup>، قال عز وجل: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾<sup>(5)</sup>، ولا تأتي (إن) النافية إلا وبعدها

(1) الطبري. جامع البيان. ج 18/ ص 29.

(2) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 725.

(3) سورة الكهف. الآية: 5.

(4) سيبويه. الكتاب. ج 3/ ص 152. وابن يعيش. شرح المفصل. ج 5/ ص 38.

(5) سورة الملك. الآية 20.

(إلا)<sup>(1)</sup>. والنفي ههنا أمر مسلم به لأنهم لا يملكون ولا آباؤهم دليلاً على ادعائهم، ثم لتفيد معاني التأكيد والحصر والاستنكار على كذبهم المفوض. ولهذا ذهب السيد قطب حينما استخلص أن النص القرآني اختار "لنفي كلمة: «إن» لا كلمة «ما» لأن في الأولى صرامة بالسكون الواضح، وفي لفظ «ما» شيء من الليونة بالمد.. وذلك لزيادة التشديد في الاستنكار، ولزيادة التوكيد لكذب هذه الكلمة الكبيرة"<sup>(2)</sup>.

من هنا، كانت (إن) أنسب العلامات في هذا النسق التعبيري لما أفادته من معان إضافية وجهت المعنى إلى وجهة التأكيد والتشديد في الاستنكار.

• مفردتا: (إنما) و(أما) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾<sup>(3)</sup>.

وردت هذه الآية بالعبرة نفسها في سورة (فصلت) في الآية: 6. بينما جاءت في سورة (الأنبياء) على نحو:

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

من العلامات اللغوية التي تستوقف انتباه المتدبر في الآية أعلاه ورود مفردتي: (إنما) و(أما) باختلاف في

كتابة الهمزة ونطقها، خاصة أن النحاة يشهدون أنهما علامتان تفيدان الحصر<sup>(5)</sup>، وتتركبان من: (إن) مكسورة

الهمزة أو مفتوحة و(ما) الكافة التي تكف (إن) عن العمل.

---

(1) ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ط 6، تح: مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1985، ص 34.

(2) سيد قطب، إبراهيم. في ظلال القرآن. ط 17، دار الشروق - بيروت - القاهرة - 1412 هـ، ج 4/ ص 2260.

(3) سورة الأنبياء الآية: 110.

(4) سورة الأنبياء الآية: 108.

(5) ذكر السيوطي في معترك الأقران أن: "(إنما) عددا الجمهور على أنها للحصر، فقبل بالمنطوق وقيل بالمفهوم [...] (أما) بالفتح: عددا من

طرق الحصر الزمخشري والبيضاوي" (السيوطي). معترك الأقران في إعجاز القرآن. ط 1، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1408 هـ -

1988م، ج 1/ ص 138 وما بعدها).

بالنظر إلى سياق الورد في هذه الآية الخاتمة لسورة الكهف نستخلص أن الله سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يؤكد للناس طبيعته البشرية التي تنتمي إلى جنسهم، وأن يوضح لهم مهمته التي يختلف بها عنهم والمقصورة في تلقيه الوحي، بينما ألوهية الله ووحدانته المقصورة عليه سبحانه، والمنفية عن غيره، يمكن التثبت منها بتدبر آيات الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أو التفكير في آيات الآفاق والأنفس.

شهد منطلق الكلام وبداية القول في الآية الكريمة كسر همزة (إنما)، لأنه ابتداء كلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغه إياهم ويقوله معهم<sup>(1)</sup> تناسبا مع المعنى المؤكد للحلقة محمد صلى الله عليه وسلم البشرية الماثلة أمامهم والمؤيّن لمهمته المخصوصة. وفتحت الهمزة في (إنما) انسجاما مع أن ألوهية الله ووحدانته مطلقة ومفتوحة معالمها على كل شيء في الوجود، تؤكدها آيات الوحي المسطور، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(2)</sup>، وثبتتها وتركيبها آيات الكون المنظور في الآفاق والأنفس، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(3)</sup>.

من جهة أخرى، نستحضر قوله سبحانه وتعالى في الآية: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾<sup>(4)</sup>، لنلاحظ أن الدلالة السياقية تختلف بين هذه الآية وما يقتضيه سياق الآية السالفة. حيث تباين التعبير بين استخدام (إن) و (إلا) في آية سورة (إبراهيم)، واستخدام (إنما) في آية سورة (الكهف). لقد تنبه عبد القاهر الجرجاني لهذا الاختلاف فذهب إلى أنه "لم يقل: (إنما أنتم بشر مثلنا)، لأنهم جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم، وادعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن

(1) ينظر: الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص 333.

(2) سورة الإخلاص.

(3) سورة فصلت. الآية: 53.

(4) سورة إبراهيم. الآية: 10.

هو بشر. ولما كان الأمر كذلك، أخرج اللفظ مخرجه حيث يراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعي خلافه"<sup>(1)</sup>،  
فقولهم أساسه شك وعناد، يتجه إلى التركيز على إنكار النبوة، ونفي صحة الرسالة على أيدي بشر مثلهم، ولم  
تكن لهم الجرأة على تأكيد زعمهم أو إثبات ادعائهم بالحجج القاطعة.

#### • توظيف علامة الشرط.

لئن كان أسلوب الشرط من القواعد النحوية التي تربط بين جملتين في الكلام، فإن للشرط علامات: أسماء  
وحرمان، فهي التي تحقق أسلوب الشرط في التعبير باللغة العربية، إذ بوساطتها يتحقق التعالق بين جملة الشرط  
وجوابها.

نتوصل بإطالة إحصائية على متن سورة الكهف إلى أن هناك توظيفا لكل من الأدوات اللغوية: (إن) تسع مرات  
و(لو) و(من) و(إذا) خمس مرات لكل واحدة منها؛ أي إن أسلوب الشرط له حضور نسبي في خطاب هذه  
السورة المباركة.

---

(1) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. ص 333.

جدول رقم (10): أدوات الشرط الواردة في سورة الكهف وعددها

عدد مرات ورودها	أداة الشرط
9	إِنْ
5	لو
5	مَنْ
5	إذا

نكتفي في هذا المقام بذكر نموذجين:

- لفظ (إن) في قوله سبحانه: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾<sup>(1)</sup>.

امتحن موسى عليه السلام أثناء مصاحبته للخضر عليه السلام ثلاث مرات، كانت فيها الوسطى شرطا كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((كَانَتْ الْأُولَى نِسْيَانًا، وَالْوُسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا))<sup>(2)</sup>. بادر فيها موسى للاشتراط على نفسه بعدم السؤال مرة أخرى، بعد اعتراضه على قتل الغلام. وذلك إن أراد الاستمرار في رحلته مع العبد الصالح، وهو "ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد للسؤال الذي لا

(1) سورة الكهف. الآية: 76.

(2) صحيح البخاري. كتاب الشروط. باب الشروط مع الناس بالقول. رقم: (2728).



يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده"<sup>(1)</sup>. لكن هذا الشرط سيسقط بسقوط الجدار، فثبتت الحجة على موسى باعتراضه على بناء الجدار مجانا ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾<sup>(2)</sup> في المرة الثالثة، لتكون الثالثة ثابتة وحاسمة في توقف المشوار.

فكان أسلوب الشرط علامة ترجمت هذه المعاني حينما جمعت جملة الشرط الشرط وجوابه بالأداة (إن)، وأشارت إلى تلازمهما وتعالقهما، ولكن لما لم يتحقق الشرط لم يتحقق الجزاء أيضا، ومن ثمة، كانت النتيجة ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْتِي وَبَيْتِكَ﴾<sup>(3)</sup>، وتوقفت الرحلة في نهاية المطاف.

• لفظ (مَنْ) في قوله تعالى:

- ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(4)</sup>.

- ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾<sup>(5)</sup>.

نلاحظ أن الاشتراط ب (مَنْ) التي هي للعاقل تتناسب والأفعال التي تدخل في تركيب جمل الشرط، في هذه الآيات، ونلاحظ كذلك حضور علامة (الفاء) الجوابية أو الجزائية<sup>(6)</sup> التي تربط بين الشرط وجوابه في الجمل كلها، فضلا عن ورود أفعال الشرط بدلالة الاستقبال على الرغم من أن الفعل (شاء) تدل صيغته على الماضي، إلا أنه يفيد معنى الاستقبال، والدليل أن فعل الجواب المضارع فيه دلالة الاستقبال: (فليؤمن)، (فليكفر).

---

(1) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج16/ ص5.

(2) سورة الكهف. الآية: 77.

(3) سورة الكهف. الآية: 78.

(4) سورة الكهف. الآية: 29.

(5) سورة الكهف. الآية: 17.

(6) المرادي، بدر الدين بن علي. الجنى الداني في حروف المعاني. ط 1، فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413 هـ - 1992 م، ص 67- 68.

ليس في فعل (شاء) المتعلق بالشرط دلالة الاختيار بناء على مشيئة الفرد، وإنما المقصود "تخريض على الإيمان، وما بعده تحذير من الكفر، أي تبعة التفريط في ذلك على المفرط"<sup>(1)</sup>. ولهذا تنبه ابن عطية إلى أن المعنى يتقصد التهديد والوعد والوعيد؛ أي فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله عز وجل<sup>(2)</sup>.

جاء في الآية الثانية جواب الشرط الأول جملة اسمية: (فهو المهتد) ليتناسب مع أن هداية الله سبحانه تضمن لصاحبها الثبات على الطريق المستقيم والاستمرار عليه، وذلك لما في دلالة الجملة الاسمية من الثبوت والدوام. في حين أن الدلالة النحوية للفعل المضارع تفيد التجديد والحدوث. ولهذا المسوغ بالذات، عبر الأسلوب القرآني بصيغة الفعل المضارع المنفي في جواب الشرط الثاني: (فلن تجد)، في إشارة إلى أن من فضّل طرق الغي والضلال لن يصل إلى الهداية المنشودة مهما جدد من وسائل تحصيلها، ومهما بذل من جهد مضاعف.

ما يثير الانتباه في هذه الآية الكريمة هو ورود لفظ (المهتد) من دون (ياء) مع أنها أصلية من (الهداية)، بينما وردت الآية بالتعبير نفسه في سورة الأعراف بوجود (الياء): (المهتدي). يقول عز وجل: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

يمكن القول إن آية سورة الكهف جاءت في أعقاب سياق قصة فتية الكهف، حيث تكفلت بهم رحمة الله في ذلك الكهف بعد أن هربوا من جحيم الشرك. بينما آية سورة الأعراف وردت بعد قصة (بلعم بن باعوراء)<sup>(1)</sup> الذي ارتد عن دين الله واتبع الشيطان، فأضله بعد أن كان قد مكنه الله من آيات نصره بها.

---

(1) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج 15/ ص 307.

(2) ينظر: ابن عطية، الأندلسي. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط 1، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، - 1422 هـ، ج 3/ ص 5013. وابن كثير، أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم. ط 1، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت - 1419 هـ، ج 5/ ص 139.

(3) سورة الأعراف. الآية: 178.

لا ريب أن هذا التباين في مقتضى الدلالة السياقية قد يسعف في استنتاج الغرض الذي من أجله غابت علامة (الياء) في لفظ سورة الكهف وحضرت في لفظ سورة الأعراف. فالهداية عموماً هي فضل من الله، لكن هناك من منحه الله هذه الهداية في وسط اجتماعي صعب مليء بألوان الفساد والكفر والطغيان، ومع ذلك قبض عليها مستعيناً بالصبر والمكابرة والمقاومة، وكأني بما هداية غير مكتملة، بل عليه أن يزيد من صبره وجلده لتحقيق الهداية الكاملة. جاء في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ**»<sup>(2)</sup>، وفي سورة الكهف نفسها: «**آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**»<sup>(3)</sup>، فالمؤمن دائماً يستزيد من الهدى بالاستغفار وتكفير السيئات والدعاء وغير ذلك من العبادات، ولذلك كانت سورة الفاتحة دعاء دائماً تلهج به ألسنة المؤمنين على الرغم من إسلامهم وإيمانهم، يطلبون فيه الهداية من الله إلى الصراط المستقيم «**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**»<sup>(4)</sup>، لأن المؤمن مهما كانت درجة هدايته لا يأمن مكر الله، وذلك لأن هدايته تظل ناقصة إلى أن تكتمل باستحقاقه الجنة. ولذلك ورد لفظ: (المهتد) من دون علامة الياء ليوحي بهذا النقص المفروض أن يستدركه المهتدي خوفاً من الله وطمعاً.

(1) تبدأ قصته في كتاب الله بقول تعالى: «**وَإِذْ نُنزِّلُ عَلَيْكُمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**» (سورة الأعراف. 175). قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد رحمهم الله: نزلت هذه الآية في بلعم بن باعوراء، هو عالم من علماء بني إسرائيل. وقيل: من الكنعانيين، أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات، بأن كفر بما ونبذها وراء ظهره، فأتبعه الشيطان فلحقه وأدركه وصار قرينا له. أو فأتبعه خطواته. وقرئ: فاتبعه، بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين. روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى، وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة، فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل، ولو شئنا لرفعناه بما لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه أخذ إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها. وقيل: مال إلى السفالة. ينظر: (الزنجشيري. الكشف. ج2/ص 178/الرازي. مفاتيح الغيب. ج15/ص 4038/القرطبي. تفسير القرطبي. ج7/ص 319).

(2) سنن الترمذي. أبواب الفتن. رقم: (2260).

(3) سورة الكهف. الآية: 13.

(4) سورة الفاتحة. الآية: 6.

وحيثما يؤيدك الله بآيات من لدنه، وينصرك بكرامات لن تستطيعها بقدرتك البشرية، فقد منحك الهداية الأكمل، وعليك أن تستثمرها في الدعوة إلى الله ونصرة دينه. لكن (ابن باعوراء) بوصفه نموذجاً بشرياً مصطفى لهذا الغرض كان قد ضيع هداية الله الأتم بعد أن مكنه منها، فزاع عن الطريق المستقيم، واتبع هواه، ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾<sup>(1)</sup>. ولهذا، وردت كلمة (المهتدي) كاملة الحروف، في إشارة إلى أن الهداية الربانية الأكمل والأتم هي المشفوعة بفضائل الآيات الخاصة، يصطفئها لأولياءه من أجل استثمارها في نشر رسالة التوحيد، وتعاليم شريعة الله من أجل الفوز بالجنة. والدليل أنه سبحانه قال لرسوله الأكرم: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾<sup>(2)</sup>، فقد هداه صلى الله عليه وسلم بآيات القرآن، فاستثمرها على الوجه الأحسن في نشر دين الإسلام.

• من الأفراد والتأنيث إلى التذكير والجمع في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾<sup>(3)</sup>.

انتقل الخطاب من التعبير بعلامتي: الأفراد والتأنيث في لفظ "فتنة" إلى التعبير بالجمع والتذكير في الفعل

"ينصرونه". ولا يخفى أن لهذا الالتفات في الأسلوب القرآني معاني يتقصدتها في مثل هذا السياق المخصوص.

لقد تنبه ابن زنجلة لهذا الملحظ، فعرض التبرير الآتي: "وكان تذكير ما تقدم من فعلهم من أجل تذكير ما تأخر

من فعلهم أولى، ليأتلغ الفعلان على لفظ واحد، وقيل إنه قد حيل بين الفعل والاسم بحائل وهو قوله له والحائل

صار كالعوض من التأنيث" <sup>(1)</sup>.

(1) سورة الأعراف. الآية. 175.

(2) سورة الضحى. الآية: 7.

(3) سورة الكهف. الآية: 43.

يبدو أن هذا الافتراض انزاح مع النظم في شقه الشكلي، ورأى أن الغاية من ذلك العدول هي جريان الكلام على نسق واحد، أو أن المسوغ هو وقوع الحائل الذي غيَّب علامة التأنيث.

لم يأت الأسلوب القرآني بعبارة: (فئة تنصره) في هذا المقام، ولم ينسج التركيب على منوال ﴿فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup> في سياق سورة آل عمران، لأنه حمل (ينصرونه) على المعنى دون اللفظ<sup>(3)</sup>، ولأن حقيقة المعنى في لفظ (الفئة) -والله أعلم- هي العشيرة والولد أو الجماعة أو الجند<sup>(4)</sup>، فجاء الضمير في (ينصرونه) عائدا على جماعة المذكور، وذلك لما في علامتي: الجمع والتذكير من معاني القوة والشدة اللازمة لتحقيق النصر، بخلاف علامتي: التأنيث والإفراد اللتين توحيان بمعان بعيدة عن القوة قريبة من الضعف؛ لأن الجماعة أقوى من الفرد، والذكورية أقوى من الأنوثة في الأصالة والخشونة والقوامة. فكانت هذه المعاني خادمة لسياق الآية؛ لأنه حتى لو افترضنا وجود مناصرين يرغبون في نصرة الكافر، فإنهم لن يستطيعوا نصره من دون الله مهما بلغوا من القوة والحول. إن النصر في كل أحواله والقوة بكل أسبابها ثابتان لله الحق وحده من دون غيره، ييسرها لمن يشاء من عباده. علما أنه توجد قراءة تدعم هذا المنحى في الفهم، حيث قرئ بالياء (لم يكن) عوض (لم تكن)<sup>(5)</sup>.

---

(1) ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. حجة القراءات. تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، ص 418.

(2) سورة آل عمران. الآية: 13.

(3) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 724.

(4) ينظر: الطبري. جامع البيان. ج 18/ ص 28/ ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج. / ص 150/ ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج 15/ ص 328.

(5) ينظر: الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 724.

## 5- أثر العلامة المعجمية في توجيه المعنى في سورة الكهف

نحسب أن العلامة المعجمية مدخل مهم من مداخل فهم الخطاب، فهي ترفد المعنى بتجليات دلالية توجه الإدراك وتدقق المقصد وتسهم في البيان والإيضاح. نستدل ببعض العلامات المعجمية البارزة من سورة الكهف لبيان أهمية ذلك.

### 5-1- مفردتا: "إمرا" و"نكرا"

يقول سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ أَخْرَفْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾<sup>(1)</sup>، وبعده: ﴿قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(2)</sup>.

اختلف العلماء في مفردتي: "إمرا" و"نكرا" أيهما أشد تعبيرا عن الاستنكار وعظمة الفعل المقترف من قبل العبد الصالح (الخضر عليه السلام) بعدما وصفه موسى عليه السلام بذلك الوصف؟ نقل الرازي بأن "النكر أعظم من الإمر في القبح، وهذا إشارة إلى أن قتل الغلام أقبح من حرق السفينة، لأن ذلك ما كان إتلافا للنفس لأنه كان يمكن أن لا يحصل الغرق، أما هاهنا حصل الإتلاف قطعاً فكان أنكر"<sup>(3)</sup>. وذهب الزمخشري إلى أن "النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة"<sup>(4)</sup>.

(1) سورة الكهف. الآية: 71.

(2) سورة الكهف. الآية: 71.

(3) الرازي. مفاتيح الغيب. ج21/ ص 487.

(4) الزمخشري. الكشاف. ج2/ ص 736 / النسفي، حافظ الدين. تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ط 1، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، مراجعة وتقديم: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998 م، ج 2/ ص 312.

وإذا استخبرنا الدلالة المعجمية لهذين اللفظين في المعاجم العربية. نجد أن: أَمَرَ أَمْرُهُ يُأْمَرُ أَمْرًا، أي اشتدَّ... وأَمْرٌ إِمْرٌ: مُنْكَرٌ عَجَبٌ<sup>(1)</sup>. وَنُكِرَ وَنُكِرَ: الْمُنْكَرُ، كَالنُّكْرَاءِ، الْأَمْرُ الشَّدِيدُ<sup>(2)</sup>، ونجد كذلك أن: النكر: الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف<sup>(3)</sup>. وأن الإمر: العجب الظاهر الكشوف<sup>(4)</sup>.

بالتأمل في هذه المعاني يتبين التقارب الشديد في المعنى والدلالة اللذين تؤول إليهما معاني: (الإمر) و(النكر) إلى درجة أن الشاعر جمع بين المفردتين في بيت واحد. يقول:

قَدْ لَقِيَ الْأَقْرَانَ مَنِّي نُكْرًا ❖ ❖ ذَاهِيَةً ذَهْبَاءَ إِذَا إِمْرًا<sup>(5)</sup>

عبر في الآية السالفة حينما حرق السفينة بـ: "إمرا"، ولما قتل الغلام، وصف الفعل بـ: "نكرا". ومن البدهي أن يثير هذا الاختلاف في الوصف فضول المتلقي، ويجعله يتساءل عن الفائدة من توظيف هذا اللفظ هنا ومن توظيف الآخر هناك.

يمكن القول -والله أعلم- إنه أحدث العيب بغرض تراجع الغاصب عن أخذها، كما أن إحداث العيب في جسم جامد ليس يبلغ في الجسامة وقوة الفعل حدث القتل إزاء إنسان حي، وخاصة إذا كان صبيا، فكان القصد من حرق السفينة تعطيل وظيفتها: ﴿فَارَدْتُ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾؛ لأنه

(1) ابن منظور. لسان العرب. مادة (أمر).

(2) المصدر نفسه. مادة (نكر).

(3) الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن. ط 1، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - 1412 هـ، ص 824.

(4) أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية. ص 258.

(5) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 735. وينظر: القرطبي. تفسير القرطبي. ج 11/ ص 19.

منطقيا لا يمكن أن يغامر الخضر بإهلاك مَنْ على السفينة وهو معهم، وإنما الغرض أن تبقى السفينة معيبة كي يغض الطامع فيها الطرف عنها بسبب أنها لا تنفع في الإبحار، ولا تصلح في قضاء الحاجة بعد التعيب.

أما في حال القتل الإنساني المشاهد فهو أعظم وأشدّ وقعا وتأثيرا على النفس البشرية، وذلك لأن القتل في العرف البشري هو حرمان قطعي من الحياة، ومن ثم فهو أفظع ما يمكن أن يتوقعه المرء، خاصة إذا كان من دون سبب ظاهر يستوجبه (مثل القصاص). لذلك، فمن الطبيعي، أن يتعجب موسى عليه السلام أشدّ العجب من الحدثين، غير أنه وظف (الإمر) ليظهر استنكاره واعتراضه على منكر تعيب السفينة بعلامة، ووظف (النكر) لإظهار قوة الاستنكار وجسامته الاستقباح وبشاعة حدث قتل الغلام. ولذلك علل ابن عاشور هذا الاختلاف بقوله: "لأن هذا فساد حاصل والآخر ذريعة فساد"<sup>(1)</sup>.

إن ما يزكي هذا الافتراض هو أن القرآن نفسه استخدم لفظ (النكر) بما يحيل عليه من شدة وفظاعة في سياق العذاب الذي ينتظر أهل الظلم والفساد، يقول تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾<sup>(2)</sup>، ويقول أيضا في سياق سورة الطلاق: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾<sup>(3)</sup>.

وعليه، يكون التعبير القرآني قد اصطفى لكل حدث المفردة الأنسب والأليق لموضعها المخصوص، ولا يمكن أن تعوضها مفردة أخرى مهما اقتربت منها في درجة الترادف. يقول ابن الزبير -ونحن نشاطره الرأي-: "وعن قتادة

---

(1) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج 15 / 378.

(2) سورة الكهف. الآية: 87.

(3) سورة الطلاق. الآية: 8.



رحمه الله: ((النكر أشد من الإمر)) فجاء كل على ما يلائم، ولم يكن ليحسن مجيء أحد الوصفين في موضع الآخر<sup>(1)</sup>. -والله أعلى وأعلم-

## 5-2- مفردتا: "سدا" و"ردما"

يقول عز وجل: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾<sup>(2)</sup>.

استخدم القرآن في هذا المقام مفردة: "سدا" ومفردة: "ردما" في سياق حوارى جمع بين ذي القرنين وأصحاب السد، فكان هذا التغيير المعجمي مدعاة للتأمل والتدبر قصد الوقوف على الفرق الدلالي بين المفردتين.

طلب القوم من ذي القرنين بناء سد مانع من بطش يأجوج ومأجوج، فاستجاب لهم لما في طلبهم من وجهة ومعقولية رادة للفساد، فأخبرهم بعزمه على تشييد ردم عظيم لتحقيق مبتغاهم.

لم يرد لفظ (ردم) في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في الآية أعلاه، بينما ورد لفظ (السد) في سورة يس مرتين وفي سورة الكهف مرة أخرى بالمتنى (السدين).

تطالعنا أغلب المعاجم العربية<sup>(3)</sup> بأن الدلالة المعجمية ل: (السد) و(الردم) متقاربة جدا في المعنى. يقول الخليل مثالا: "ردم: رَدَمْتُ الثُّلْمَةَ والْبَابَ أَرَدُمُ رَدْمًا أَي سَدَدْتُهُ، وَالاسْمُ الرَّدْمُ وَجَمْعُهُ رُدُومٌ، وَثَوْبٌ مُرْدَمٌ وَمُلْدَمٌ إِذَا رَفَعَهُ.. وَالرَّدْمُ: سَدٌّ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ"<sup>(1)</sup>.

(1) ابن الزبير. ملاك التأويل. ج 2/ ص 322.

(2) سورة الكهف. الآية: 94 - 95.

(3) ينظر على سبيل الذكر لا الحصر: ابن سيدة. المخصص. ج 2/ ص 457/ ابن منظور. لسان العرب. مادة (ردم)/ الخليل، ابن أحمد. العين. ج 8/ ص 36.

غير أن إيراد اللفظين في موضعيهما بهذا الاختلاف لا يمكن أن نسلم بترادفهما أو بأدائهما للمعنى نفسه، ولذلك بحثنا عند السر الدقيق الذي استلزم هذا في موضع والآخر في موضع. من ذلك أن الفيروزابادي أورد في قاموسه معاني ل(الردم) نذكر منها ما يبين معنى السد، يقول إن "الردم أكثر من السد"<sup>(2)</sup>. وجاء في تفسير الطبري: "يقول (ذو القرنين): أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما. والردم: حاجز الحائط والسد، إلا أنه أمتع منه وأشد"<sup>(3)</sup>. يضيف الزمخشري أنه سبني لهم "ردماً حاجزا حصينا موثقاً، والردم أكبر من السد"<sup>(4)</sup>.

يمكن القول إن استخدام مفردة (السد) يعود إلى أن القوم الذين طلبوا من ذي القرنين بناء السد كانت غايتهم الأسمى هي دفع مفسدة يأجوج ومأجوج التي قهرتهم، فما كان منهم إلا أن يستنجدوا بالممكن في الأرض أن يصنع لهم حاجزا محكما ومنيعا، يفصلهم عن فساد القوم الطاغين، فكان التعبير ب(السد)، لأن غايتهم المنشودة هي وظيفة هذا السد المتمثلة في التحصين التام والغلق المحكم على العدو. ندعم هذا الفهم بما ورد في السياق القرآني نفسه في سورة ياسين. يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>(5)</sup>، حيث ينصرف الوعي في هذه الآية إلى معاني (السد) وليس إلى طبيعته أو كفاءته، لأن دلالة القوة في القفل، والشدة في الإغلاق حتى أضحت الغشاوة تمنعهم من الإبصار. إنهم لا يستطيعون الخلاص من إحكام الله عليهم، فهم "الحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم"<sup>(6)</sup>

(1) الخليل، بن أحمد. العين. ج 8/ ص 36.

(2) الفيروزابادي. القاموس المحيط. ص 1112.

(3) الطبري. جامع البيان. ج 18/ ص 113.

(4) الزمخشري: الكشاف، ج 2، ص 747.

(5) سورة يس. الآية: 9.

(6) الزمخشري: الكشاف. ج 4/ ص 5.

أما من جهة لفظ (الردم) فإن ذي القرنين بادر إلى الاستجابة إلى مسعى القوم "فوعدهم بالإسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه وهو اللائق بشأن الملوك"<sup>(1)</sup>، فلي لهم الطلب وأقوى سبيل مما توقعوا، ولهذا وصف ما سيبنيه (ردما)، لأنه سوف يكون أقوى وأعظم من السد الذي طلبوا، ولهذا قال الزمخشري الردم أكبر. والدليل أن المواد المستعملة في البناء والطبقات التي يتشكل منها الردم غاية في الصلابة والقوة، وهو ما يشرحه في قوله: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾<sup>(2)</sup>، وعليه يكون لفظ (الردم) هو الأنسب لوصف هذا العمل الجبار والعظيم الذي لن يستطيعوا له نقبا.

### 3-5- عبارتا: "من عندنا"؛ "من لدنا"

يقول تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(3)</sup>.

نلاحظ في هذه الآية توظيفا لظرفين مختلفين، حيث ورد مع (الرحمة) لفظ: (من عندنا) ومع (العلم) ورد: (من لدنا)، علما أن كليهما اسم قريب لأول غاية زمان أو مكان. لكن التساؤل الذي يفرض نفسه هو هل لهذا التوظيف المعجمي فائدة في السياق؟

اهتدى العلامة ابن عاشور إلى أن "المخالفة بين (من عندنا) وبين (من لدنا) للتفنن تفاديا من إعادة الكلمة"<sup>(4)</sup>، معنى ذلك أن الغرض من المخالفة يبقى في حدود التشاكل اللغوي والتفنن اللفظي، وعدم اجترار

(1) الألوسي. روح المعاني. ج8/ ص 361.

(2) سورة الكهف. الآية: 96.

(3) سورة الكهف. الآية: 65.

(4) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج 15/ ص 369. والطبري. جامع البيان. ج 18/ ص 62.

اللفظ نفسه، وهو بهذا الاقتناع يكون قد اتفق مع ابن هشام حينما قال: "ولو جيء به (عند) فيهما أو به (لادن) لصح، ولكن ترك دفعاً للتكرار"<sup>(1)</sup>.

بإعمال جهد إحصائي لهاتين العبارتين في القرآن الكريم يتبين أن لفظ (لادن) ورد ثمان عشرة مرة (18)، منها أربعة (4) في سورة الكهف، وكلها أضيفت إلى الله سبحانه<sup>(2)</sup>، ما عدا مرة واحدة أضيفت إلى موسى عليه السلام ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾<sup>(3)</sup>. في حين ورد لفظ (عند) مائة وخمسة وثمانين (185) مرة مضافاً إلى أشياء مختلفة.

وإذا تأملنا الدلالة المعجمية نقف على أن (لادن) ظرف زماني ومكاني غير متمكن بمنزلة (عند) إلا أنه أقرب مكاناً من عند وأخص منه<sup>(4)</sup>، وهو - (لادن) - لفظ مبني، وعلّة البناء كونه يدل على الملاصقة للشيء ويختص به، بخلاف لفظ: (عند)، فإنه لا يختص بالملاصقة<sup>(5)</sup>. وعليه، يصعب أن نسلم بأن الاختلاف مبني على علة شكلية تروم تفادي التكرار، وإنما لا بد من وجود تعليل دلالي لهذا التوظيف المتباين في العلامة المعجمية. فضلاً عن أن تفادي التكرار يبقى احتمال اللجوء إليه وارداً بحذف المكرر.

---

(1) ابن هشام. مغني اللبيب. ص 208.

(2) نذكر منها قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (سورة مريم. الآية: 5)؛ ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (سورة الإسراء. الآية: 80) ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ (سورة الكهف. الآية: 2)؛ ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة النمل. الآية: 6)؛ ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾ (سورة هود. الآية: 1).

(3) سورة الكهف. الآية: 76.

(4) ينظر: إبراهيم، مصطفى وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة). المعجم الوسيط. دار الدعوة، ج 2/ ص 822.

(5) ينظر: الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط. ج 3/ ص 8.

يقتضي الاقتراب من المسوغ الدلالي الذي استدعى هذا الاستخدام اللفظي الاسترشاد بالسياق القرآني لتجلية الفرق. وحينما نقف على لفظ (لدى) نجد دائما ينسب إلى الله في السياقات القرآنية، في حين لفظ (عند) ينسب إلى الله أحيانا وإلى أشياء أخرى، فهذا دليل أن الأمر يوحي بفرق في الدلالة المخصوصة. فلا يقال (لدى) إلا في حالة مُلْك الشخص وبحضرتة فتقول: المال لدى فلان، أي: حاضر عنده الآن، أما المال عند فلان، فهو مالك له حضر أو غاب، ولذا قال تعالى: ((وعلمناه من لدى علماء))؛ أي: من العلم الخاص بنا، وهو علم الغيب، ومن ثم ف (عند) أعم من (لدى)، و(لدى) أخص وأبلغ من (عند).

وإذا كان الطرف (لدى) أقرب مكانا من (عند) وأخص منه وألصق بالشيء، فإنه بإمكاننا القول: إن الأول خاص والثاني عام. معنى ذلك أنه يمكن تعويض (لدى) ب (عند) ولا يمكن دائما حصول العكس. وذلك أن (عند) تقع على المكان وغيره. تقول لي: (عند فلان مال في ذمته) ولا يقال ذلك في (لدى)، ولا يستعمل إلا في الحاضر بخلاف (عند) يقال: (لدى مال) إذا كان حاضرا<sup>(1)</sup>. ولما كان سياق الآية يخدم بالدرجة الأولى بيان سنة الله في العلم الغيبي الخاص به سبحانه، ويكشف بعضا من المفاتيح التي لا يعلمها إلا هو، فقد ناسب أن يذكر (من لدى) جريا على طريقة القرآن ومنهاجه في إضافة الأشياء المخصوصة بعظمة الله والمتفرد بها عن غيره عبر هذا اللفظ. فالرحمة ممتدة بوسعها في سياقات السورة بكاملها من حيث إن سورة الكهف تعد مسرحا لكهوف من الرحمة بلفظ الشعراوي، رحمة عامة تشمل أهل الكهف وموسى والخضر وقوم ذي القرنين وغيرهم. لذلك لاءم لفظ (من عندنا) هذا الموضع.

---

(1) ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. ج2/ ص 822.

## 5-4- مفردة: "باخع"

في قوله عز وجل: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(1)</sup>.

اصطفى الخطاب القرآني لفظ: "باخع" لوصف الحالة النفسية التي كانت تملأ قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بالغيظ، وتجتثم على خاطره بالغم. إن ما يدعو إلى الانتباه هو أن الله سبحانه خص محمدا بهذا الوصف مرتين في القرآن الكريم: في الآية أعلاه وفي سورة الشعراء: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup> لتصوير حالته النفسية صلى الله عليه وسلم إزاء إعراض الكفار عن الإيمان.

ترفد هذه العلامة المعجمية دلالتها من الأصل: (بخع): بخع نفسه يبخعها بخعا وبخوعا: قتلها غيظا أو غما<sup>(3)</sup>. نقل أبو حيان عن الأخفش والفراء أن البخوع إهلاك من شدة الوجد وأصله الجهد<sup>(4)</sup>.

يستدر هذا اللفظ في موضعه معاني قوية وجمّة، فهو يتقصد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على ترك التأسف على قوم لا يستحقون تحسره على عدم إيمانهم ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾<sup>(5)</sup>، لأنهم ميؤوس من رجوعهم إلى طريق الإيمان، لذلك فهم ليسوا أهلا للأسف والأسى على كفرهم وعنادهم من قبلك يا محمد.

إنه لفت انتباهه إلى أن غمه صلى الله عليه وسلم وحزنه عليهم سوف يكون سببا لشقائه وتعبه ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾<sup>(1)</sup>. إن القارئ يستشعر مع القوة الدلالية لمفردة (باخع) كأن الله سبحانه يقول لنبيه: لعلك يا

(1) سورة الكهف الآية: 6.

(2) سورة الشعراء. الآية: 3.

(3) ابن منظور. لسان العرب. مادة(بخع).

(4) ينظر: الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط. ج 7/ ص 132. والشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. ط 1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - 1414 هـ، ج 3/ ص 320.

(5) سورة فاطر. الآية: 8.

محمد مجهد نفسك أو مضعفها أو مهلكها من بعد توليهم وإعراضهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أي: القرآن<sup>(2)</sup>،  
ويحس أن اللفظ يستودع تصويرا لحال نفس الرسول التي توشك أن تنفطر حزنا، حيث شبهه برجل فارقه أحبته  
وأعزته، فهو يتساقط حشرات على آثارهم ويخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم<sup>(3)</sup>.

وهكذا كانت هذه العلامة المعجمية (باخم) الأنسب والأحوط لجملة هذه المعاني التي أتينا على ذكرها، ولا  
يمكن أن تعوضها أي لفظة أخرى في هذا الموضوع المخصوص مهما اقتربت منها ترادفا.

## 5-5- مفردة: "تزاور"

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾<sup>(4)</sup>.

تزاور عن كهفهم؛ أي إنحأ: تميل. يقال: تَزَاوَرَ عنه، وأزورَّ عنه، ورجلٌ أزوُر، وقومٌ زوُر، وبتُّ زوراءُ: مائلة الحفر  
وقيل لِلْكَذِبِ: زُوُر، لكونه مائلا عن جهة الصدق<sup>(5)</sup>. معنى ذلك أن الدلالة المعجمية ل(التزاور) تؤول إلى الميل  
والانحراف والانحناء.

أما من جهة المضمون للفظ في الآية فقد نقل الرازي في أبحاثه التفسيرية قولين: القول الأول: إفادته أن المقصود  
أن الله تعالى صان أصحاب الكهف من أن يقع عليهم ضوء الشمس وإلا لفسدت أجسامهم فهي مصونة عن  
العفونة والفساد. والقول الثاني وهو قول الزجاج: يرى أن الشمس إذا طلعت منع الله ضوء الشمس من الوقوع<sup>(1)</sup>.

(1) سورة طه. الآية: 2.

(2) ينظر: الشوكاني. فتح القدير. ج 3/ ص 320.

(3) ينظر: الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 704.

(4) سورة الكهف. الآية: 17.

(5) ابن منظور. لسان العرب. ج 3/ ص 334/ الرابع، الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. ص 387.

بناء على هذه المعطيات يبدو أن انتقاء الأسلوب القرآني للفظ "تزاور" في ظل السياق يدل على أن الشمس وهي في جرياتها اليومية من المشرق إلى المغرب حينما تتقابل مع فوهة الكهف تميل عن مدارها جهة اليمين، فلا يصيب شعاعها أبدان الفتية، بل يستمدون من هذه الحركة الشمسية شروطا فيزيائية وبيولوجية تسعف في بقائهم سالمين من الأذى، حيث "وقاهم الله بذلك من أن يؤذيهم حر الشمس أو يغير ألوانهم أو يبلي ثيابهم، بل كانوا مرتاحين في نومهم مستفيدين من روح الهواء المتحول عليهم بالشرق والغروب وهم في فجوة منه"<sup>(2)</sup>.

سخر الله للفتية وسطا بيئيا، ونمط عيش يناسب سنته الكونية في الوجود الإنساني، وفي الوقت نفسه تكون آية عظيمة شاهدة على بركاته ومعجزاته سبحانه في الحكم والتدبير. وذلك بما توافر لهم من: كهف وشمس وهواء فتهيأت لهم رحمة المأوى الواقى، والهواء النقي، والدفء الرائق بعيدا عن التعفن والتقرح والأمراض التي قد تنجم عن الرقاد الطويل الأمد. إن هذه الشروط الإحيائية والأسباب الوجودية هي من جملة عطف الله ولطفه بهم. وإنها أيضا وحقا "من آيات الله" أسهمت في إبراز معالمها علامة "تزاور" من دون غيرها من مفردات المخزون المعجمي.

## 5-6- مفردتا: "أوى" و"أووا"

في قول سبحانه:

- ﴿فَأُووا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾<sup>(3)</sup>.

- ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: الرازي. مفاتيح الغيب. ج 21/ ص 443.

(2) الطباطبائي. حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط 1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1998. ج 13/ ص 273.

(3) سورة الكهف. الآية: 16.

(4) سورة الكهف. الآية: 10.



ذُكرت مادة (أ و ي) مرتين في سورة الكهف، وكان ورودها متعلقا بالكهف. يقول ابن فارس: "الهمزة والواو والياء أصلان: أحدهما التجمع، والثاني الإشفاق. قال الخليل: يقال: أوى الرجل إلى منزله وآوى غيره أوىا وإيواء. ويقال: أوى إواء أيضا. والأوى أحسن<sup>(1)</sup>."

بالتأمل في الآيتين أعلاه وفي الآيات الآتية: ﴿أَوْى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾<sup>(2)</sup>؛ ﴿أَوْى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ﴾<sup>(3)</sup>؛ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾<sup>(4)</sup>؛ ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(5)</sup> نستخلص أن مدار معاني الإيواء في السياقات القرآنية يؤول إلى الاسترحام والإشفاق والاستعطاف بوجود ضعف ما، ونعلم أن الأوى يكون إلى الشيء لما فيه ضم وحمية وأمن وراحة ورحمة. ولذلك ارتبط مفهوم الإيواء في كثير من الأحيان باليتيم، والمشرّد، والضعيف، والفارّ من العدو والمظلوم، لأنهم جميعا في حاجة إلى الإيواء والعطف والإشفاق.

لهذا، وبعد أن اعتزل الفتية قومهم ومعبوديتهم، وفروا من ربة الشرك والظلم، واختاروا عبادة الله الحق، أمرهم ربه سبحانه بالإيواء: "فأووا" إلى الكهف لنيل رحمته وعطفه وحميته سبحانه، فكان الكهف بقدرته الله ملجأ فيه طمأنينة وسكينة وراحة بال وبدن. وهكذا ناسبت اللفظة بما احتوت عليه من معان ودلالات رهيبة انعكست تجلياتها ضمن سياق القصة.

(1) ابن فارس. مقاييس اللغة. ج1/ ص 151.

(2) سورة يوسف. الآية: 69.

(3) سورة يوسف. الآية: 99.

(4) سورة الضحى. الآية: 6.

(5) سورة الأنفال. الآية: 72.

## خلاصة الفصل الثالث

حاولنا في هذا الفصل التطبيقي الأول استثمار آيات نحو العلامة في تحليل الخطاب، فطبقتنا إجراءاته على بعض العلامات اللغوية البارزة في سورة الكهف؛ فكان المبحث الأول منه منصبا على "مضامين سورة الكهف ودلالاتها العامة" التي كان من أوضحها: ترسيخ أساس التوحيد ونبد الشرك، وتحقيق الاعتبار والاتعاظ بعلامة القصة، فضلا عن إثارة الانتباه بعلامة المثل والتحذير بمشاهد من يوم القيامة. وخصصنا المبحث الثاني لقراءة في عنوان السورة / اسمها، ركزنا فيه على بعض العلامات (الصوتية، المعجمية، النحوية)، ثم تجليات العلامة السيميائية لمفردة (الكهف). أما المبحث الثالث فكان لا بد لنا فيه من بيان "أثر العلامة اللغوية في توجيه المعنى في سورة الكهف"، من خلال التطرق لدلالات العلامة الصوتية في بعض الآيات، حيث أشرنا إلى الخصائص الجرسية والتكرار الصوتي ودورها في بناء المعنى، فضلا عن دور الفاصلة القرآنية والنبر والتنغيم وأثرها في فهم مقاصد السورة. بعد ذلك، صرفنا النظر إلى أثر العلامة الصرفية في توجيه المعنى في هذه السورة المباركة، وركزنا على علامات (اسم الفاعل، الفعل، المصدر، الأفراد التثنية والجمع...). وحينما وصل بنا مسار البحث إلى مقارنة أثر العلامة النحوية في توجيه الدلالة في هذه السورة المباركة ذكرنا أبرز العلامات النحوية فيها، فكان منها علامات: (الرتبة المحفوظة وغير المحفوظة، الفصل والوصل/ العطف، العلامة الإعرابية، علامات نحوية أخرى)، وفي الأخير بحثنا أثر العلامة المعجمية في بيان المعنى وإيضاحه في هذه السورة المباركة.

# الفصل الرابع

تجليات العلامة الوجودية والحالية والسيمائية في سورة الكهف

# المبحث الأول

مظاهر العلامة الحالية المشاهدة في سورة الكهف

## 1- تمهيد

تعد العلامة الحالية أو الحال المشاهدة من القرائن المهمة التي تعين على فهم المعنى وتحصيل الدلالة؛ لأنها تعتمد على الإيماء والإشارة والموقف الفعلي وسياق الحال، وقد تغني عن استخدام اللفظ لدلالة الحال عليه. يقول سيويوه: "وذلك أنك رأيت رجلاً يَضْرِبُ أو يَشْتِمُ أو يَقْتُلُ، فاكْتَفَيْتَ بما هو فيه من عمله أن تَلْفِظَ له بعمله فقلت: زيداً، أي أَوْقِعَ عملك بزيدٍ. أو رأيت رجلاً يقول: أَضْرِبْ شَرَّ النَّاسِ، فقلت: زيداً. أو رأيت رجلاً يَحْدُثُ حديثاً فَقَطَعَهُ فقلت: حديثك. أو قَدِمَ رجلاً من سفرٍ فقلت: حديثك. استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبرٌ، فعلى هذا يجوز هذا وما أشبهه"<sup>(1)</sup>.

لعل سيويوه يوضح بهذه الأمثلة مدار العلامة الحالية، لكونها تسهم في توصيل المعنى باستغنائها عن اللفظ، وارتكاز واضح على وضعية التخاطب والموقف الحي الذي يفسر المقصود ويبين إفادته.

نزكي هذا الادعاء القاضي بأهمية العلامة الحالية في توجيه المعنى بما قاله ابن القيم في التبيان: "وتارة يحذف الجواب وهو مراد إما لكونه قد ظهر وعرف إما بدلالة الحال كمن قيل له: كل. فقال لا والله الذي لا إله إلا هو، أو بدلالة السياق وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه وهي طريقة القرآن"<sup>(2)</sup>. إنه لما كانت الأحوال علامات أساسية في قواعد الوجود، من حيث إن الوجود بسمائه وأرضه وما بينهما من إنسان وحيوان وكل المخلوقات أحوال ينقلها الإنسان إلى ذهنه عبر صورها الحقيقية، فإنها كذلك في نظام اللغة، حينما تحيل عليها علامات لسانية دقيقة تجعل القارئ أو السامع وكأنه يعيشها رأي العين.

(1) سيويوه. الكتاب. ج1/ ص 253.

(2) الجوزية، ابن القيم. التبيان في أقسام القرآن. تح: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ص 10.

تحضر العلامة الحالية بشكل مكثف في سورة الكهف بمختلف مظهراتها اللغوية (الإحالات الإشارية والضميرية والأحوال والنعوت والمواقف والوصف والتصوير وغيرها)، وذلك من أجل نقل الدلالات والمعاني في أسمى صورها وأجلى تفاصيلها في أسلوب قصصي عجيب، لتقريب المعنى والتأثير في المخاطب على أحسن وجه. وذلك لأن العلامة الحالية (المشاهدة / المعاينة) تسعف في تمثل اللحظة واستحضار النوازل كأن المتلقي يعيش الموقف حاضرا، وتسمح بإدراك كيفية اشتغال الأحداث والظواهر.

## 2- حال الاطلاع على أهل الكهف (المشاهدة والمعاينة)

تعد الأوصاف البليغة والمشاهد الدقيقة التي نقلت مضامين أحوال أهل الكهف وهم في رقدتهم الطويلة من أجمل العلامات الحالية التي تكفلت بتبليغ قصتهم في سورة الكهف. إن الصور التي رسمت وضعية الفتية في تغيراتها وهيئتهم الجسدية في تقليباتها جعلت الانتباه ينشد لهذه القرائن الحالية الدقيقة. يقول سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾، مشهد يجمع بين متناقضين: (اليقظة) و(الرقاد) في تناسق عجيب وتكامل فريد، لا نستطيع تمثل صورته إلا في هذا المقام الاستثنائي إلا على هذا الوصف البديع؛ فاليقظة قد تتمثل في العيون المفتوحة "عيونهم مفتوحة وهم نيام، فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا"<sup>(1)</sup>، وقد تعبر عنها حركة أجسادهم لكثرة تقلبهم وتبدل وضعياتها. فلا مرية أن قارئ هذا الأسلوب سيتخيل مشهدا عجيبا لا يستطيع التحكم في مجرياته إلا الله سبحانه. بعد تلك الصورة المتقابلة يأتي البيان بقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾، حيث يظهر أن هذه الحال تفسر مشهد اليقظة وكيف يحسبهم الناس أيقاظا، من حين إن التقلب من اليمين إلى الشمال فيه من الحركة والتأملل ما يوهم الرائي أن الفتية في حال صحو وانتباه، بينما العكس هو الطارئ (وهم رقاد)، لأن هذه الحركية

(1) الزمخشري. الكشاف. ج 2 / ص 709.

التي تخضع لها أجسامهم ليس من تلقاء أنفسهم، بل متحكم فيها من قبل الله سبحانه وتعالى، لأنه هو المتكفل بتقليبهم في الاتجاهين.

يبدو أن قوله سبحانه: **(وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)** تصوير يمكن وصفه بأنه علامة حالية تؤثت المشهد العام، وتجعل الموقف متآلفاً ومنسجماً في عناصره، وذلك أن وضعية الكلب الموصوفة بعلامة (اسم الفاعل) تعطي الانطباع وكأن هذا الحيوان في حال من اليقظة والانتباه، يقوم بمهمة الحراسة الموكلة إليه من قبل الفتية، لأنه حينما يقرأ المتلقي هذه العلامات اللغوية ينتقل الذهن مباشرة إلى تخيل هذه الوضعية وكأنه ينظر إليها مباشرة.

وبذلك ترسم الأحوال مجتمعة: (اليقظة) و(الرقاد) و(حركة التقلب يمينا وشمالا) و(الكلب الباسط ذراعيه) مشهدا يبعث على استشعار التوجس والخوف، بل الرعب والفرار لمن أتاحت له فرصة متابعة تفاصيل المقام. ولذلك قال عز وجل بعد ذلك: **﴿لَوْ اَطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّئْتُ مِنْهُمْ رُعبًا﴾**<sup>(1)</sup>.

تنبئ هذه الآية الكريمة بحال غاية في الرهبة والرعب تحيط بأهل الكهف وهم في رقدة طويلة عجيبة، وتخبر أنه لو أتيح لأحد مشاهدة حالهم لخاف وفر لقوة الأسباب المحيطة بالموقف والتي تثير التهيب والهلع في النفس، فلا يمكن أن يتحقق حدث (الفرار) وحدث (الرعب) إلا بالمشاهدة الحقيقية لحال الفتية، وما يزيد علامة الحال في هذا السياق قوة في الدلالة على الموقف الملابس لأمر الفتية هو ورود الحديثين معا (الفرار) و(الرعب)، لأنه كان بإمكان الخطاب الوقوف عند (لوليت منهم فرارا) من دون إضافة (ولمليت منهم رعبا)، وذلك لحكمة معنوية وهي أن الفرار قد يكون نتاج ردة فعل عن حالة نفسية مؤقتة إزاء مشهد مخيف، لكن احتمال التعود على طبيعة هذا المشهد بالعودة إلى معانيته قد يزيل حالة الخوف، ومن ثمة بطلان تكرار حدث الفرار، لكن حينما يُملأ القلب رعبا وفرعا، فإن احتمال الرجوع إلى مشاهدة الحال المسيبة لذلك الرعب لا يمكن توقعها. ولذلك نجد الرعب يرد مقترنا

---

(1) سورة الكهف. الآية: 18.

بالقلوب في القرآن دائما، والقلب عماد الجسد، إذا تأثر يتأثر سائر الجسد، ومن ثمة يستحكم الرعب في سلوك المرء ويسيطر عليه ويمنعه من مواجهة مسبب هذا الرعب ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۗ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾<sup>(1)</sup>؛ ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾<sup>(2)</sup>؛ ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾<sup>(3)</sup>؛ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾<sup>(4)</sup>.

نضيف أن علامة الشرط (لو) زادت في إمعان هول الحال وصعوبة المشهد الذي يمكن أن يكون عليه الفتية، لأن هذه العلامة اللغوية قد أفادت أن احتمال المعاينة غير ممكن إطلاقا، ولم يكن متاحا، وإنما يمكن تصور الموقف، أو افتراض هيئته، وتخيل ملابسات الحال الفعلية بتفاعل نفسي وتمثل ذهني فقط. يقول الإمام البقاعي: "ولما كان هذا مشوقا إلى رؤيتهم، وصل به ما يكف عنه بقوله تعالى: (لو اطلعت عليهم) وهم على تلك الحال (لوليت منهم فرارا) أي حال وقوع بصرك عليهم (ولملت) في أقل وقت بأيسر أمر (منهم رعبا) لما ألبسهم الله من الهيبة، وجعل لهم من الجلالة، وتدبيراً منه لما أراد منهم"<sup>(5)</sup>.

ندعم هذا الافتراض الجازم بعدم إمكانية الاطلاع على حال أصحاب الكهف لهيبة الموقف وجلاله بما نقله الزمخشري: "عن معاوية أنه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس رضى الله عنه: ليس لك ذلك، قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال: ﴿لَوْ اَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ

(1) سورة الحشر. الآية: 2.

(2) سورة آل عمران. الآية: 151.

(3) سورة الأنفال. الآية: 12.

(4) سورة الأحزاب. الآية: 26.

(5) البقاعي. نظم الدرر. ج 12/ ص 30.



فِرَارًا<sup>(1)</sup>. فالقضية إذن، مشروطة بالاطلاع على أجواء الكهف وظروف رقدة أهله، لإدراك حقيقة هذه الحال التي لا يعلمها إلا الله. وهو الأمر الذي لم يقع، ولن يقع بدلالة (لو) التي تصدرت الجملة. وعليه، يكون معنى (لو) شرطية دالة على الامتناع بالدوام، فالتعبير: (لو اطلعت) يضمن أن الاطلاع غير ممكن ليلا يجزع المطلع المفترض من حال الفتية ويفر، وليبقى حالهم الذي كانوا عليه سرا خاصة بهم.

يمكن القول إن في ذلك الرعب والفرار الممتنع إطلاقاً رحمة مزدوجة؛ رحمة بالفتية حتى تبقى حالهم سرا مخصوصاً بهم، ورحمة بالمتوقع رعبهم وفرارهم لعدم قدرة عقولهم على استيعاب قوة المشهد وتحملها. وهكذا، تتكامل المشاهد، وتتألف التفاصيل في نسق جامع ومنسجم من العلامات الحالية من أجل نقل الصورة في هيئتها الجميلة المقنعة بغرض التأثير في المتلقي وحمله على تمثل المعاني في قوتها وعمقها لعله يسترشد بهديها.

### 3- أثر مدة لبث أهل الكهف على حالهم

• يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۗ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾<sup>(2)</sup>.

نسوق هذه الآية استدلالاً على الحال التي كان عليها الفتية إبان استيقاظهم من نومتهم الطويلة، وهي الحال التي يمكن استخلاصها من الحوار الذي دار بين الفتية، وتحديدًا انطلاقاً من جواب المسؤول عن سؤال السائل (كم لبثتم؟). لا شك أن الجيب حينما قال: ((لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)) كان يستند إلى معطيات لاحظها وأحوال شاهدها. معنى ذلك أنه تنبه بعلامات آنية إبان رؤية بعضهم بعضاً، حيث لم يظهر أي تغيير في هيئتهم وهندامهم

(1) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 702.

(2) سورة الكهف. الآية: 19.

ومظاهر أبدانهم الخارجية؛ لأنه في العادة تظهر على الإنسان آثار الزمن وعادياته، خاصة إذا كان بالسنوات؛ إذ يترهل الجلد، ويطول الشعر، وتكثف اللحية، فضلا عن إبلاء الثياب... فلو رأى أحدهم شيئا من ذلك لتفطن لقدر الزمن وفعله. إن "الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها، لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبيل لهم ثوب، ولا تغيرت صفة، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم، ولروي ذلك"<sup>(1)</sup>.

ستظل أحوال الفتية في أبدانهم وأثوابهم ومكانهم سرا خاصا بهم، إلا أن الخطاب أورد علامات يستطيع المتلقي استنباط المغزى من حضورها قصد العبرة والامتثال الشرعي، فعامل الزمن لم يعد له ذلك الأثر البالغ على فيزيولوجية الإنسان في هذه القصة كما هو مألوف في سنة الوجود، والدليل أن تسعا وثلاثمائة سنة اختزلت في يوم أو جزء منه. وعليه، فمشهد الحوار ومقامه ومقاله علامات حالية رسمت في الذهن تصورات عن قدرة الله العجيبة التي تفعل في الخلق ما تشاء وكيف تريد.

#### 4- توظيف الحال والإحالة الإشارية (هذه)

- قال سبحانه وتعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٥٥﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٥٦﴾﴾<sup>(2)</sup>.

نلاحظ أن الآية الكريمة تحفل بعلامات حالية معبرة، تنقل للمخاطب الحدث كأنه يعيشه أمام عينيه ويتمثله بقوة إحياءاته، حيث جاءت العلامات مصوغة في جملتين إسميتين حاليتين: (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) و(وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ)، وفي إحالة إشارية: (هذه).

(1) ابن عطية. تفسير ابن عطية. ج 3/ ص 505.

(2) سورة الكهف. الآية: 34-35.

يبدو ظاهريا أننا قد نفهم الكلام من دون العلامة الأولى (وَهُوَ يُجَاوِرُهُ) ، لأن عبارة (قال لصاحبه) تعني قال له، أي: إنه يحاوره أو بدأ بمحاورته، لأنه عادة لا يكون القول إلا خطابا لمتلق. لكن الخطاب أبي إلا أن يدقق في خصوصية المعنى، فأورد هذا المقال لبيان أن هناك مراجعة في الكلام، وتبادلا لوجهات النظر في المكان والزمان نفسه، وليس هناك قائل واحد وسامع واحد، بل هما في حال تحاور وتحاجج، والدليل أن العبارة نفسها سترد بعد ذلك حينما تعلق الأمر برد صاحبه المؤمن. وكأن هذه الحال في هذا المقام تشير إلى أن الكافر يقول كلامه المليء بالغرور والافتخار والتحدي قصد سماع الجواب من صاحبه، وتأتي العلامة الثانية (وهو ظالم لنفسه) المشفوعة بينيتها الاسمية وعلامة اسم الفاعل (ظالم) لتنبأ على أن الدخول إلى الجنة يوحى بصفات ملازمة ومستمرة في سلوك الكافر ومعتقده، ولتنقل معاني التأكيد والإصرار المتعالي على العُجب والكفر والشرك، خاصة أن الظلم ارتبط بالشرك بشهادة القرآن ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(1)</sup>.

ستترجم هذه المعاني العلامة الثالثة (هذه) التي تحمل إشارة واضحة للحالة التي عليها الكافر وهو يهيم بالدخول إلى جنته. قال المفسرون: أخذ بيد أخيه المسلم، فأدخله جنته يطوف به فيها، ويريه عجائبها<sup>(2)</sup>، وذلك لأن سياق الحال هو سياق التفاخر والغرور والتباهي، ومن ثمة، فهو يناسب استعراض العبد الكافر لما يملك من زرع ومزج وأثمار أمام الفقير، لذلك كان الدليل على أن الصاحبين في حال دخول إلى الجنة هو الإحالة الإشارية (هذه) التي تعود إلى الجنة التي هما فيها. قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾. الظاهر أن الإشارة تعني ما يمثل أمام ناظري صاحبه من شجر وثمر ونهر، لكنه في الحقيقة استدلال وجودي ومحاججة بواقع مشهود، يحاول من خلاله وضع

(1) سورة الكهف. الآية: 34-35.

(2) الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. ط 1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - 1414 هـ، ج 3/ ص 339.

صاحبه (المؤمن) تحت وطأة الواقع والتجربة ليدفعه للاستسلام والإيمان بوجهة معتقده، ومن أجل أن يغيظه بكفره المتشعب بهوس الغنى الدائم، ويتحداه بعدم زوال ما هو مبثوث في أرضه.

ولئن كانت علامات التحاور والإحالة الإشارية تنقل معاني قوة اللحظة في الحجاج والاستدلال بدليل أن الحوار موضوعه يتمحور حول ما يشاهدانه من نعم الجنة، فإن عمق هذه الإيحاءات يدعمه فعل الرؤية الذي أتى بعد ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾<sup>(1)</sup>، وذلك حينما لاحظ العبد المؤمن أن منطقته في التفكير قاصر على الإقناع، فعمد إلى بيان عناصر القوة في معتقد التوحيد، بغرض نسف كل الحجج الباطلة حتى وإن كانت واقعية حالية. ومن ثم وعظه وحذره من غروره واعتزازه بمملكته، فكان جوابه يتضمن فعل الرؤية البصرية: وهو احتمال وارد<sup>(2)</sup>، ليستدل بحاله على ما به من فقر وعوز، وليؤكد له أن الله قادر على قلب الموازين فتصير أحواله وأحوال صاحبه عكس ما هي عليه الآن. وكأنه يقول له: "أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى، فيرزقني لإيماني جنة ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّاتِكَ﴾ ويسلبك لكفرتك نعمته ويحزب بستانك"<sup>(3)</sup>.

من هنا، كانت العلامة الحالية منحى قويا في التعبير عما لا يستطيع غيرها التعبير عنه بدقة، فهي تغني عن كثير من اللفظ لأنها تدل بحالها، فحينما يشير -مثلا- باسم الإشارة (هذه) إلى الجنة فإن المتلقي يجمع كثيرا من

---

(1) سورة الكهف. الآية: 39.

(2) لأن الرؤية قد تحمل وجهين إما أن تكون علمية أو بصرية، يقول أبو السعود: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ أنا إما مؤكّد لياء المتكلم أو ضمير فضّل بين مفعولي الرؤية إن جعلت عملية وأقلّ ثانيهما وحال إن جعلت بصرية (أبو السعود، محمد بن مصطفى. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج 5 / ص 223). ينظر كذلك: ابن عادل، أبو حفص سراج الدين. اللباب في علوم الكتاب. ط 1، عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1419 هـ - 1998م، ج 12 / ص 493.

(3) الرزخشري. الكشف. ج 2 / ص 723.

التفاصيل لاستحضار مشهد التماور والشكل المتوقع للجنة التي دخلا إليها، وحينما يحضر فعل الرؤية البصرية خاصة، فإن ذهن القارئ يركز على الحال المشاهدة لاستيعاب الموقف وتمثله، ومن ثمة القبض على المعنى وتحصيل المقصود.

• في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾<sup>(1)</sup>.

يحمل توظيف اسم الإشارة: (هذا) على العلامة الحالية، أي الحال المشاهدة والمشار إليها، فهي تلخص ما يمكن أن يشاهده المرء عند الإحالة عليه. والسياق هنا يتقصد النتيجة النهائية التي أنجزها ذو القرنين بتسخير من الله. لكنها ليست إشارة عادية تخبر عن شيء مشار إليه، بل يحمل التعبير في هذا المقام دلالات قوية، منها أن هذا الردم المنجز فيه من العظمة ما ينبئ عن عظمة من سخره، وأن هذا البناء الهائل والنعمة الخارقة لم تكن لتتحقق لولا رحمة الله بعباده المستضعفين. ولذلك لما أنهى ذو القرنين مهمة بناء السد، وحاجز الصد، أضاف الفضل إلى ميسره، وقال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾، كأنه يعترف لهم أن هذا الردم المتين، والسد العظيم الذي حال بينكم وبين يأجوج ومأجوج، وما ينظرون إليه من عمل جبار، وما يحسون به إزائه من ارتياح وطمأنينة وشعور آمن هو من نعم الله عليه وعليهم. لهذا كانت الإحالة الإشارية مستودعا لمعان جمّة، منها أنها بيان واضح لفضل الله وإحسانه على المستضعفين، وإحالة على عظمة الله التي تجسدت في ذلك العمل العظيم الذي أنجزه ملك عظيم (ذو القرنين) وسمح لأهله بالقطع مع جيروت المتجبرين.

---

(1) سورة الكهف. الآية: 98.

## 5- حركة تقليب الكفين

- في قوله تعالى: ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾<sup>(1)</sup>.

رصدت لنا هذه الآية الكريمة حالة نفسية يملؤها الندم والتحسر من خلال علامتين حالتين يمكن معابنتهما أو تمثل مشاهدتهما: وصف دال ومقتضب ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ وجملة حالية ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

يبدو أن العلامتين متكاملتان، إذ الأولى نتيجة للثانية. ولا شك أن وظيفة هاتين العلامتين هي نقل الحالة النفسية واللحظية التي سيطرت على الكافر المعاند، ونقل وقع الوطأة التي اشتدت عليه وهو يرى جنته وثمرها أضحيا هباء منثورا. إن الإنسان حينما يخسر ما كان يتمتع به أو يضيع منه شيء عزيز أو يغيب عنه تجثم عليه مشاعر الندم والشماتة والضياع، ثم ما يفتأ أن يأخذ في تقليب كفيه ظهرا لبطن، ويشرع في ضرب إحدى يديه على الأخرى. فترسم هذه الحركة الجسدية الحالة النفسية التي يكون عليها المتحسر من جراء ما فقده. وهي حال تنوب عن كثير من الكلام الذي قد لا يفهم بما يعتدل في النفس من أسى. من هنا كان مشهد "تقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر، لأنّ النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم على ما أنفقَ فيها أي أنفق في عمارتها<sup>(2)</sup>.

لقد أسهم تصوير هذه الحال عبر حركة جسدية موحية في إبراز مشاعر الاندهاش والحسرة والندم التي تكون قد انتابت صاحب الجنتين. و"ما أروع التصوير الفني في هذا المشهد الحزين، وتلك النهاية الطبيعية للأشعار، إنه

(1) سورة الكهف. الآية: 42.

(2) ينظر: الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 724.

يقلب كفيه - كناية عن الندم والحسرة على ما صدر منه، ويسدل الستار على هذا المنظر الرائع وهو منظر الندم والألم والحسرة"<sup>(1)</sup>. وللقارئ المتفطن أن يتصور حجم الفداحة وقوة الانتكاسة التي تلحق من كان يتلذذ بالغنى الفاحش وينتعش بالمال الوفير وينعم في مجبوحة العيش، ثم تنقلب كل هذه النعم والإمكانات إلى فقر وعوز وحاجة، فليس له إلا أن يقلب الكفين ويعض على النواجذ.

## 6- حدث قتل الغلام

• يقول عز وجل: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِنَفْسِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾<sup>(2)</sup>.

يتضمن سياق هذه الآية علامة حالية ينقل معالمها التعبير اللغوي الذي صور حدث قتل الغلام كما يصرح بذلك أسلوب الآية الكريمة، وهي علامة على حال مخصوصة في ظل السياق الذي يأويها، وذلك أن رد فعل موسى عليه السلام إزاء فعل القتل كان تصرفا طبيعيا وتفاعلا بشريا متوقعا، في حين كان سلوك الخضر عليه السلام في ظاهره سيئا، لكنه في عمقه مدبرٌ بحكمة إلهية ومشئبة ربانية ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

لذا، لما غاب عن موسى ما وراء الظاهر في الحدث استنكره وحكم عليه بالعمل النكر. يقول الإمام الشعراوي: "إن أحدا منا لم يؤت من العلم ما يجعله يعرف ما هو خير وما هو شر، والأحداث تقع أمامنا بظاهريتها فقط، ولكن قد يكون الشيء الذي نحسبه خيرا هو شر كبير، والشيء الذي نحسبه شرا يكون خيرا وخيرا عميما"<sup>(3)</sup>.

(1) عبد المرزي، زكريا. الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني. ط 1، مكتبة زهراء الشرق. 1997، ص 22.

(2) سورة الكهف. الآية: 74.

(3) الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 11.

يروى الإمام البخاري في حديث صحيح أنهما (موسى والخضر) ((...[فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ  
الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَأَقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ  
نَفْسٍ؟...))<sup>(1)</sup>. إن موسى بجبلته البشرية حينما رأى وعين غلاما أو صبيا يُقتل من غير ذنب اقترفه لم يستطع  
الصبر والمقاومة، فنازحته مشاعر الاستنكار لِمَا شاهد، لا سيما أن في شريعته لا تُقتل النفس إلا بالقصاص  
﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي بغير حق قصاص، لكونها على الفطرة الأولى من غير أن تَدنس بخطيئة  
توجب القتل<sup>(2)</sup>.

نعتمد أن هذا الموقف العجيب والحدث الرهيب الذي نقلت الآية أحواله يدعو إلى التأمل والتدبر لما في  
علاماته من معان مفيدة ومهمة؛ ومضمون ذلك أن مشيئة الله متفردة في مجريات الأحداث ومآلاتها، وليس  
للإنسان أي سلطة في الحكم على ظاهر الأشياء أو باطنها ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَعَسَى  
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>، ولهذا العلة حضرت هذه العلامة بأحوالها لتمد  
القارئ بمشهد وحدث قد تستنكره الفطرة الإنسانية (المثلة في موسى عليه السلام) لما فيه من رعب وفضع، لكن  
المثير للإعجاب فيه أنه حدث فيه الرحمة والخير - سيظهر بعد تأويل الخضر - لأناس أكثر مما فيه من الشر.  
ولذلك فإن اختلاف حال المخاطب والمخاطب في العلم بسياق الموقف جعل حكمهما على الفعل يختلف بناء  
على الخلفية المعرفية التي ينطلق منها كل واحد منهما، من حيث إن موسى عليه السلام تَوَطَّره الطبيعة البشرية  
المحدودة علما، والخضر توجهه حكمة الله الواسعة علما وخيرا.

(1) رواه البخاري صحيح البخاري. كتاب العلم. باب ما يستحب للعلم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله. رقم: (122).

(2) البقاعي. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج 12/ص 113.

(3) سورة البقرة. الآية: 216.



## 7- حالا غروب الشمس وطلوعها على القومين

• يقول عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾<sup>(1)</sup>.

ترصد الآية أعلاه مشهدا وجوديا غاية في الجمال والدقة، وتصف لحظة زمنية كأن القارئ يعيش تفاصيلها. يقوله سبحانه: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، أي وجد الشمس -بوصفها علامة زمنية تحيل على مكان قريب من أفق الغروب- على وشك الغياب عن خط التماس بين السماء والبحر. إنه وصف فاتن لحال يشهدها الرائي وقت المغرب، حيث ترى العينُ الشمسَ تغرب في مياه البحر المتوهجة بأشعة الشمس البرتقالية، فتصفها كما تعابنها؛ معنى ذلك أن مجال الرؤية على الساحل في حدوده البشرية يلتقط الشمس في هيئة عين حمراء وهي تنزل في البحر أثناء الغروب. لكن الحقيقة الوجودية ليست كما يبدو ظاهريا للعين، لأن الشمس لحظة الغروب تكون ما تزال في مستوى الأبعد بالنسبة للرائي، ولا علاقة لها بالماء نزولا وطلوعا.

يقول الراجعي في هذا الصدد: "لفظة (وَجَدَهَا) هنا سر الإعجاز فإن الآية لا تقرر حقيقة مغرب الشمس حتى يقال إنها خالفت العلم، إذ الشمس أكبر من الأرض بمليون مرة"<sup>(2)</sup>. ثم يضيف: "وإنما تصف الآية حالة قائمة بشخص معين، فذو القرنين وجد الشمس كذلك، أي في نظره كما يقول القائل: (نظرت إلى السماء فوجدت الكواكب كل نجم كالشرارة). فهذا صحيح في وجدانه هو لا في الحقيقة"<sup>(3)</sup>.

إن غروب الشمس بالنسبة للرائي في صحراء مستوية أو في يابسة مسطحة لا يعني دخولها في الأرض بمقياس العين البشرية المجردة، وإنما الأبعاد الفلكية هي التي تحكم دواليب هذه الحركة بين الأرض والشمس. والسؤال الذي

(1) سورة الكهف. الآية: 86.

(2) الراجعي، مصطفى صادق. رسائل الراجعي. الدار العمر. ص 262.

(3) المرجع نفسه. ص 262.

ينبغي طرحه هو: لم عبر القرآن بهذا المشهد الساحر ثم عطف عليه بوجود قوم عند مغرب الشمس؟

يبدو أن الدلالة القرآنية تصور عبر جمال المعنى وقوة الدلالة القائمين في المشهد المعين نموذجاً من الأقطار الغربية التي مر بها ذو القرنين وهو يجوب مشارق الأرض ومغاربها بعد ما مكنه الله من أسباب بدليل قوله: (ووجد عندها قوماً)، لأن المعنى بدعوة الله المتمثلة في ذي القرنين هم الأقوام والأمم المنتشرة في الأرض، وما هؤلاء القاطنون في مغرب الشمس بأحوالهم وأعراضهم وثقافتهم إلا نموذج للشعوب المستخلفة في مشارق الأرض ومغاربها، إذ ليس أحوالهم وألوانهم وأجناسهم وأعرافهم هي المقصودة لذاتها، وإنما تقواهم لله وصلاحهم في الأرض هو الغاية. والدليل على ذلك ما جاء على لسان ذي القرنين تجاه قوم مغرب الشمس: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾<sup>(1)</sup>.

ستخبرنا الدلالة الزمنية لعلامة الشمس (مطلع الشمس) مرة أخرى أن ذا القرنين وصل إلى قطر قصي آخر من أقطار الأرض تطلع فيه الشمس على قوم لا يحجب أشعتها عنهم حجاب ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾<sup>(2)</sup>. وللسامع أن يتأمل حال نموذج آخر لقوم لم يجعل الله لهم ستراً من دون الشمس حتى في وقت طلوعها. لقد حاول بعض أهل التفسير من علمائنا شرح هذه الحال الموصوفة، فقال الطبري "وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب"<sup>(3)</sup> وقال الزمخشري: "مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون

(1) سورة الكهف. الآيتان: 87-88.

(2) سورة الكهف. الآية: 90.

(3) الطبري. جامع البيان. ج 18/ ص 99.

والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف"<sup>(1)</sup>، وقال ابن عاشور "لا يستترهم من حرها، أي لا جبل فيها يستظلون بظله ولا شجر فيها، فهي أرض مكشوفة للشمس، ويجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا قوما عراة فكانوا يتقون شعاع الشمس في الكهوف أو في أسراب يتخذونها في التراب. فالمراد بالستر ما يستر الجسد"<sup>(2)</sup>.

يتبين من خلال هذه الآراء التي استرفدنا ومن خلال سياق ورود أن الخطاب القرآني استعمل علامات وجودية (مطلع الشمس) وحالية (لم نجد لهم من دوتها سترًا) لينقل إلينا معطيات نسبية عن أحوال هؤلاء القوم ومكانهم المفترض، لبيان سنة الله في الاختلاف بين الشعوب والقبائل، الاختلاف الذي يتجسد في الأحوال والأماكن وأنماط العيش والعادات والطبائع والثقافات، وهي إشارة أخرى إلى أن دعوة التوحيد التي يعمل ذو القرنين على نشر مبادئها قد وصلت إلى مكان آخر (إلى قوم آخرين) من دون تمييز بين الأقسام إلا على أساس التقوى والعمل الصالح. ولذلك خلص ابن عاشور في نهاية تحليله لهذه الآية الكريمة بقوله: "وفي هذه الحالة عبرة من اختلاف الأمم في الطبائع والعوائد وسيرتهم على نحو مناخهم"، عبرة اختار القرآن أن تكون أحوال قوم مغرب الشمس وقوم مطلعها وقوم بين السدين نماذج للاستلهام والاعتبار من دعوة ذي القرنين.

---

(1) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 746.

(2) التحرير والتنوير. ابن عاشور. ج 16/ ص 28.

# المبحث الثاني

تجليات الدلالة الإيجابية للعلامة الوجودية

## 1- تمهيد

يحقّق الإنسان اندماجه في الوجود انطلاقاً من توظيفه نعمة الحواس، حيث يستخدمها في اكتشاف العالم وفهمه، واستيعاب أحواله وقوانينه حتى يتمكن من الوصول إلى درجة من المعرفة تسعفه في تفسير الظواهر الوجودية، وتحليل العلامات الكونية. ولذا يكون المدخل الحسي عاملاً مهماً في اكتساب الوعي بالوجود، وتوجيه العقل إزاء إدراك الأشياء، والاهتداء بالعلامات وفهم الإشارات..

يخلف الخطاب القرآني بكثير من العلامات الوجودية التي ذكرت في سياقات مختلفة، وبمفاهيم متنوعة، فمنها ما هو ذاتي (له ذات محسوسة)، نراه بالعين المجردة مثل: (السماء والأرض والنجوم والبحار والجبال والأشجار والإبل...)، ومنها ما هو معنوي (غير محسوس) مثل مفاهيم: (الزمن / الوقت، العقل، الدعاء، السلام، الإسلام، الإيمان، الإحسان... الخ)، ذلك كله وغيره كثير علامات وجودية كونية وردت في القرآن في سياقات متعددة.

تتميز العلامة الوجودية عن غيرها من العلامات بميزتين أساسيتين:

- الاستمرارية والدوام في جميع المخلوقات والكائنات الوجودية.

- أي خرق أو اختلال في نظامها ينتج عنه اختلال في نظام الكون كله.

معنى ذلك أن العلامة الوجودية تتحقق على مستوى النظام الذي يحكم نشأة الخلق في الوجود، ويحكم نموه وتكاثره واستمراره في الكون والحياة.

نستعرض أبرز العلامات الوجودية التي تجلت في سورة الكهف على النحو الآتي:

## 2- علامة الأصل والفرع للأشياء في الوجود

### 1-2 - أطوار الخلق الإنساني

تعد قاعدة الأصل والفرع علامة وجودية قوية الدلالة في القانون الكوني المنظم للوجود، وذلك أن لكل شيء أصلاً تفرع منه، والفرع تنشأ عنه فروع /فرع ويستمر النسل وإنتاج الفروع وتستمر الحياة "فما من مخلوق (إنسانٍ أو نباتٍ أو حيوانٍ) مما يقبل التوالد والتطور والاستمرار في الزمان والمكان إلا ويخضع لهذه القاعدة"<sup>(1)</sup>. الشاهد عندنا لهذه العلامة ما ورد في سورة الكهف من مراحل الخلق الإنساني التي ذكّر بها العبد المؤمن صاحبه الكافر. قال الله تعالى: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾<sup>(2)</sup>.

تعد عناية القرآن واهتمامه الكبير بقضية أصل الخلق الإنساني من المسائل التي تثير الوعي، وتدفع إلى البحث عن سر هذا الاهتمام، لأنها من الآيات العظيمة في الوجود، فقد وردت في عدد من السور على مدار القرآن كله، إذ ما فتئت الآيات القرآنية تذكّر بأطوار الخلق الإنساني بدءاً من آدم ثم من بعده في سياقات مختلفة وبمفردات مختلفة ومتنوعة، مما يترجم عمق هذه العلامة وقوتها في الاستدلال والبيان.

نستعرض في الجدول الآتي السور والآيات التي ذكر فيها القرآن مراحل خلق الإنسان في علاقته بالأصل الأول ثم الفرع/الأصل الثاني بمختلف الصيغ التي عبرت عن ذلك.

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. المنطق الوجودي للنحو العربي وتمثلاته على مستوى القواعد. (مقال قيد الطبع).

(2) سورة الكهف. الآية: 37.

جدول رقم (11): الآيات التي ورد فيها أصل خلق الإنسان ومما خلق

مادة الأصل الثاني لخلق الإنسان			مادة الأصل الأول لخلق الإنسان		
الآية	السورة	مادة الأصل الثاني لخلق الإنسان	الآية	السورة	مادة الأصل الأول لخلق الإنسان
4	النحل	النطفة	59	آل عمران	التراب
37	الكهف		37	الكهف	
5	الحج		5	الحج	
14 - 13	المؤمنون		20	الروم	
11	فاطر		11	فاطر	
77	يس		67	غافر	
67	غافر		2	الأنعام	الطين
46	النجم		12	الأعراف	
37	القيامة		12	المؤمنون	
2	الإنسان		7	السجدة	
19	عبس	11	الصفات		
6	الطارق	76 - 71	ص		
		33	الذاريات	الصلصال	
		33 - 27 - 26	الحجر		
			14	الرحمن	الحمأ
			33 - 27 - 26	الحجر	
20	المرسلات	ماء مهين	61	هود	الأرض
			55	النجم	
			32	طه	
			17	نوح	

من خلال معطيات الجدول يتبين أن مفردة (التراب) في علاقتها بخلق الإنسان وردت ست (6) مرات في القرآن الكريم، ومفردة (الطين) ثمان (8) مرات، ومفردة (الصلصال) أربع (4) مرات، ومفردة (الحمأ) ثلاث (3) مرات، ومفردة (الأرض) أربع (4) مرات؛ أي: ما مجموعه خمسا وعشرين (25) مرة، في حين وردت مفردة (النطفة) في علاقتها بهذا الخلق اثنتا عشرة (12) مرة، وعبارة (ماء دافق) مرة واحدة، و(ماء مهين) مرة واحدة؛ أي: ما مجموعه أربع عشرة (14) مرة.

نستخلص من هذه الإحصائيات أن الخطاب القرآني استخدم علامات الخلق الإنساني وأطواره بمفردات لسانية متنوعة وفي آيات مختلفة، نظرا لوظيفتها الاستدلالية وقوتها في الدلالة على الخالق، وعمقها في البيان والإيضاح، لأن لهذه العلامات علاقة مباشرة بالإنسان نفسه، فهي تنطلق منه وتتجه إليه. تنطلق منه بوصفه موضوعا للخلق، وتتجه إليه بوصفه مأمورا من الخالق.

بالعودة إلى الآية التي نحن بصدد دراستها، يتبين أن القرآن يُدكّر فيها بأصل الخلق الإنساني، فالإحالة بـ(التراب) تعود إلى آدم عليه السلام بوصفه الإنسان الأول الذي خُلق من تراب ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾<sup>(1)</sup>، ثم زُرعت فيه الروح فأضحى النفس الإنسانية الأولى التي تفرع عنها كثير من النساء والرجال، قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾<sup>(2)</sup>.

(1) سورة ص. الآية: 71.

(2) سورة النساء. الآية: 1.



يلفت العبد المؤمن، ههنا في سياق الآية، انتباه العبد الكافر إلى خطوات الخلق الإنساني، مذكرا إياه في البداية بأصله الوجودي (آدم عليه السلام) حيث "قال: خلقتك من تراب أي: جعل أصل خلقتك من تراب حيث خلق أباك آدم منه، وهو أصلك، وأصل البشر فلكل فرد حظ من ذلك"<sup>(1)</sup>، ثم بعدها تأتي مرحلة التفرع والتوالد عن طريق الأمشاج، فتستمر سلسلة التفرع بين الذكورة والأنوثة إلى أجل مسمى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾<sup>(2)</sup>.

كان لجوء العبد المؤمن إلى لفت الانتباه بهذه العلامات من أجل أن يدفع صاحبه إلى أعمال العقل في هذا القانون الوجودي الذي يحكم سيرورة الخلق في جميع الكائنات، ويضمن استمرارها وتواجدها في الزمان والمكان. إنه في حقيقة الأمر يسوق استدلالا عقليا وجوديا، لعله يقنع صاحبه بالحجة المنطقية والدليل القاطع، فدعاه إلى التبصر في الوجود الإنساني من حيث النشأة الأولى، لأن أولى الحجج إقناعا هي إثبات أصل الإنسان الأول (التراب/الطين) ثم الأصل الثاني (النطفة) وما ينتج عن ذلك من فروع.

إن (التراب) و(النطفة) و(الرجل/ المرأة = الإنسان) علامات إيحائية تختزل مسار وجود النوع البشري الذي بدأ منذ آدم وما زال ساريا وسيبقى مستمرا إلى يوم معلوم. إنها قاعدة وجودية يسري قانونها على جميع الكائنات الحية الماثلة في الوجود. وحتى إن اختلفت الأصول بين أنواع الكائنات من حيث النوع والطبيعة والوظيفة إلا أنها تخضع للقاعدة نفسها: الأصل أولا ثم بعده الفروع. وهي سنة الله في كل المخلوقات الوجودية، سنة تسمح للفروع أن تخرج من الأصول، لكن هذا الخروج لن يعطي للفروع استقلاليته الوراثة التامة، فلا بد للفروع أن يحمل من الصفات

(1) محمد بن عبد الله الشوكاني. فتح القدير. ج 3/ ص 339.

(2) سورة فاطر. الآية: 11.

الوراثية ما يكشف عن أصله ومصدره. ولهذا، فإن استمرارية الوجود رهينة بتلازم الفروع والأصول في الوجود، تخرج الفروع من الأصول، وتتحول الفروع بدورها إلى أصول تتفرع عنها فروع أخرى، فلا وجود لشيء يبدأ من الصفر أو ينحدر من لا شيء، وهكذا يحدث التطور في الكون والاستمرارية في الوجود. ولذلك، أورد الخطاب هذه العلامات في هذا الموضوع لقوتها في الحجاج، وعمقها في الاستدلال، وفعاليتها في البيان ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَجِيرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

ولا يشكل هذا النموذج الحوارية بين الصاحبين الداعي إلى تأمل أطوار الخلق الإنساني في الوجود إلا علامة للاعتبار ونموذجا للامتثال للناس كلهم المخاطبين برسالة القرآن، ودعوتهم إلى التدبر والتفكير في علامات الوجود عامة وعلامة الخلق الإنساني خاصة، لأنه يعد نموذجا لباقي المخلوقات للاستدلال بها على وجود الله، والاهتداء إلى صدقية دين الإسلام ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾<sup>(2)</sup>.

## 2-2- تكامل التذكير والتأنيث من حيث الأصالة والفرعية

من العلامات التي لها ارتباط وثيق بقاعدة الأصل والفرع في الوجود نجد ثنائية: التذكير والتأنيث؛ "فالتأنيث هو فرع التذكير ومن أجل ذلك احتاج إلى علامة"<sup>(3)</sup>. ولئن كانت للمؤنث علاماته المميّزة له عن المذكر، فإن البنية الصرفية الخاصة (الصيغة) تعد إحدى هذه العلامات التي بها يمتاز عن المذكر.

(1) سورة الحج. الآية: 5.

(2) سورة فاطر. الآية: 11.

(3) ينظر: السيوطي، جلال الدين. مع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوفيقية، مصر. ج 3/ ص 329.

نستشهد لهذا الصنف من العلامات بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ﴾<sup>(1)</sup>. نلاحظ، في ظل سياق الآية، عدولا عن التوافق بين الفعل والفاعل في التصريف، حيث يمكن أن يتوقع القارئ الكلام على نحو: (فئة تنصره)، لكن المقصد القرآني عدل بـ(الفعل) إلى صيغة الجمع المذكور لاستمداد معاني القوة والاستطاعة التي يتطلبها أفق النصر، لأن المقام يقتضي بيان مقومات التحدي وتوفر أسبابه التي لن تُحقق النصر لأصحابها مهما بلغت في سلم القوة من أقصى الدرجات. لذلك، تجنب السياق علامة التأنيث لما فيها من إيجاء إلى المرونة والضعف واللطافة، وكل ذلك مستوحى من قانون الوجود، من حيث إن الأصل يكون أقوى من الفرع من عدة جوانب، منها أن الأصل يكون في كامل النضج والاكتمال والقوة التي تؤهله ليتولد عنه الفرع، والفرع يكون في غاية الصغر والفتوة والضعف، بدليل أنه يحتاج إلى الرعاية ومقومات التطور حتى يصل إلى النضج، ومنها أن فيزيولوجية الذكور تكون أكثر قوة من فيزيولوجية الإناث في جميع الكائنات الحية، وتلك حكمة الله في الخلق ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(2)</sup>.

وحيثما نتفقد سياقاً قرآنياً آخر نجد عدولا من التذكير إلى التأنيث في لفظ "ويلتنا" في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ۖ مَا فِيهِمْ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾<sup>(3)</sup> حيث لجأ لسان حال المجرمين إلى التوجع عبر لفظ "الويل" عوض "الويل" كما يحصل عادة في مثل هذه المقامات. ولا يخفى أن هذا العدول يحمل من المعنى مما تحيل عليه دلالات الأنوثة بوصفها فرعا عن الذكورة. يقول الشعراوي -رحمة الله عليه- "المعنى الأول للويل: هو الهلاك، وإن أردنا المبالغة في الهلاك نأتي بتاء التأنيث ونقول: (ويلة)، ولذلك عندما نبالغ في وصف عالم نقول: فلان عالم وفلان

(1) الكهف. الآية: 43.

(2) سورة فاطر. الآية: 1.

(3) الكهف. الآية: 43.

علامّ وفلان علامّة" (1)، ثم إن الطبيعة الفيزيولوجية للأنتى وتكوينها يجعلانها أكثر حساسية للخوف والفرع، ومن ثمة النزوع أكثر إلى البكاء والنواح والتوجع، وكأنها عاجزة عن التصدي أو في حال من الضعف يمنعها من مواجهة الشدائد ومجابهة المصائب.

وهكذا، كان استمداد الدلالات الوجودية التي تنطوي عليها ثنائية: التذكير والتأنيث من حيث الأصالة والفرعية لإثراء المعنى وإغناء السياق بقيم دلالية تزيد من قوة التأثير والإقناع، لأنه كلما كان البيان مرتكزا على عمّد الوجود كان أكثر وضوحا وإقناعا. ولهذا، فإن سياقات الوجود تلعب دورا مهما في توجيه معاني العلامات إلى الوجهة التي تؤثر بمحتواها في المتلقي، من حيث إن العلامة نفسها في سياق قد لا تحافظ على دلالاتها في سياق آخر، مما يعطي الانطباع بأن العلامة تكون متعددة في الإيحاء حسب مقامات توظيفها.

### 3- علامة الزوجية / التثنية

تعد علامة التثنية من العلامات الوجودية الواردة بكثافة في سورة الكهف. والتثنية عنصر أساسي في التكوين الوجودي، حيث يستحيل استمرار الوجود من دون هذه العلامة ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (2)، فهي الوساطة بين مبدأ الفردية ومبدأ الجمع؛ إذ لا يمكن المرور من الأول إلى الثاني إلا عبرها. إنها الأساس الضامن للوجود الجماعي للأشياء، والضامن الوجودي لاستمرار الحياة ودوام التكاثر.

نورد في الجدول الآتي إحصاءا للثنائيات التي جاءت في السورة:

(1) الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي. ج 5/ ص 3080. / ينظر كذلك: ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج 15/ ص 338.

(2) سورة الذاريات. الآية: 49.

## جدول رقم (12): يمثل الثنائية وموضعها في السورة

الموضع من السورة	التثنية
﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الآية: 4)	التبشير / الإنذار. المؤمنون / المشركون.
﴿أَيُّ الْحَزِينِ﴾ (الآية: 12)	الحزين.
﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الآية: 14)	السموات / الأرض.
﴿تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا عَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الآية: 17)	اليمن / الشمال
﴿وَتَحْسَبُهُمْ أُنْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ﴾ (الآية: 18)	اليقظة / الرقاد
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (الآية: 28)	الغداة / العشية
﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الآية: 29)	الإيمان / الكفر
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ (الآية: 32)	رجلين
﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ (الآية: 32)	جنتين
﴿فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ﴾ (الآية: 42)	كفيه
قصة صاحب الجنتين	المؤمن الفقير / الكافر الغني
﴿لَمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الآية: 46)	المال / البنون
﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (الآية: 56)	الحق / الباطل
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ﴾ (الآية: 60)	موسى / الفتى
﴿حَتَّىٰ أَتْلُعَ جَمْعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ (الآية: 60)	البحرين
قصة موسى والخضر	موسى / الخضر
﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ (الآية: 80)	الأبوين

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾ (الآية: 82)	الغلامين
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ ۗ﴾ (الآية: 53)	القرنين
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ (الآية: 86)	مغرب الشمس / مطلعها
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ (الآية: 90)	
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ (الآية: 93)	السدين
﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ﴾ (الآية: 94)	يأجوج / مأجوج
﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ (الآية: 96)	الصدفين

يبدو من معطيات الجدول (11) أن السورة تحفل بنسبة مهمة من الثنائيات، مما يجعلها علامة مثيرة للانتباه ومحفة للوعي.

ولئن كان خطاب السورة يعتمد بشكل لافت على هذه العلامة بوصفها علامة وجودية من أجل نقل المضامين وتيسير المقاصد، فلأن الزوجية في الأشياء تسعف في فهم العلاقات التي تربط بين العناصر، وتسمح بإدراك كيفية اشتغال الأحداث والظواهر، فلا يمكن استيعاب المفاهيم والعلاقات والمعاني معزولة مجردة عن تقابلاتها وتبايناتها.

ولما كانت الثنائية علامة أساسية في قواعد الوجود، فإنها كذلك في قواعد اللغة، ولذلك وظفها خطاب سورة الكهف حتى تكون أكثر تيسيرا للمعنى وأعمق في المنطق والإقناع. لأنه لا يمكن إطلاقاً أن يحصل في فهمنا معنى لمغرب الشمس من دون أن نعلم علامة الشمس في مشرقها، ولا يمكن أن نتصور مفهومها للشر من دون وجود

متصور ذهني لمعنى الخير، ولا يمكن أن نستوعب مفهوم الإيمان من دون معنى الكفر، ولا معنى للحياة بغير مفهوم الموت. ولا يمكن أن نتصور معنى لجننتين أو سدين من دون معرفة دلالة الجنة أو السد إفراداً.

انطلاقاً من هذه القناعة، نعتقد أنه لهذه المسوغات الوجودية والدلالية استخدمت هذه السورة المباركة مبدأ الثنائية بكثرة، خاصة في قصة (صاحب الجنتين) التي ارتكزت على ثنائيات متقابلة أو متكاملة أسهمت في نقل المعنى في أحسن صورة من اللفظ، وذلك لغاية الإقناع والاعتبار. نلمس ذلك من خلال علامات التثنية في: (الرجلين) (الجننتين)، (الكفين)، (المؤمن/الكافر)، (الفقير/الغني)، (المال/الولد)، (أكثر/أقل)... حيث وظفت هذه الثنائيات في أسلوب المثل بحمولته البلاغية والحجاجية البديعة من أجل تيسير المضامين في صورتها المحسوسة القريبة من الإدراك.

ارتكزت قصة موسى والخضر على علامة التثنية هي الأخرى، لتكثيف المعاني وتحصيل الدلالة المنشودة، فتشكلت ثنائية (موسى/الفتى) في البداية، ثم لما اختفى الفتى برزت الثنائية المحورية في القصة: (موسى/الخضر) و(المعلم/المتعلم) و(العلم الشاهد/العلم اللدني(الغيبي)) ثم ثنائية (الأبوين) وثنائية (الغلامين). لأنه لم تكن غاية القصة التركيز على شخص موسى أو نبوته في علاقتها بالتعلم والاكْتساب، بقدر ما كان الهدف تقريب الطبيعة الإنسانية في محدودية إمكاناتها العقلية ما لم يمنحها الله مما يحيط به من علم، فلا يمكن أن نستوعب معنى الجهل أو العلم والتعليم أو التعلم في ظل انعدام أحد القطبين، ولا نستطيع تصور العلم الغيبي من دون معرفتنا بالعلم الشاهد. وذلك أن المتلقي حينما يتمثل ثنائية (موسى/الخضر) في ظل السياق يدرك حدود المعرفة البشرية في سلم العلم، ويدرك في الآن نفسه وُسع العلم الإلهي المنقطع النظير.

أضف إلى ذلك ثنائيات قصة ذي القرنين، بدءاً باسمه (القرنين)، ومروراً بمطلع الشمس ومغربها، و(يأجوج ومأجوج) ثم (الصدفين) ف(السدين)؛ إذ يستحضر المتلقي عبر هذه العلامات تصورات معرفية متعلقة بالزمان والمكان والأحداث تمكّن من تمثّل المعاني، واستيعاب المرامي، لأن لها مرجعية ثابتة في الوجود ولمموسة يسهل على الإنسان تمثّلها، مما يجعل دورها ذا قيمة مؤثرة في توجيه مسار المعنى إلى الوجهة الصائبة، وجهة عنوانها تزكية العمل الصالح ومحاربة العمل الفاسد.

إن هذا الاختيار في التعبير لم يكن عبثاً أو ترفاً أسلوبياً، وإنما هو لغاية نحوية ترمي إلى تثبيت المعنى وترسيخ المقصد؛ إذ إن الاعتماد على توظيف الثنائية المتقابلة أو المتماثلة استمدادا من منطق الوجود يسهم في توسع ملكة الفهم، وإيقاظ الإحساس، وتأجيج العاطفة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ \* وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ \* وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحُرُورُ \* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾<sup>(1)</sup>.

#### 4- علامة الحياة والموت

تحضر العلامة الوجودية بشكل مهم في خطاب سورة الكهف إلى جانب غيرها من العلامات الأخرى، وذلك خدمة لمقاصد السياق، واصطفاء لأفضل العلامات أداء للمعنى في موضعه المخصوص، من ذلك علامتا الموت والحياة، حيث تسري ثنائية الحياة والموت على سائر الكائنات التي خلقها الله، فكل مخلوق يمنحه الله شروط الإحياء والإماتة وفق فصيلته ونوعه، فالنبات والحيوان والإنسان كائنات حية تعيش وفق نمط خلقها، لكنها جميعها تتوّل إلى الممات مهما بلغت بها الآماد في العمر ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>(2)</sup>. يستحيل أن يجيد عن هذه

(1) سورة آل فاطر. الآيات: 19- 20- 21.

(2) سورة آل عمران. الآية: 185.



القاعدة أي كائن حي في الوجود، حتى الجماد بوصفه مادة ميتة فإن منه ما يندثر ويتحلل بفعل التفاعلات الكيميائية أو بأثر العوامل البيئية. فلا يمكن تصور الوجود من دون قطبي: الموت والحياة، ولا يمكن أن تستمر الحياة أو تدوم إذا عدت هذه العلامة. فكيف يمكن أن تكون الحياة الطبيعية لو عاشت الكائنات التي تتوالد كلها واستمر الكون ببشره وحيواناته ونباتاته؟ إن النتيجة هي الفوضى والاختلال الوجودي، فمن غير الممكن أن نتصور أو نتوقع توازنا وجوديا في الحياة والطبيعة في ظل ما لا نهاية من المخلوقات المتوالدة من دون ممات.

إن استمرار الحياة رهين بدورة الحياة والموت ﴿مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَ تُؤَفِّكُونَ﴾<sup>(1)</sup>، ودوام الأجناس والأنواع في الوجود يتوقف على موت أفراد منها، وازدياد عدد منها في الوقت نفسه. وبذلك يتحقق التوازن البيئي، وتتواصل الحياة الاعتيادية وتتطور إلى أن يفنى الكون برمته بإذنه تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(2)</sup>.

قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وَإِنَّا جَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا<sup>(3)</sup>. يبدو جليا من خلال هذه الآية الكريمة أنه لا يمكن تمثل معانيها من دون أن يكون قد حصل في وعينا تمثل لثنائية (الموت والحياة) بوصفها علامة وجودية تخضع لها المخلوقات في الوجود، ولذلك استمد الخطاب في الآية منهج الله في الوجود الواقعي المعيش كي يستوحي الإنسان منه العبرة، لأنه منهج صالح للاستلهاج والاعتبار، حتى لا يغتر بدوام الحياة وأفنانها وملذاتها وزينتها، لأن حتمية زوالها وفنائها آتية لا ريب. وهو الأمر الذي تلخصه هذه الصورة التشبيهية الجميلة ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ

(1) سورة الأنعام. الآية: 95.

(2) سورة الرحمن. الآية: 26.

(3) سورة الكهف. الآية: 7 - 8.

الأرضِ بِمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْبَتَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَّتَاهَا  
أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾

يقول القرطبي بخصوص الآية التي نحن بصدد قراءتها: "ما على وجه الأرض، فهو عموم لأنه دال على بارئته" (2)،  
معنى ذلك أن ما جعله الله على الأرض من إنسان وحيوان ونبات ومال وجمال وكل ما تدب فيه الحياة ما هو إلا  
أشياء مؤقتة، لأن كل ذلك مآله الموت والفناء والزوال، فهو زينة محدودة زمانا ومكانا، لأنه متاع غير دائم، بل  
الغاية من وجوده أصلا تقتصر على اختبار الإنسان في العمل.

لقد تنبه ابن عاشور لهذا القانون الوجودي في الأشياء من جهة ثنائية الموت والحياة بقوله في تفسير الآية  
السالفة: "ذلك تذكير بعضهم بقدرته الله تعالى، وخاصة ما كان منها إيجادا للأشياء وأضدادها من حياة الأرض  
وموتها المماثل لحياة الناس وموتهم، والمماثل للحياة المعنوية والموت المعنوي من إيمان وكفر، ونعمة ونقمة، كلها عبر  
لمن يعتبر بالتغير ويأخذ الأهبة إلى الانتقال من حال إلى حال" (3). إن لجوء القرآن الكريم إلى رسم صورة وجودية  
قريبة من أفهام الناس، يلمسون تفاصيلها في ما يعيشون من حياة وموت، هو سبيل موطأ لتثبيت المعنى وتوضيح  
المقصد، وهو أجمل صورة منبهة للمغترين بزيف الحياة، ومنذرة لمن يستبد به هواها.

تجدر الإشارة إلى أنه ليس بالضرورة أن تكون معاني الزوال والجزز في الآية مرتبطة بوقائع يوم القيامة؛ وإنما  
يبقى احتمال الوقوع واردة في الحياة الدنيا أيضا، بل هو واقع ومشهود، والدليل قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي

(1) سورة يونس. الآية: 24.

(2) سورة القرطبي. تفسير القرطبي. ج 20 / ص 354.

(3) ابن عاشور. التحرير والتنوير: ج 15 / ص 256.

الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ<sup>(1)</sup>، فكم من أقوام تمتعوا بزينة ما على الأرض، لكن مصيرهم كان إلى موت وغياب في نهاية المطاف، لأن عامل الموت حكم ماض في الخلق في الحياة الدنيا، وقدّر محتوم يوم البعث حيث يكون الفناء الشامل.

يتجسد كذلك هذا المبدأ الوجودي في قصة صاحب الجنتين، وذلك أن الحياة دبّت في جنة العبد الكافر فآتت أكلها وأثمارها ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا<sup>(2)</sup>، ولكن الكافر لم يعتبر ولم يؤمن بهذه السنة الكونية الوجودية في الخلق والأشياء، بحجة أنه قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا<sup>(3)</sup>، وحينما استحالت الحياة في جنته إلى موت محقق، وانمحت منها معالم الحياة، وأصبحت صعيدا زلقا، استفاق من غفلته وغروره، فتراجع عن قناعته واستسلم لوطأة الندم والتحسر ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا<sup>(4)</sup>.

لا يمكن إطلاقا تمثل مفهوم الحياة عموما، ولا استيعاب قضية الموت أبدا من دون توارد هذه الثنائية في منطق الوجود. والوجود يصرح أن لكل شيء في الحياة بداية ونهاية كيفما كان نوعه وجنسه ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا<sup>(5)</sup>. فنظام الحياة في عمومه يشكل مثلا إيجابيا للإنسان، وعليه أن يسترشد بمنطق هذا النحو الوجودي الذي سُخر لهدايته إلى الطريق المستقيم.

(1) سورة الروم. الآية: 9.

(2) سورة الكهف. الآية: 32.

(3) سورة الكهف. الآية: 35.

(4) سورة الكهف. الآية: 42.

(5) سورة الكهف. الآية: 45.

إن كل زينة جميلة وحسنة على الأرض سيأتي يوم تنمحي فيه نضارتها ومتعتها، بل ويغيب كل شي ويختفي من الوجود. ولكن الوعي بهذه الحقيقة لا يكفي، لأنه وجب الاتعاظ والتفكير بعمق في هذه السنة الوجودية المحتومة، وقد أخبرنا القرآن في أكثر من موضع بأنه يضرب الأمثال لأولي الألباب وللذين يتفكرون ويتأملون.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾<sup>(1)</sup>.

## 5- ذكر السماوات والأرض

ورد لفظ "السما" إفراداً وجمعاً في القرآن كله ثلاثمائة وعشر (310) مرات، منها خمس (5) مرات في سورة الكهف، بينما جاء لفظ "الأرض" مفرداً فقط ثمان وعشرين وأربعمئة (428) مرة، منها ست (6) مرات في سورة الكهف. نستعرض الآيات المعنية بهذا الذكر في سورة الكهف على النحو الآتي:

قال عز وجل: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾<sup>(2)</sup>؛ ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(3)</sup>؛ ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾<sup>(4)</sup>. إن الجامع بين هذه الآيات أنها وظفت مفردتي: (السماوات) و(الأرض) بوصفهما علامتين وجوديتين قويتين الدلالة، وقد ساقهما الخطاب في هذه المقامات استدلالاً عقلياً واضحاً على وحدانية الله في ربوبيته وحجة قاطعة على تفرده بالألوهية. من هنا نفهم أن إبراهيم عليه السلام كان قد اهتدى بها إلى الله، "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

(1) سورة الحشر. الآية: 2.

(2) سورة الكهف. الآية: 14.

(3) سورة الكهف. الآية: 26.

(4) سورة الكهف. الآية: 51.

إن ما يلفت الانتباه هو أن لفظ (السموات) ورد جمعا، وذلك للدلالة على الإطلاق والكثرة والتعظيم من دون حصر التحديد في السماء الدنيا مخصوصة، لأن ذكرها بهذه الصيغة الجمعية يضمن إيجاء إلى ما يعرفه الناس من سماء الدنيا وشمسها وقمرها ونجومها وأنوائها وإلى ما لا يعرفونه مما علا وسما في ملكوت السموات من أقطار وأفلاك وأسرار كونية وغير ذلك من الموجودات العلوية والفوقية على إطلاقها التي يختص بها علم الله. إن ما يدعم هذا الافتراض هو ما جاء في سياق سورة النمل من ورود الصيغتين معا جمعا وإفرادا في قوله سبحانه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (2)، وما ورد أيضا في سورة إبراهيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (3)، فكان الذكر الأول جمعا (السموات) مطلق الدلالة، والذكر الثاني مفردا (السماء) مختصا بالسماء الدنيا (المعروفة) مصدر إنزال الماء.

لهذا كانت السموات علامة وجودية للنظر العقلي والاستدلال على وحدانية الله القادر على خلق السموات والأرض وما بينهما، والمختص بعالم الغيب والشهادة فيهما، ولذلك نفى مشاركة أحد في خلقهما "وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفي مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم في خلقها" (4).

(1) سورة الأنعام، الآيات: 75-79.

(2) سورة النمل. الآية: 60.

(3) سورة إبراهيم. الآية: 32.

(4) الزمخشري. الكشاف. ج 2 / ص 27-27.

من جهة أخرى، تشكل مفردة: (الأرض) في سياق الآيات أعلاه منطلقا وجوديا للتوحيد والاعتقاد الجازم في ربوبية الله، وذلك بوصفها علامة وجودية لصيقة بالإنسان، فيها يحيا وفيها يموت ومنها يقات، ومنها يُبعث يوم القيامة؛ إذ كل ما يدب فيها من كائنات، وما يجري فيها من أنهار ومياه، وما يدرج فيها من حيوانات وحشرات، وكل ما هو ساكن فيها وميت يشكل استلهاما وجوديا للعبارة والتفكير واليقين والاهتداء إلى الحق ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

نشير إلى أن لفظ (السماء) ورد مفردا في الآيتين الآتيتين: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾<sup>(2)</sup>؛ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾<sup>(3)</sup>.

يبدو في ضوء هذا الملحظ أن السماء حينما تكون مصدرا وجوديا لإنزال الماء وما يدخل في حكمه يكون اللفظ بصيغة الإفراد، وذلك لأنها تشكل علامة على حقيقة وجودية ملموسة ومشاهدة، يستطيع المتلقي استيعاب دلالاتها وإدراك المغزى من ورودها، ولهذا وظفها الخطاب القرآني في أسلوب المثل لتقريب مفهوم الحياة العقلي المجرد، وكذلك الأمر في الإشارة اللافتة للعذاب (الحسبان) المنزل من السماء، لأنها تمثل فضاء علويا يصعب على الإنسان المدافعة عما يأتيه منه من قضاء محتم. ومن ثم، فمفردة (السماء) لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما تقريبا للفهم وتيسيرا لإدراك المعنى الخفي غير الملموس.

(1) سورة الذاريات. الآية: 20.

(2) سورة الكهف. الآية: 40.

(3) سورة الكهف. الآية: 45.

يقول سبحانه: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾<sup>(1)</sup>؛ قال الزمخشري: "ممكن له في

الأرض: جعل له مكانا فيها. ونحوه: أرض له"<sup>(2)</sup>. إن ظاهر الآية يومئ إلى الأماكن التي حكمها ذو القرنين على الأرض حينما كان ملكا على أقوامها، بدليل أن لفظ (الأرض) معيّن ومعرّف بعلامة التعريف(ال) التي تفيد التخصيص، وهي أرض ممتدة في الاتساع لأنه طافها مشرقا ومغربا، لكن هذه العلامة (الأرض) في حقيقة أمرها توحى إلى أسباب السلطان ودعائم الجاه والقوة التي سخرها الله لذي القرنين من أجل أن ييسط شريعة التوحيد في الأرض التي أثبتته عليها.

تنهض مفردة (الأرض) إذن، بوظيفة إيجابية مكثفة عميقة الدلالة، فحينما نسمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ

وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(3)</sup>، فإنها تحيل على النقيض مما سبق (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ) من حيث ما

يتجسد فيها من فساد وطغيان وتجبر. إنها بما تومئ إليه من فساد صادر عن يأجوج ومأجوج، وبما تمثله من إصلاح

على يد ذي القرنين تحقق بهذا التقابل تكاملا وانسجاما وجمالا في المعنى، وتشكل صورة متناسقة وفعالة في الإيماء

إلى قوة المعاني، وبذلك تكون علامة وجودية دقيقة ومناسبة في بناء صرح المعنى، وفي ترسيخ مقصود الدلالة وتثبيتته.

أما في سياق تقريب صورة يوم القيامة بما يمثله من أسرار وغيبيات لا تخطر على البال، فقد كانت (الأرض) علامة

من العلامات الوجودية الميسّرة والفعالة في استحضار المشاهد الرهيبة ليوم القيامة، حيث وردت في قوله عز وجل:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾<sup>(4)</sup> بما تحمله من مضمون وجودي

(1) سورة الكهف. الآية: 54.

(2) الزمخشري. الكشاف. ج 2/ ص 6.

(3) سورة الكهف. الآية: 51.

(4) سورة الكهف. الآية: 47.

لملموس، لتكون وسيلة إيضاحية لأحداث يوم البعث، إذ بفضل تمثل صورة الجبال المسيرة المنزوعة من الأرض، وتَصَوُّر مشهد الأرض البارزة "الظاهرة، ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان، أي قد اجتثت ثمارها وقلعت جبالها، وهدم بنيانها، فهي بارزة ظاهرة"<sup>(1)</sup> والجموع البشرية المحشورة يستطيع الإنسان جمع شتات خبراته لاستلهاهم فكرة تقريبية عن هول يوم القيامة.

## 6- دلالات مفردة (البحر)

وردت مفردة (البحر) في كتاب الله إفراداً وتثنية وجمعاً واحداً وأربعين (41) مرة، منها ست (6) مرات في سورة الكهف، أي بنسبة مائوية بلغت حوالي 15%، مما ينبئ عن الأهمية القصوى لهذه العلامة الوجودية في إيضاح المعاني وتثبيتها وترسيخها في هذه السورة الجليلة، وتخصيص البحر بهذه الأهمية في السورة مبعثه أنه من أعظم العلامات الوجودية على كوكب الأرض، فهو يشغل مساحة قدرها حوالي 71-72% من هذا الكوكب الذي استُخْلِيف على بساطه الإنسان، وهو من أكثر المخلوقات احتواءً على الأسرار الكونية، وأكثرها قوة في الدلالة على عظمة الخلق الإلهي، وقد اصطفاهما الخطاب القرآني للتعبير عن كثير من المقاصد الشرعية نظراً لحقيقته المحسوسة.

تختلف دلالات (البحر) في القرآن باختلاف السياقات والمقامات التي يرد فيها، فتارة تجده طوق نجاة لأولياء الله من عدو لاحق أو شر آت، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾<sup>(2)</sup>. وتارة يكون جنداً من جنود الله يُعْرَق في أعماقه من تجبر، ويغمر في ظلماته من تكبر، ﴿وَجَاوَزْنَا

(1) ابن عطية. الجامع لأحكام القرآن. ج 10/ ص 416.

(2) سورة البقرة. الآية 50.



بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(1)</sup>، وتارة يأتي للدلالة على النعمة والخير المسخر للخلق؛ فيكون مصدرا للحم الطري، وموردا للحلي، ومجرى للفلك ومرسى لها ومنبعا لكثير من الفضل والنعمة. قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ حَمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>(2)</sup>﴾، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>(3)</sup>﴾، وتارة أخرى يكوم علامة إعجازية على عظمة الخلق الإلهي، ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ<sup>(4)</sup>﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا<sup>(5)</sup>﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا<sup>(6)</sup>﴾، لأن في ذلك التلاقي حقائق علمية لم تظهر إلا في القرن الماضي، حيث أثبت العلم أنه على الرغم من التقاء البحار في ما بينها، فإنها توجد بينها حواجز مائيّة تحفظ لكل بحر خصائصه البيئية المميزة.

أما الدلالات التي يمكن قراءتها من توظيف هذه العلامة في سورة الكهف في ظل السياقات الواردة فيها

نجمها في:

(1) سورة يونس. الآية: 90.

(2) سورة النحل. الآية: 14.

(3) سورة الجاثية. الآية: 12.

(4) سورة الرحمن. الآيتان: 19 – 20.

(5) سورة النمل: الآية: 61.

(6) سورة الفرقان. الآية: 53.

أ- الدلالة على الإحالة المكانية وصدقية الوعد الذي من أجله سعى موسى إلى الخضر، وذلك في قوله تعالى:

- ﴿لَا أَبْرُحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾<sup>(1)</sup>

- ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾<sup>(2)</sup>

- ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾<sup>(3)</sup>

فكان (البحر) من العلامات الوجودية المصاحبة لموسى عليه السلام في رحلته العلمية، حيث وُظف في هذا السياق للإحالة المكانية، فالموعد الذي أُوحِيَ لموسى به للقاء الخضر كان بـ (مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ)، والروايات في تحديد خريطة هذا المجمع كثيرة، وليس لأي منها ترجيح معتمد، على الرغم من قول ابن عاشور: "مجمع البحرين لا ينبغي أن يختلف في أنه مكان من أرض فلسطين. والأظهر أنه مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية فإنه النهر العظيم الذي يمر بجانب الأرض التي نزل بها موسى - عليه السلام - وقومه"<sup>(4)</sup>، كما أن انسراب الحوت في البحر كان علامة<sup>(5)</sup> على صدقية الوعد الذي تلقاه موسى بانبثاق الخضر من وراء الحجب ومن تمة انطلاق رحمة العلم.

---

(1) سورة الكهف. الآية 60.

(2) سورة الكهف. الآية 61.

(3) سورة الكهف. الآية 63.

(4) ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج 13/ ص 362

(5) روى البخاري في صحيحه في حديث طويل (...فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عِنْدًا بِمَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ، قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ...) (كتاب: تفسير القرآن، باب: إذ قال موسى لفتاه. رقم (4725)).

## ب- الدلالة على أن نعمة البحر مورد رزق وعمل للعباد

قال عز وجل: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾<sup>(1)</sup>، وعمل المساكين في البحر تكون

الغاية منه البحث عن الرزق والقوت لتلبية حاجاتهم الحياتية.

## ج- الدلالة على وحدانية الله ووسع علمه ورحمته

بل إن سعة علم الله ورحمته لا يحدهما بُعد ولا يسيجهما حد. يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ

مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>(2)</sup>، وقال سبحانه وتعالى في

سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>، وما وظيفة البحر في هذا المقام إلا تقريب المعنى وتحسينه في قالب تشخيصي ملموس حتى

يتمكن المتلقي من استيعابه.

---

(1) سورة الكهف. الآية 79.

(2) سورة الكهف. الآية 109.

(3) سورة لقمان. الآية: 27.

# المبحث الثالث

تمظهرات العلامة السيميائية في سورة الكهف

## 1- تمهيد

تعد العلامة السيميائية بمثابة المعنى الخفي للمعنى الظاهر، أي هي المعنى الناشئ عن المعنى الأول انطلاقاً من معطيات لغوية وسياقية ووجودية، حيث يصبح الدال مجرد علامة لمدلول سيميائي يتحصل من وراء الدلالة المباشرة، ويستنبط من معاني سابقة عليه؛ أي: من الفهم الأولي. إنها الدلالة الضمنية التي تستلزم أعمال التفكير والتأمل والاستقراء، لأنها تتسم بسمة الخفاء والتميز، وليست في متناول الجميع، وتقتضي فضلاً عن ذلك، امتلاك ما يكفي من المعرفة المحيطة بمعهود التخاطب وسياقات الفهم، وعادة ما تكون هذه العلامة متعددة الدلالة بحسب السياقات التي ترد فيها، لأن السياق ضابط حاسم في تأويلها، ولأنها تكون خادمة للمعاني والمقاصد التي يعالجها الخطاب.

نستعرض في ما يأتي بعضاً من العلامات السيميائية ومحدداتها التي استنبطناها من سورة الكهف.

## 2- العلامة الأولى: إثبات عقيدة التوحيد

إن قطب الرحي الذي تدور عليه معاني القرآن المكّي هو معالجة قضية العقيدة وتصحيحها بما يسدّد للناس منهج حياتهم. وسورة الكهف واحدة من السور المكّية التي تُعنى بهذا المنحى؛ فهي تضطلع بتصحيح عقائد الشرك، وتثبيت عقيدة التوحيد. وقد تبين، باستقراء مدار السورة، أن إثبات عقيدة التوحيد ونبذ الشرك مضمون جوهرى وأساسى في خطابها، فالإيمان بعقيدة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشريك والولي والولد علامات طاغية في كل القصص التي وردت بالسورة، فضلاً عن حضورها في مستهل السورة ومختتمها؛ إذ وردت هذه المعاني في:

- بداية السورة: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾<sup>(1)</sup>.

- ختام السورة: ﴿أَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(2)</sup>.

- قصة أهل الكهف: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۗ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>(3)</sup>.

- قصة الجنتين: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾<sup>(4)</sup>.

- قصة إبليس: ﴿أَفْتَنَّاخِدُونَهُ وَاذْرِيتهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾<sup>(5)</sup>؛ وبعدها ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ شُرَكَائِي الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾<sup>(6)</sup>.

- قصة موسى والخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾<sup>(7)</sup>.

- قصة ذي القرنين: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾<sup>(8)</sup>.

إن تأملا بسيطا في هذا المسرد السالف يفضي بسهولة إلى استنتاج أن قضية التوحيد علامة تكاد تكون هي

الأسمى والأعلى في مقاصد السورة، بل في القرآن كله، وذلك أن تأكيد السورة على تصحيح العقيدة وتذكيرها

---

(1) سورة الكهف. الآية: 4.

(2) سورة الكهف. الآية: 110.

(3) سورة الكهف. الآية: 15.

(4) سورة الكهف. الآية: 38.

(5) سورة الكهف. الآية: 51.

(6) سورة الكهف. الآية: 52.

(7) سورة الكهف. الآية: 82.

(8) سورة الكهف. الآية: 102.

بالتوحيد وتقريره والدعوة إليه يأتي على رأس الأصول التي ينبغي أن تتحقق قبل أي شيء آخر، ولذلك، كان أول شيء يدخل به الإنسان إلى الإسلام هو كلمة التوحيد: الشهادة بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

لا يمكن أن نسلم إطلاقا، بأن القصص التي حفلت بها السورة جاءت بغرض العرض الفني لتحقيق الإمتاع الأدبي، أو من أجل المؤانسة الحكائية العابرة، وإنما الهدف الأعلى هو الهداية إلى الله انطلاقا من استلهام العبر والامتثال بهذه النماذج القصصية التي تشكل معان أولية تضمّر علامات سيميائية لعقيدة التوحيد.

إن اهتداء الفتية إلى رحمة الله بين قوم مشركين، واستسلام موسى عليه السلام لمشيئة الله الخارقة، والنهاية المساوية التي آلت إليها جنة الكافر المشرك، وانتصار إصلاح ذي القرنين على فساد الأقوام ويأجوج ومأجوج كلها معان نفهمها من ظاهر الأحداث التي كانت القصص مسرحا لها، ولكنها في عمقها علامات سيميائية تخدم معاني التوحيد انطلاقا من مداخل إيجابية للاعتبار ونماذج للتمثل.

### 3- العلامة الثانية: الرحمة

تعد سورة الكهف في حقيقة أمرها سورة الرحمات، أو علامة سيميائية على الرحمة في أبعى تجلياتها، لأنها تستودع صنوفا من مسالك الرحمة، وتختزل أشكالا من العطف الإلهي. نعلم أن الرحمة صفة من صفات الله جل وعلا ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾<sup>(1)</sup>، ولا يثبت في حقه تعالى إلا ما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، ولذلك، فإن مفتاح الترميز في آيات هذه السورة المباركة عنوانه الرحمة الربانية المصدر.

---

(1) الأنعام. الآية: 133.

إن السورة المستهله بالكتاب المنزل رحمة للناس ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>،  
 والعبد المرسل رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>، والموشحة بقصص تحمل في ثناياها ألوانا من  
 الرحمة والعطف والرأفة، والسورة التي تصرح بلفظ الرحمة ومشتقاته سبع مرات (7) في متنها لا يمكن أن تكون إلا  
 سورة سمتها البارزة هي الرحمة، ولا يمكن أن تكون الرحمة إلا علامة من علاماتها السيميائية ذات القيمة التأثيرية  
 الكبيرة.

نورد في ما يأتي أهم محددات علامة الرحمة في بعدها السيميائي في هذه السورة المباركة:

### 3-1- ذكر الكهف / رحمة

تشكل مفردة (الكهف) علامة سيميائية للرحمة لاعتبارات سياقية ومقاصدية خادمة لهذا المنحى في الفهم.  
 فقد ورد لفظ (الكهف) ست (6) مرات في السورة وبالعدد نفسه ورد لفظ (الرحمة)، وهي إشارة لطيفة إلى هذا  
 الانسجام في الدلالة والسر في الإيحاء. إن أولئك الفتية الذين قَبَضُوا على جمرة الإيمان بإصرار شديد، ولجؤوا إلى  
 كهف في جبل نالوا رحمة الله تكريما لهم وجزاء لصنيعهم. يقول سبحانه: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ  
 رَّحْمَتِهِ﴾<sup>(3)</sup>، حيث "خصصهم برحمته الخاصة المضافة الى نفسه، وهو أن يجذبهم بجذبات العناية ويدخلهم في عالم  
 الصفات، ليتخلقوا بأخلاقه ويتصفوا بصفاته"<sup>(4)</sup>، فأضحى (الكهف) في ظل السياق رمزا إيجائيا أوسع من رحابة  
 الدنيا لمن آمن بربه، ورحابة الدنيا أضيق من الكهف لمن أشرك وكفر.

(1) الإسراء. الآية: 82.

(2) الأنبياء. الآية: 108.

(3) الكهف. الآية: 16.

(4) حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي. روح البيان. دار الفكر - بيروت، ج 5/ ص 255.



إن اختيار الله سبحانه (الكهف) ليكون مسرحاً لقصة الفتية المؤمنات لم يكن اعتباطاً أو عبثاً، وإنما من أجل أن تتحقق فيه سمات الرحمة والعطف الإلهي، كما أن قصتهم لم تكن من أجل التسلية السردية أو المتعة القصصية الزائلة، وإنما ليشكل حدثهم نموذجاً للاعتبار ومثالاً للاقتداء، ورمزاً للاقتفاء صالحاً في كل زمان ومكان، لأن كل من يقبض على دين الله الحق، ويختار الهجرة إلى الله ورسوله - حتى وإن كانت هجرة إلى كهف - فإنه منصور من دون أدنى شك برحمة الله عاجلاً أم آجلاً، ونصر الله لعباده محله رحمة متنوعة في الكيفيات والعلامات، حيث تختلف باختلاف المواقف والمقامات والسياقات ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>(1)</sup>.

إنه أفق الأمل في رحمة الله لكل مُستضعف مؤمن على هذه الأرض، ورهان لكل ساع إلى الاطمئنان النفسي والارتياح القلبي، ومتى استقر الإيمان في القلوب استلزم نصيباً من رحمة الله ونوعاً منها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(2)</sup>.

### 3-2- سلوك العبد الصالح (الخضر) / رحمة

إن العبد الصالح (الخضر) الذي ترجم لموسى عليه السلام تأويلات الأحداث التي صاحبت رحلتها لم ينبثق من وراء حجب الغيب عبثاً، وإنما جاء لأداء وظيفة نبيلة ونموذجية في العلم والرحمة والسلوك. فكان رمزاً ومثالاً أعلى في العطف والرحمة إزاء موسى واليتامى والضعفاء والمساكين وغيرهم ﴿وَيَسْتَخْرِجُهُمَا مَخْرَجًا مِّن رَّحْمَةِ رَبِّكَ﴾<sup>(3)</sup>. إن الخضر كان رحيماً مع موسى حينما حسم معه مواصلة المشوار حتى لا يزيغ عن طريق الصبر

(1) الطلاق. الآية: 2.

(2) سورة الرعد. الآية: 28.

(3) الكهف. الآية: 82.

والصواب بكثرة السؤال، وكان رحيمًا بالمساكين حينما حماهم من الملك الغاصب، وكان رحيمًا بالأبوين حينما وقاهم من طغيان الابن، وكان رحيمًا باليتيمين حينما أمن لهما كنزهما.

إن كل هذه التصرفات تشكل علامة سيمائية على الرحمة اللازمة من الإنسان إزاء من يحيا على الأرض. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»<sup>(1)</sup>، رحمة يتم تصريفها في سلوكات ومعاملات ومواقف تعكس المنهج الرباني الذي من أجله استخلف الإنسان في الأرض.

### 3-3 - حوار العبد المؤمن مع صاحب الجنتين / رحمة

إن منهاج الإيمان الذي أساسه الرحمة في التعامل، وعنوانه الاستدلال باللين والحجة والتفكير والتي هي أحسن بعيدا عن الإساءة والتجريح والتحقير هو ما نقف عليه راشحا من مَثَلِ صاحب الجنتين، وذلك أن علامة الرحمة تجسدت سيمائيا في القول اللين والحجاج العقلي الواضح الذي أبداه العبد المؤمن إزاء صاحبه أثناء المحاورة، على الرغم من التفاخر الظاهر للعبد الكافر وتعاليه وأنانيته المفرطة ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾<sup>(2)</sup>، فدعاه إلى الإيمان بالله وشكره، ونصحه أن ييؤء بالفضل لله عليه، ومن الأحسن له أن يقول معترفا: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(3)</sup>، ثم حذره من مغبة فقدان كل شيء. مسألة أخرى تركز على علامة الرحمة في هذه المحاورة بين الصاحبين، تكمن في أن القرآن وصفهما بالصاحبين، والمثير للتفكير أن الصحبة هنا حاصلة بين شخصيتين متناقضتين في التصور والتفكير في قضايا الحياة والاعتقاد، تناقض لم ينف عنهما علاقة الصحبة والتجاور الاجتماعي.

(1) رواه أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الأدب. باب في الرحمة. رقم: (4941).

(2) الكهف. الآية: 34.

(3) الكهف. الآية: 39.

وعليه، نفهم من هذا النموذج الحوارى أن الاختلاف فى الدين والمعتقد لا يلغى التعامل مع المخالفين، بل يبقى منهج التراحم والصحة والرفقة ممكنة وواردا جدا، بل ضروريا كي يكون التعايش فى إطار احترام متبادل ومستمر فى الحياة، ومبني على الحوار الخالى من الإكراه على المعتقد والبعيد عن التعصب للدين.

### 3-4- منهج ذى القرنين / رحمة

تمثل شخصية ذى القرنين علامة سيمائية ذات إيجاء قوى وعميق، وذلك أن ورود هذه الشخصية فى القصة لم يكن لذاتها وأحداثها، وإنما لتمير مقاصد شرعية تنفع الناس دنيا وآخرة، بدليل أن القرآن سكت عن كثير من التفاصيل المتعلقة بهويته وأصله وفصله، لأنها لا تهم.

نقل ابن حجر فى فتح البارى أنه "قد اختلف فى ذى القرنين، فقيل كان نبيا. وقيل كان ملكا من الملائكة (...). وقيل لم يكن نبيا ولا ملكا (...). وقيل كان من الملوك وعليه الأكثر"<sup>(1)</sup>. ولهذا، فإن معرفته لشخصه لم تكن مقصودة، وإنما المراد ما يمثله من قيم وفضائل. إن ذا القرنين علامة سيمائية على الرحمة؛ إذ حينما بزغ وجوده انثالت شآبيب الرحمة على أقوامه انثيالا، لأن مصدر هذه الرحمة ارتكز على نشر العدل وإحقاق الحق وتثبيت الإصلاح ودرء الفساد.

ولئن كانت رحمة ذى القرنين أصابت الأقسام الذين مر بهم بوصفه حاكما عادلا ورجلا قويا متمكنا فى الأرض، فلأنه كان قائدا صالحا مصلحا؛ درأ الفساد، وحارب الظلم، ونصر الضعفاء، وقدم الخير للشرفاء، وحكم بشرع الله فى الخلق: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا\* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

---

(1) ينظر: العسقلاني، ابن حجر. فتح البارى شرح صحيح البخارى. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379، ج 6 / ص 383.

صَاحِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ حَسَنًا ۖ ﴿١﴾، ولعل الردم الذي بنى ودفع به الأذى عن قوم يأجوج ومأجوج يمثل أبرز الاستشهادات الدالة على الرحمة ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ (2). وبذلك شكل في قصته رمزا للاعتبار في باب الرحمة والرفق بين الناس حكاما ومحكومين في سائر الأزمنة والأمكنة.

### 3-5- ذكر الشمس / رحمة

إن الشمس في أعم وصف لها أنها علامة وجودية بارزة لها قيمتها التأثيرية في الحياة ككل، نظرا لوظيفتها في الوجود من جهة ضمانها لعناصر أساسية تفيد في استمرار الحياة، مثل: الضوء، والطاقة، وتعاقب الليل والنهار، والحرارة بمختلف درجاتها وغيرها، وهي في الوقت نفسه علامة على مدلولات معنوية مجردة متعلقة بعالم الفلك، كما أنها قد تتحول إلى علامة سيميائية ذات إحاء رمزي قوي الدلالة.

ورد لفظ الشمس في اثنين وثلاثين (32) موضعا مخصوصا في القرآن الكريم وفي سياقات مختلفة وبمعان تستجيب لشروط السياق الذي ترد فيه؛ فحينما يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ (3)، ف (الشمس) في هذا المقام علامة واضحة الدلالة على الزمن بمختلف أوقاته ومفاهيمه، فلا نستطيع التمكن من إدراك الحدود الزمنية للسنة ولا الشهر ولا اليوم ولا الزوال ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ولا غيرها من الأوقات إلا بهذا التلازم الوجودي بين الشمس والقمر في حركتهما الكونية الدائمة. نذكر - بالمناسبة - أن الشمس والقمر وردا متجاورين متلازمين عشرين (20) مرة في القرآن الكريم، لأن "تواجدهما في الكون تواجدٌ تلازمٌ واقتضاءٌ؛ بحيث يقتضي أحدهما الآخر، لأن رحمة الله بعباده، وسير

(1) سورة الكهف. الآيتان: 87 - 88.

(2) سورة الكهف. الآية: 98.

(3) سورة يونس. الآية: 5.

الوجود وفق نظامه الدقيق إنما هو رهين بهذا التلازم والتكامل والسباحة في الكون"<sup>(1)</sup>، مما يؤكد الانسجام الوجودي والدقة الكونية في التنظيم والجريان الجامعة بين هذين النموذجين الوجوديين (القمر والشمس).

وحينما نقرأ في سورة يوسف ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(2)</sup>، فإن علامة (الشمس) تأخذ دلالة إيحائية أخرى، تشير إلى الأصل والفرع / الأبوين ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾<sup>(3)</sup>. وفي مقام قرآني آخر، تمثل (الشمس) بوصفها علامة سيميائية استدلالا منطقيا من حيث إن إبراهيم احتج بحركتها المعتادة لنسف معتقد الآخر / المحاجج ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾<sup>(4)</sup>، فكانت هذه العلامة الوجودية الثابتة والبارزة عنصر قوة في المنطق العقلي الذي وظفه إبراهيم عليه السلام.

وبصرف النظر إلى الدلالة السيميائية لمفردة (الشمس) في سورة الكهف موضوع دراستنا، نجد أن هذا اللفظ ورد في السورة ثلاث (3) مرات، بنسبة تجاوزت 10% من مجموع ما ورد منها في القرآن كله، وهي إشارة تفيدها ما لهذه العلامة الوجودية من أهمية بالغة في تثبيت معاني السورة ومقاصدها. وتزداد هذه القناعة رسوخا حينما نلاحظ التوظيف المكثف والكثير لأصناف متعددة من العلامات الوجودية إلى جوار الشمس (السموات، الأرض، البحر، الحوت، الصخرة، الكلب، الكهف، الأنهار، الذهب، الماء، التراب، الثمر... ) في هذه السورة المباركة.

---

(1) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودية والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة-، ص 42، (مرجع سابق).

(2) سورة يوسف. الآية: 4.

(3) سورة البقرة. الآية: 258.

(4) سورة البقرة. الآية: 258.

إن المتأمل الممعن في التدبر لا يمكن أن يقف عند حدود المعنى الظاهر في الآية التي نخبرنا فيها الخطاب بميلان الشمس عن الكهف من الجهتين (يميناً وشمالاً) تجنباً لإيذاء الفتية، ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾<sup>(1)</sup>، بل إن هذا المعنى يشكل منطلقاً أولياً في سيرورة التأويل، لأن السؤال الذي يفرض نفسه هو ما السر الذي من أجله ذكرت (الشمس) بحركتها في هذا المشهد العجيب؟ الجواب -والله أعلم- أنها أنسب العلامات الوجودية تعبيراً عن الرحمة الإلهية في هذا السياق القرآني بالذات. إنها علامة سيميائية على الرحمة، من حيث إن وظيفة الشمس بما يؤهلها من مقومات وجودية وخصائص كونية هي الأكثر ملاءمة لتوفير شروط بيئية لازمة لحفظ الفتية في أبدانهم وصحتهم، بسبب ما في تلك الحركة الجارية بين جهة اليمين وجهة الشمال من انعكاسات ضوئية، ومعدلات حرارية، وأجواء مناخية وفرت شروطاً إحيائية مناسبة لينعم الفتية في حفظ وراحة بال ورحمة واسعة لمدة طويلة. فضلاً عن كونها شكلت بضائها رمزا للنور الذي يكشف ظلمات الضيق، وشكلت منفذا للفرج والانتعاق.

أما حينما وردت علامة (الشمس) في سياق آخر من هذه السورة العظيمة في قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾<sup>(2)</sup>، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سَبْتًا﴾<sup>(3)</sup>، فإنها أحالت على دلالات مكانية، حيث تشير إلى أقصى الأماكن التي وصل إليها ذو القرنين بين المشرق والمغرب؛ أي: "المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق"، يدل على ذلك

(1) سورة الكهف. الآية: 17.

(2) سورة الكهف. الآية: 86.

(3) سورة الكهف. الآية: 90.

توظيف علامة الفعل: (بلغ) الذي من معانيه الوصول إلى غاية مكانية والانتهاؤ إلى حدود معينة، والفعل: (وجد) الذي يفيد العثور على شيء في مكان ما.

من ههنا، اختلف المعنيان اللذان أحالت عليهما مفردة (الشمس)، لأن الاعتبارات السياقية في قصة أصحاب الكهف، والأسباب المقامية في قصة ذي القرنين استلزمت هذا الاختلاف في الوظيفة الدلالية لعلامة (الشمس) سيميائيا.

### 3-6- ذكر الكلب / رحمة

ورد لفظ (الكلب) في ست (6) مواضع في القرآن الكريم، منها أربعة (4) في سورة الكهف، أي: بنسبة 67%، مما ينبى أن هذه العلامة الوجودية أهمية بالغة في بيان مقاصد هذه السورة الفريدة.

إن تجليات الدلالة السيميائية لعلامة (الكلب) في سورة الكهف تختلف عن تلك التي وردت في سورتي: المائدة والأعراف، وذلك أنه حينما يقول سبحانه في سورة المائدة ﴿أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾<sup>(1)</sup>، فلفظ (مكلبين) جاء علامة حالية تحيل على وظيفة الكلب المعلم في عملية الصيد، معنى ذلك أنه جاء "حالا من كلبت الكلب بالشديد، أي: أرسلته على الصيد"<sup>(2)</sup>، علما أن المعنى هنا قد يقصد به الكلب أو باقي الجوارح المدربة على الصيد، لأن الجوارح "هي من الكلاب والفهود والصقور وأشباه ذلك، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة"<sup>(3)</sup>.

(1) سورة المائدة. الآية: 4.

(2) المحلى والسيوطي. تفسير الجلالين. ج 1/ ص 136.

(3) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج 3/ ص 32.

أما حينما نسمع قوله سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرِكُهُ يَلْهَثُ﴾<sup>(1)</sup>، فدلالة الكلب في الآية تؤول إلى تلك الطبيعة الحيوانية لهذا المخلوق الوجودي في نمط عيشه، حيث يتميز بكثرة اللهات أثناء تنفسه، وهو سلوك طبيعي وشائع عند فصيلة الكلاب، لأن "كل شي يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال المرض وحال الصحة وحال الري وحال العطش. فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته فقال: إن وعظته ضل وإن تركته ضل"<sup>(2)</sup>، فشكّل هذا الحيوان بهذه الخصائص البيولوجية علامة وجودية مناسبة لتقريب المعنى وتيسيره في أسلوب مثل تشبيهي بديع.

وبالأوبة إلى دلالة هذا الحيوان في سورة الكهف والغاية من ذكره صحبة الفتية، نقول إن أبرز الدلالات السيميائية التي يرشح بها هذا اللفظ هي دلالة الرحمة. قال سبحانه: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾<sup>(3)</sup>، فقد أتى هذا المشهد بعد أن رسم الخطاب حال الفتية في الكهف، وبعد أن وصف رقدتهم وتقليبهم وحركة الشمس إزاءهم، ليختم الصورة بحال الكلب الباسط ذراعيه، وكأنه حارس منتبه متوفز ومستعد للانقضاض على أي خطر يهدد سلامة أصحابه، وبهذا تكتمل تفاصيل الحال الباعثة على الرعب والفرار، رعب فيه رحمة للفتية من فضول الناس حتى يبقى سرهم خاصا بهم، وفيه رحمة للناس تفاديا للوقوع في شباك الرعب والفرع الذي لا نعلم حجم أثره على كل إنسان مُطَّلِع على هذه الحال. ومن ثمة كان مشهد الكلب بهيئته الثابتة وطبيعته ووظيفته علامة سيميائية على الرحمة في ظل سياق توافرت فيه كل أسباب الاسترحام والنجاة.

---

(1) سورة الأعراف. الآية: 176.

(2) القرطبي. تفسير القرطبي. ج 7 / ص 322.

(3) سورة الكهف. الآية: 18.



لقد اتسمت سورة الكهف بعلامات سيميائية مكثفة قوية الإيحاء تقود إلى الإيمان بأن كهف الرحمة الإلهية يغمر كل الوجود والخلائق ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(1)</sup>، وما هذه الرحمات التي استقرأنا بعض صورها من هذه السورة الكريمة إلا نماذج تمثيلية للاستلهام والعبرة. ولهذا المعاني والمقاصد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بقراءة سورة الكهف استجداء لعطف الله ورحمته في زمن الفتن الدجالة، «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»<sup>(2)</sup> واستعطافا لرجاء الله في أوان الشدائد والبلاء. ودعما للمستضعفين ونصرة للمؤمنين.

#### 4- العلامة الثالثة: مظاهر قدرة الله المطلقة

تتجلى مظاهر قدرة الله المعجزة في سورة الكهف من خلال مضامين الأحداث والسياقات التي وردت بها: أول هذه المظاهر قدرته سبحانه على الإمامة والإحياء، يظهر ذلك في حدث إحياء فتية الكهف الذين أماتهم/ أنامهم الله ثلاثمائة وتسع سنين. حدث يجسد بما اشتمله من أحوال ونوازل قدرة الله العجيبة في تدبير شؤون الخلق؛ فالزمن لم يكن له أي تأثير على أحوال الفتية ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾<sup>(3)</sup>، وحركة الشمس وطاقاتها وضوؤها وحرارتها تكيفت مع جغرافيا الكهف ﴿وَتَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾<sup>(4)</sup>، ووظيفة السمع توقف اشتغالها تماما ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾<sup>(5)</sup>، والعين لم تعد لها وظيفة

(1) سورة الأعراف. الآية: 156.

(2) رواه مسلم. صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي. رقم: (44).

(3) سورة الكهف. الآية: 19.

(4) سورة الكهف. الآية: 17.

(5) سورة الكهف. الآية: 11.

الإغماض ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾<sup>(1)</sup>، بل توقفت جميع الوظائف الفسيولوجية المحسوسة التي تجعل الكائن الحي نشيطا حيا من دون أن يتحلل أو يتعفن ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾<sup>(2)</sup>. وهكذا "أعطانا الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ما لم يصل إليه الطب إلا حديثا، الأطباء يطلبون من أهل المريض غير القادر على الحركة أن يقلبوه يمينا ويسارا حتى لا يصاب جسده بقرحة الفراش التي تسبب له أضرارا بليغة"<sup>(3)</sup>.

تعد هذه المعطيات وغيرها دلائل على قدرة الله الخارقة في أعمال ما يريد، وكيف يريد، وبما يريد، ومتى يريد. إنها علامات تثبت أن قدرة الله يمكنها أن تخرق القوانين الكونية التي اعتادها الناس، وتستبدلها بأخرى. لذلك لمن كان الكفار في ريب من البعث وعجب من الإحياء بعد موتهم ﴿قَالُوا أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْيَانًا لَمَبْعُوثُونَ﴾<sup>(4)</sup> فإن في قصة أصحاب الكهف دليلا إيجابيا واضحا على أنهم مبعوثون بقدرة الله ولا ريب.

تتجلى ثاني هذه المظاهر في علم الله المسبق الذي وسع السماوات والأرض، وأحاط بأحوال الشهادة وأحوال الغيب كافة؛ فالله سبحانه هو الذي وهب بقدرته وإرادته نصيبا من العلم للعبد الصالح (الخضر)، فألمه علما خبريا، علما رباني المصدر ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(5)</sup>، وبناء على تفاصيل هذا العلم تصرف الخضر إزاء الوقائع التي تدبرها حكمة الله ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾<sup>(6)</sup>. فقد جعلت قدرة الله القادر المقتدر الحياة تتسرب إلى حوت موسى فيتخذ سبيله في البحر، لتتهدى علامة اللقيا بين موسى والخضر، وذلك أن موسى عليه السلام كان قد أُمر

---

(1) سورة الكهف. الآية: 17.

(2) سورة الكهف. الآية: 18.

(3) الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 16.

(4) سورة المؤمنون. الآية: 82.

(5) سورة الكهف. الآية: 65.

(6) سورة الكهف. الآية: 82.

بحمل حوت مملوح معه، وقيل له: متى فقدت الحوت فهو ثمة. فسارا حتى بلغا مجمع البحرين؛ وهناك أصاب الحوت من رشاش الماء فاضطرب وانسرب بإذن الله في البحر، وصار مع حيواناته حيا<sup>(1)</sup>.

نضيف أن من مظاهر قدرته تعالى ما توحى به قصة صاحب الجنتين في علاقته بأملاكه، وذلك أن قدرة الله العظيمة هي التي جعلت جنته عبارة عن بساتين خضراء، تؤتي أكلها وثمرها كل حين، وجعلت الأنهار تجري فيها متدفقة رقيقة، فزيتها بأصناف من الشجر والتمر، ثم ما تفتأ أن تصير صعيدا زلقا خاوية على عروشها، لا نبات فيها ولا شجر ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾<sup>(2)</sup>.

لقد وظف الأسلوب القرآني علامات وجودية (التمر، النهر، الماء، السماء، الأكل، الصعيد، المال، النفر، زلقا..). قوية الإيحاء لبناء ذلك المشهد المتناقض بين حال الجنة الوارفة الخضراء، وحالها حينما أصبحت جرداء صفراء، وحال الكافر من قبل ومن بعد، وذلك لتقديم براهين عقلية وحجج منطقية تبين أثر قدرة الله سبحانه في ملكوت كل شيء، لعل الناس يتعظون ويمثلون للعبادة والإيمان، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>.

تنهض قصة ذي القرنين كذلك على معالم دلالية تومئ إلى صفة القدرة في حقه عز وجل، يظهر ذلك من خلال ما منح الله لذي القرنين من أسباب وقوة وتمكين ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾<sup>(4)</sup>، فكان تأثيره واضحا على الأقطار التي مر منها ناشرا العدل ومحاربا الفساد، لأنه منطقيا يصعب أن نتصور قائدا

(1) ينظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج 5 / ص 174. / السعدي. تيسير الكريم الرحمن. ص 481.

(2) سورة الكهف. الآية: 40.

(3) سورة آل عمران. الآية: 26.

(4) سورة الكهف. الآية: 84.

أينما حل في مشارق الأرض ومغاربها يحدث تغييرا جذريا في العدل والإصلاح، قد نسلم بذلك على مستوى حدود مكانية معينة، لكن أن يمتد ذلك من مشرق الأرض إلى مغربها فذلك لا يمكن أن يكون إلا بحول وقوة من الله. لقد استمد ذو القرنين كل ما أوتي من قوة وقدرة وأسباب من عطاء الله، والدليل أن ذا القرنين نفسه أرجع الفضل إلى خالقه ورازقه معترفا بضعفه وصغر حجمه، وعجزه أمام قدرة الله المطلقة التي بإمكانها تدمير ما بناه من ردم عظيم على الرغم من ضخامته وجسامته ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾<sup>(1)</sup>.

ختمت هذه السورة المباركة مظاهر القدرة الربانية التي لا يمكن إطلاقا تقدير حدودها ولا تحديد نهايتها بقول الله سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>(2)</sup>. حملت الآية افتراضا وجوديا محسوسا وملموسا في أبعاده، لتقريب مفهوم القدرة الإلهية الواسعة علما، واللامتناهية حكمة، لأن الوعي البشري لا يستطيع استيعاب المطلق إلا بما يفهم من علامات وجودية وحقائق مشهودة، وإلا كيف يستطيع الإنسان تصور آفاق المعاني العلوية المتصلة بالربوبية والمطلق الإلهي الذي لا حد له ولا آخر؟ فلو كانت البحار والمحيطات بامتداداتها الواسعة والعميقة حبرا لكلمات الله، لنفد وبقيت كلمات الله لا يحدها مداد، ولا تنهيه دواة، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(3)</sup>. إنه تمثيل قوي وجميل يجسد حقيقة قدرة الله المطلقة، وعلمه الذي لا ينتهي.

(1) سورة الكهف. الآية: 98.

(2) سورة الكهف. الآية: 109.

(3) سورة لقمان. الآية: 27.

## 5- العلامة الرابعة: دلالات تغليب التذكير على التأنيث بين الأصالة والفرعية

نعلم أن لكل فرع أصلاً انبثق عنه، وكل أصل له فرع أو فروع استمدت وجودها منه، وأن هذه المعادلة الوجودية هي الضامن الفعال لاستمرار الحياة وامتدادها في الزمان والمكان. يكفيننا مؤونة أن ندلي بحجة آدم في الأصالة البشرية وذريته في الفرعية التي تقف شاهدة على استمرار النوع الإنساني في الحياة.

من العلامات المثيرة للوعي في القصص التي وردت في سورة الكهف هو أن ما استعرضته من شخص و نماذج بشرية كلها من جنس الذكورة، والذكر أصل، والأنثى فرع عنه، يقول السيوطي: "التأنيث هو فرع التذكير"<sup>1</sup>. إن كل الشخصيات التي تضمنتها أحداث القصص أفراداً وتثنية وجمعاً تقول إلى جنس الذكر: (فتية الكهف وكلبهم)، (موسى وفتاه)، (الغلام)، (الغلامان اليتيمان)، (ذو القرنين) (العبد الصالح)، (الملك)، (صاحب الجنتين)، (العبد الفقير)، تشكل هذه القرائن علامة سيميائية على أصالة التذكير وفرعية التأنيث، وقوة الأول على الثاني، علماً أنه ليس في هذا التوظيف إقصاءً لجنس الأنوثة بانعدام دورها أو وظيفتها في مجريات الأحداث، وإنما الأمر تغليب لمنطق الأصل على الفرع كما هو مستمد من مرجع الوجود.

يقول سيويه: "واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول وهو أشد تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير. ألا ترى أن (الشيء) يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى، و(الشيء ذكر)"<sup>(2)</sup>. وإذا كان العلماء الأسلاف يشيرون إلى أن خروج الفرع (المؤنث) من الأصل (المذكر) أساس أو مبدأ معمول به على مستوى اللغة، فإنه استمد منطقاً من افتقار الأنوثة للذكورة على مستوى الوجود "وهي مسألة

<sup>1</sup> - السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع. ج 3/ ص: 329،

<sup>(2)</sup> سيويه. الكتاب. ج 1/ ص 22.

فطرية طبيعية في تكوين المرأة إذ هي بطبعها تفتقر إلى الرجل بوصفه أصلا لها. إن الله سبحانه وتعالى فطر المرأة على الحس المرهف، والطبع الرقيق الذي يتأثر بالعاطفة، في حين خلق الرجل عقلا نيا ذا تفكير يناسبه الطرح العقلي بعيدا عن العاطفة، لهذا تناسب تقديم الذكر على المؤنث في القرآن الكريم وفي اللغة أيضا<sup>(1)</sup>.

ولهذا، حينما أشار الخطاب إلى الوالدين، ذكرهما بلفظ (الأبوين) تغليبا للأصل (الأب) على الفرع / الأم ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾<sup>(2)</sup>، فالقرآن الكريم يذكر الأول في الأصالة على سبيل التغليب وتعميم الحكم على كل المكلفين، وليس إقصاء أو استثناء لجنس على آخر، لأن هذا ما يجب أن "نفهم من خلال التثنية وما اصطلح عليه علماء النحو واللغة "بالتغليب" وهو أن تجمع لفظين أو أكثر على جهة التذكير دون التأنيث لأنك حين تفعل فقد غلبت الأصل على الفرع، وليس تحيزا للتذكير"<sup>(3)</sup>.

وفقا لهذا الوعي، يبدو أن قانون الأصل والفرع الضابط لعلاقة التذكير والتأنيث في خطاب سورة الكهف يشكل علامة ذات إيجابيات عامة تهم كل المخاطبين الذين يتلقون القرآن بغض النظر عن جنسهم أو نوعهم، لأن قصص سورة الكهف ومضامينها جاءت للاعتبار والهداية الشاملة للجنسين، وليس للحكاية عن أشخاص لذاتهم.

---

(1) فخري، خديجة. نحو العلامة نحو تصور جديد لتحليل الخطاب تطبيقات على القرآن الكريم. بحث مرقون نال شهادة الماستر في اللسانيات وتحليل الخطاب. إشراف الدكتور محمد إسماعيلي علوي. وحدة التكوين والبحث "الدرس اللغوي والخطاب الشرعي"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، العام 2019.

(2) سورة الكهف. الآية: 80.

(3) إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودي والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني -دراسة-، ص 34، (مرجع سابق).

## 6- العلامة الخامسة: الصراع الوجودي بين الإيمان والكفر / الخير والشر

إن المتأمل في رسالة القرآن يجد أن من علاماتها الوجودية البارزة علامة الثنائية/ الثنوية، وأن من معالمها ما يتجسد في الصراع المستمر بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، والخير والشر، والفساد والإصلاح وغيرها.. فهي سنة وجودية لا يمكن أن تكون الحياة من دونها، ولا يمكن أن تستمر، والدليل أنه يستحيل أن نفهم الخير من دون وجود الشر، ولا ندرك معنى الإيمان في ظل غياب الكفر، ولا نستوعب الحق بغير الباطل. إنها سنة الله في الكون. يقول سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾<sup>(1)</sup>، معنى ذلك أنه لا معنى للحياة من دون الموت، والحياة مسوغ تدور رحاه على ثنائية العمل الحسن وغير الحسن.

لم تخرج سورة الكهف عن هذا المنهج السُّنِّي على الرغم من أنها حملت للقارئ قصصا لم تذكر في غيرها من السور الأخرى، لكنها في المحصلة هي علامات سيميائية عامة تنبئ بصراع دائم بين قطبي: الخير والشر والكفر والإيمان... والمثير في هذا الصراع أن النصر والظفر يكون دائما حليف الخير في نهاية المطاف ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾<sup>(2)</sup>، ولا يخفى أن الغاية من الخلق الإنساني هي الخيرية أولا وآخرا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(3)</sup>.

يمثل فتية الكهف قطب الإيمان أو الخير ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾<sup>(4)</sup>، ويمثل قومهم قطب الكفر والشرك أو الشر ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾<sup>(1)</sup>، معنى ذلك أن الفتية اختاروا طريق الحق، وتشبثوا به، ودافعوا عنه

(1) سورة الملك. الآية: 2.

(2) سورة الأنبياء. الآية: 18.

(3) سورة الذاريات. الآية: 56.

(4) سورة الكهف. الآية: 13.

على الرغم من سواد الباطل واستحكامه في زمام وطنهم، في ما ظل أهلهم مستمرين على الشرك وضالين سواء السبيل، فما كان من الفتية إلا أن نالوا رحمة الله ونصره، وبقي الآخرون في غيهم وفسادهم. إن في هذا دليلاً على أنه حصل في قناعة أهل الكهف أن السنة التي من أجلها أقام الله الحياة قائمة على الابتلاء الموزع بين الخير والشر ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْإِيمَانِ الَّذِي كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ بِهِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي نَسَّيْتُمْ وَبِالْحَبْلِ الَّتِي ظَلَمْتُمْ﴾ (1)، ولذلك آثروا الإيمان والعمل الصالح الحسن على أن يبقوا حبيسي ربة الشرك والعمل السيء. فكانت الغاية من إيراد القرآن الكريم لقصتهم في هذه السورة إعطاء النموذج الأنفع، وبيان المنهج الأمثل في الدفاع عن الدين، والإصرار على الإيمان، وذلك من أجل تحقيق حسن الاعتبار وتقدير الأمور بمقاييس علامات مؤثرة وموجهة.

يقدم "المثل القصة" المذكور في صلب سورة الكهف لصاحب الجنتين مثلاً بارزاً في الصراع الناشب بين الكفر والإيمان في الوجود، فهو يشكل علامة سيميائية إيحائية على ثنائية الإيمان والكفر. إن وظيفة المثل ليست نقل الأقوال في صورتها الواقعية الظاهرة، بل هو أسلوب قرآني يعمل على تقريب المعنى ما أمكن إلى المتلقي، لفهم المفهوم العقلي المجرد عبر صورة المحسوس، لذلك فمثل صاحب الجنتين ههنا "تمثيل تناول شخصيتين متناقضتين سائرتين على نجدتين متعاكسين، ومتباينتين في التفكير والسلوك ونمط العيش" (3). ما يدعم افتراض أن الصراع بين الكفر والإيمان يعد علامة سيميائية إيحائية هو إهمال الخطاب القرآني عرض هوية الرجلين ومكانهما وزمانهما. يقول ابن السعدي: "وليس معرفة أعيان الرجلين، وفي أي زمان أو مكان هما فيه فائدة أو نتيجة، فالنتيجة تحصل من

---

(1) سورة الكهف. الآية: 15.

(2) سورة الأنبياء. الآية: 35.

(3) عيساوي، نورالدين. بناء المعنى من خلال التمثيل البلاغي المكّي والمدني. ص 89.



قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف<sup>(1)</sup>. لهذا، فالرجلان المؤمن والكافر في القصة نموذجان بشريان مكروران، قد يوجدان في أي زمان ومكان<sup>(2)</sup>، وسوف يبقى التدافع بين الكفر والإيمان صالحا، بل ضروريا للأزمنة والأمكنة كلها، لتستمر الحياة إلى أن يفنيها الله.

تحيل الإشارة الوجيهة لقصة آدم وإبليس على هذا الاستقراء العام للصراع الدائم بين مفاهيم الشر والخير والكفر والإيمان والحق والباطل وغيرها، بل تعد قصتهما أصلا لهذا الصراع؛ حيث يمثل الشيطان علامة الباطل بكل أصنافه وأوصافه، ويمثل آدم عليه السلام عنوانا للحق بكل مقوماته وخصائصه، وما انحدر بعدها من فروع يمثل انعكاسا لهذه الثنائية المتناقضة ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ \* قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

ختمت السورة هذا الصراع بنموذج ذي القرنين مع كل الأقسام الذين مر بهم، وخاصة "يأجوج ومأجوج"؛ حيث كان النظام الذي ارتضاه في مسلك الحكم نظاما أساسه الإيمان والحق والعدل والخير ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا \* وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾<sup>(4)</sup>، بينما كان المنطق الذي انتهجه الظالمون وعلى رأسهم "يأجوج ومأجوج" منطق الباطل والكفر والشر.

---

(1) ابن السعدي، تفسير السعدي. ط 1، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م، ص: 476.  
(2) الخالدي، صلاح. مع قصص السابقين في القرآن، دروس في الإيمان والدعوة والجهاد. ط 1، دار القلم، دمشق، 1409هـ - 1989م، ج2 / ص 152.  
(3) سورة الأعراف. الآيات: 16 - 18.  
(4) سورة الكهف. الآيتان: 87 - 88.

تأسيسا على ما سلف، يظهر أن النماذج التي قدمتها سورة الكهف للمخاطب ليست قصصا للإمتاع والمؤانسة، ولا أخبارا للإعلام والإنباء، وإنما هي علامات ذات تجليات سيميائية للإيحاء والاعتبار والبيان، من أجل إتاحة الفرصة للإنسان لبناء قناعة إزاء البعد القيمي في الحياة، حيث يستطيع حينها التمييز بين قيم الخير والشر، والإيمان والكفر، والفساد والإصلاح وغيرها.

### 7- العلامة السادسة: (ذو القرنين) رمز للإصلاح / (يأجوج ومأجوج) رمز للفساد

لم تكن آخر القصص التي روتها سورة الكهف وهي قصة (ذو القرنين) و(يأجوج ومأجوج) تحمل من المعلومات الخاصة والدقيقة عن الشخص والزمان والمكان أي شيء يذكر، وبسبب ذلك اختلفت الافتراضات حول هوية ذي القرنين، فقالوا هو: قورش الفارسي أو الاسكندر المقدوني أو حاكم من حكام الصين أو اليمن<sup>(1)</sup> وغيرهم، لكن التفاصيل الذاتية أو الشخصية لا تهم في شيء في هذا السياق بقدر "ما يهمنا أن ذا القرنين رجل أعطاه الله الأسباب والملك، فأخذ الأسباب ليحقق منها الأهداف التي من أجلها أُعطي الملك وأسبابه"<sup>(2)</sup>، ولم يعد معناه مقتصرًا فقط على الشخص الذي جاب أقطار الأرض يحارب الفساد، أو ذلك الملك الذي بنى ردما عظيما اتقاء لشر يأجوج ومأجوج، بل أصبح ذو القرنين علامة سيميائية لكل حاكم عادل أو كل إنسان صالح ومصلح يسعى إلى إقامة شرع الله على الأرض، حيث يمكن استمداد منهجه وفلسفته في الحكم وتطبيق طريقته في التدبير والمعاملة، لأن أعماله أضحت نموذجا صالحا لاستخلاف الإنسان في الأرض، ويمكن أن يتصف بأوصاف ذي القرنين كل حاكم أو ملك أو مسؤول أو راع طبق أسلوبا حياتيا عادلا ونافعا للناس في ظل شريعة الإيمان.

(1) ينظر: الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 71 و88. والبقاعي. نظم الدرر. ج 12/ ص 128.

(2) الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 72.

لم يأت القرآن بقصة ذي القرنين من أجل استعراض أحداثها لإبراز البطولة أو للتشويق والإثارة، وإنما بغرض تقديم مثل أعلى في نصرته الحق ودحض الباطل طيلة دعوته التي طاف بها شرقاً وغرباً، فكان لها الأثر البالغ في نشر العدالة وإقامة الحجّة. من هنا، فهو يعد نموذجاً لكل من توافرت له أسباب الملّك في الأرض، ومنحه الله من السلطان والعلم ما به يستطيع إعمال الصالحات وفق منهاج يجمع بين الإيمان وإشاعة الإصلاح ونصرة الحق ومحاربة الفساد. إنها قصة تنبه الوعي الفردي والجماعي إلى أن تسخير الأسباب وتوظيف الإمكانيات المادية والمعنوية التي وهبها الله للإنسان أمر يحتاج إلى تصريفها في ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، لأن المقدمات الصالحة تترتب عليها نتائج صالحة؛ إذ بناء على منطق العقل وإعمال الأسباب يتحقق النفع والاستخلاف والعمران، وذلك حين يكون المسعى درء المفسدة وجلب المصلحة من خلال دعم المصلح، ونصرة الضعيف، ورحمة المسكين، ودفع الظلم، ومحاربة الفساد. وتبقى كذلك قصة ذي القرنين مثالا للاقتداء والعبرة في الواقع الحاضر والمستقبلي لتحقيق الرقي الحضاري والعمراني، وذلك بالاعتماد على العلم والفعل والعدل وغيرها من الأسباب المنطقية والوجودية.

وإذا كان (ذو القرنين) رمزا سيميائيا للقوة والعدل والإصلاح، فإن (يأجوج ومأجوج) يمثلان عنوانا "للمفسدين في الأرض في كل زمان ومكان"<sup>(1)</sup>، والفساد هو خروج عن مسار الشّن الوجودية، وزيف عن اتباع الأسباب، وتكريس لمنهج الفوضى والانظام. إن كل إنسان حاكم أو متحكم يسعى إلى تحقيق أغراضه عن طريق القهر والشر فهو ينتمي إلى زمرة يأجوج ومأجوج بوصف سلوكهما نمطا استبداديا متجبرا ممتدا في الزمان والمكان.

---

(1) ينظر: الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. ص 73.

إننا نعثر على هذا النمط في التفكير في كل فكر يمجّد الكفر، ويعبد الشر، ويمتحن الفساد والظلم، ويمارس ألوان القهر على الضعفاء. كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد استوحى هذا البعد السيميائي في الاعتبار حينما أخبر أصحابه أن شر يأجوج ومأجوج ممتد ومتواصل، بل ويتكاثر. عن زينب بنت جحش، رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم، دخل عليها فرعا يقول: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتُحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ. وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشْرَةَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلِكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ»<sup>(1)</sup>، والخبث عنوان لأصناف الشر والفسوق والفسوق كلها، فكان قهر المظلومين والضعفاء، وهضم حقوق الناس، وتعدّي حدود الله في الأرض علامات على فساد واضح، وانحراف عن الصواب وعن الحكمة من الاستخلاف مهما اختلفت أمكنته وأزمته وأقوامه.

#### 8- العلامة السابعة: ذكر الكلب / عنوان الوفاء والولاء

إن ما يلفت الانتباه في قصة أهل الكهف هو حضور (الكلب) من دون غيره من الحيوانات الوجودية الأخرى، ولا شك أن ذكر الكلب ووظيفته في مسار الأحداث يشكل علامة سيميائية منبهة للوعي ومثيرة للعقل تستوجب رصد تجلياتها الإيحائية في خطاب السورة.

لقد اختلف المفسرون<sup>(2)</sup> في هوية هذا الكلب وصفاته؛ فرووا أقوالاً "لا حاصل لها، ولا طائل تحتها ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها رجم بالغيب"<sup>(1)</sup>، لأن معرفة لونه واسمه وحجمه وفصيلته

(1) رواه البخاري. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الانبياء. باب قصة يأجوج، ومأجوج. رقم: (3346).

(2) ينظر: الماوردي، أبو الحسن البغدادي. تفسير الماوردي = النكت والعيون. تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. ج 3/ ص 223. وينظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن. ج 10/ ص 370. وينظر كذلك: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج 5/ ص 144.

وهويته لا تؤثر في المتلقي ولا تفيد في شيء يذكر بقدر ما يفيد المعنى الكامن وراء وظيفته وحضوره في سياق الحدث.

من المعلوم أن الكلب من الحيوانات الأليفة التي ارتبطت بالإنسان منذ القدم، وتولدت بينهما علاقة تعايش عجيبة، تعددت فيها الوظائف التي يسديها الكلب للإنسان؛ من حراسة وصيد وأنس واكتشاف وغيرها، وذلك لما يتميز به هذا الحيوان من مقومات الإخلاص والوفاء والشجاعة وقوة خارقة في حاسة الشم..

وعليه، من المحتمل جدا أن الكلب المذكور في السورة كانت تربطه علاقة وطيدة بأصحابه قبل الإيواء إلى الكهف، ولذلك أكرمهم الله بإبقائه معهم مهما طال مدة نومهم في الكهف، ليحافظ على وظيفته المعتادة بتموقعه في باب الكهف باعنا على الخوف والرعب، وباسط ذراعيه يحرسهم وهم راقدون، فصار الكلب علامة سيميائية على الوفاء والإخلاص - فضلا عن علامة الرحمة كما سبق أن رأينا - وصار لذكره وزن عظيم وقيمة رمزية كبيرة. يقول ابن كثير: "وشملت كلبهم بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صعبة الأختيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن"<sup>(2)</sup>.

لا يخفى أن لهذا الحيوان مكانة مميزة في التصور الإسلامي خاصة أنه ذكر في القرآن وفي السنة، والدليل أن الرواية في الحديث تقول: إن رجلا نال المغفرة مقابل شربة ماء لكلب عطشان. عن أبي هريرة ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِنَاءً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ

(1) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج 5/ ص 144.

(2) المصدر نفسه. ج 5/ ص 144.

الْبُرِّ فَمَلَأَ حُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: " فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ"<sup>(1)</sup>.

ومن ثمة، فليست مشاركة الكلب أولئك الفتية قصتهم في الكهف سردا أدبيا يتوخى المتعة الحكائية والوصف الفني المؤنس، وإنما (الكلب) في الخطاب القرآني علامة ليست كالعلامات في غيره، لأنه كتاب شريعة وكتاب مقاصد وكتاب هداية أولا وقبل كل شيء. إن وجود هذا الحيوان في هذا السياق يشكل علامة إيجابية، على القارئ الفطن استنباط أبعادها الظاهرة والخفية، ومنها ما تؤول إليه في هذه السورة المباركة من مقاصد الرحمة والوفاء والإخلاص والصحبة الحَيِّرة، نظرا لما يتصف به من مقومات الحراسة والمراقبة (باسط ذراعيه بالوصيد) والوفاء (رابعهم كلبهم / سادسهم كلبهم / ثامنهم كلبهم) والحرص (وضعية ثابتة بالوصيد). إنه على الرغم من طبيعته الحيوانية يمثل رمزا للتعلق والعهد والتفاني والوفاء وغيرها من خصال، وهي مفاهيم أولى بالإنسان أن يتصف بها قبل الحيوان.

---

<sup>(1)</sup> رواه البخاري. كتاب المساقاة. باب فضل سقي الماء. رقم: (2363).

## خلاصة الفصل الرابع

عملنا في هذا الفصل الرابع والأخير على دراسة الأثر الدلالي لـ "العلامات: الوجودية والحالية والسيمائية في توجيه المعنى" في السياقات التي وردت فيها في سورة الكهف؛ وهكذا أوضحنا في المبحث الأول "تجليات الدلالة الإيحائية للعلامة الوجودية"، علما أن سورة الكهف مليئة بهذا الصنف من العلامات، فكان لا بد لنا من التطرق إلى أبرزها -على الأقل- فذكرنا منها دلالات علامتي الأصل والفرع للأشياء في الوجود، حيث تجسدت في أطوار الخلق الإنساني (التراب، النطفة، رجل سوي)، ثم علامة التذكير والتأنيث بين الأصالة والفرعية، فعلامة الشائية / الثنية التي وظفها خطاب السورة بشكل مكثف، ثم أضفنا علامة الحياة والموت وعلامة السماوات والأرض، حيث بينا ما لهذه العلامات من أدوار فعالة في بناء المعنى وثبته. بعد ذلك، تناولنا في المبحث الثاني "مظاهر العلامة الحالية/ المشاهدة"، فكان أهمها حال الاطلاع على أهل الكهف وتصورها الذهني (المشاهدة والمعانية)، ثم بينا أثر مدة لبث أهل الكهف في حالهم استنباطا من حوار الفتية في ما بينهم، ثم ما أحالت عليه القرينة الإشارية (هذه) مع الإشارة إلى الغاية من توظيف قرينة الحال في السياق اللغوي، وبعد ذلك، استقرأنا دلالات حركة تقليب الكفين التي كشفت حجم الندم الذي اعترى الكافر، وذكرنا ما يمكن استخلاصه من حدث قتل الغلام، ثم أنهينا المبحث بدلالات حال مطلع الشمس ومغربها (في العين الحمئة). ثم تطرقنا في المبحث الثالث لـ "مظاهرات العلامة السيمائية في سورة الكهف"، فكان من أوضحها إثبات عقيدة التوحيد، ثم علامة الرحمة حيث لمسنا انعكاسات هذا المفهوم في مفردة (الكهف) وسلوك العبد الصالح/ الخضر، وحوار العبد المؤمن مع صاحب الجنتين، وفي قصة ذي القرنين ثم في ذكر علامة الشمس بدلالاتها الوجودية، فضلا عن الغاية التي من أجلها ورد لفظ (الكلب) في هذه السورة، وثالث العلامات كان محورا لمظاهر قدرة الله المطلقة، إضافة إلى دلالات

الأصل والفرع، ثم الدلالة الإيجابية للصراع الوجودي بين الإيمان والكفر / الخير والشر، وأضفنا ما يمثله (ذو القرنين) من رمز للإصلاح، وما يمثله (يأجوج ومأجوج) من رمز للفساد، ثم ختمنا المبحث بالحكمة من ذكر (الكلب) في سياق وصف حال الفتية في الكهف.



## خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الشكر والثناء الحسن على ما أولاني من فضل ونعمة، بعد أن يسر لي سبل إنهاء رحلتي في البحث والتقصي بين آيات سورة الكهف المباركة وعلاماتها. توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى نتائج متعددة، نجمل أهمها في ما يأتي:

تأكد لنا أن تصور ((نحو العلامة)) يعد إطارا معرفيا يحاول بناء منهج علمي متكامل الأبعاد انطلاقا من تطبيقاته على النص القرآني خاصة، وذلك بربطه الدلالة القرآنية بالدلالة الوجودية الشاملة، ومن ثمة قدم طرحا بديلا لعدد من المناهج والنظريات اللسانية التي اشتغلت على تحليل الخطاب. إنه مشروع علمي متكامل في مناولاته ومنسجم في آلياته وواعد في إجراءاته بالنظر إلى الأسس المعرفية والمنطقية والوجودية التي يرتكز عليها، وبالنظر إلى الإمكانيات المنهجية المتنوعة التي يمنحها لدارس الخطاب، وخاصة دارس الخطاب الشرعي، من حيث إنه يتجاوز الانحصار في العلامة اللغوية ويتعداها إلى علامات وجودية وسيميائية وشرعية دالة.

نحسب البحث الذي قدمناه إسهاما في مقدمة مشروع وازن مازال بكرا نراهن على قوته وعلميته في مجال تحليل الخطاب، على الرغم من أننا لم نقدم الإحاطة التامة بكل مقوماته وإجراءاته نظرا لآفاقه المفتوحة على التدقيق الأثمل، والتفصيل الأحوط. ونسأل الله أن يعيننا على استكمال البحث والدراسة في هذا المجال في إطار مشروع كبير وطموح.

تبين كذلك من خلال البحث أن النحو العربي في إطار ((نحو العلامة)) نحو منطقي وجودي، معنى ذلك أنه ينسجم على مستوى القواعد وتمثلاتها مع السنن الوجودية والكونية التي تحكم وجود المخلوقات على الأرض من حيث النشأة والتطور والاستمرارية، وأنه نحو يشتغل على العلامة بمختلف أصنافها:

- اللغوية: بمستوياتها (الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية...);

- **الوجودية:** مختلف العلامات الوجودية المادية مثل (شمس، سماءات، أرض، جبال...) أو معنوية (حياة، موت، زمن، خير، شر...).

- **الحالية:** كل علامة تعبر بحالها أو هيئتها أو شكلها (إحالات إشارية، أحوال، مواقف...).

- **السيمائية:** كل علامة تشكل دالا على مدلول خفي أو ضمني (رموز، أشياء، أفعال، ثقافات، أرقام...).

توصلنا كذلك إلى أن العلامة لها ارتباط وثيق بالوجود، بل الوجود في حقيقته علامات؛ فلا شيء في هذا العالم يمتلك صفة الوجود إلا بوساطة علامة تحيل عليه، لأن كل شيء في الكون يُدرك كونه علامة، ويدل من حيث كونه علامة أيضا.

تعد سورة الكهف من أكثر السور احتواء على القصة القرآنية، فقد وردت فيها خمس قصص، منها أربع لم ترد في غيرها (قصة فتية الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين)، لتشكل بذلك المحور الذي تدور عليه مضامين هذه السورة المباركة، فكل قصة مثلت نموذجا للاستلهام ومثلا عاليا للاعتبار على أساس ترسيخ مسلك العقيدة تثبيتا وتصحيحا، وتفنيد مزاعم الشرك، ونبذ معالم الكفر، من خلال إبراز أثر الإيمان والتوحيد في حياة الناس، وانعكاس ذلك على أحوالهم وأنفسهم ومصيرهم، وبيان مآل أهل الشرك ومصير أعمالهم وأموالهم. كما أن مستهل السورة (الآيات الأولى) يشكل فاتحة توظف مضامين الخطاب فيها، وذلك بإعلانها أن الحمد لله الواحد المتفرد حق، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حق، والكتاب المنزل حق، وأن هذا المنهاج الإيماني الحق يعد بشرى لمن آمن وعمل عملا صالحا، ويعد إنذارا لمن زاغ عن سواء السبيل، وقد جاء هذا المستهل في تناسب تام وعلى توافق كامل مع خاتمة السورة المتمثلة في الآية الأخيرة، لكونها الخلاصة التي توجت نهايتها، من حيث تأكيدها أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر مُرسَل، وأن الوحي رباني المصدر، وأن لا إله إلا الله الواحد الأحد، وأن هذا كله هو السبيل الموطأ للقاء الله.

أظهر البحث أيضا أن مداخل فهم الخطاب القرآني وتحصيل دلالاته متعددة ومتكاملة، إذ يستلزم ذلك الفهم دراسة كل علامة تسهم في ضبط المعنى، واستقصاء حركتها في عمقها وامتداداتها وعلاقاتها، الشيء الذي يسعف في كشف أسرار جديدة وتحلية معان عميقة قد تكون غائبة في كتب التفسير (مثل دلالة ذكر الشمس والكلب على الرحمة في سورة الكهف). الأمر الذي يشكل إضافة نوعية في مسار فهم النص القرآني وتدبره، وإسهاما في مدارسة خطاب الوحي بما يساير صلاحيته لكل زمان ومكان.

انتهى البحث كذلك إلى أن دراسة أسماء السور القرآنية يفضي إلى الظفر بدلالات لطيفة يكون لها الأثر البالغ في الفهم والاستنباط، ولذلك شكلت مفردة (الكهف) بوصفها عنوانا لسورة الكهف علامة رمزية إيحائية، إذ ليس الكهف مقصودا لذاته ومكانه، وإنما هو علامة انطوت على معان جليلة وجميلة، منها أن (الكهف) هو كهف رحمت أو رحمت كهف، لأن السورة مليئة بالتجليات الدلالية للرحمة والاسترحام والعطف والاستعطاف.

لقد تجلّى في ثنايا البحث أن للعلامة اللغوية إسهاما في توجيه معاني سورة الكهف، وذلك أن الأسلوب القرآني اصطفى العلامات اللسانية الخادمة للمعنى والمناسبة للموقع والموقف، يتحقق ذلك على مستوى العلامة الصوتية من خلال جرس البناء الصوتي وإيقاعه المتساوق مع المقاصد والدلالات التي ينقلها الخطاب، وانطلاقا من أن الخصائص الصوتية وصفاتها التي تحيل من حيث الشدة والرخاوة أو الهمس والجهر أو القوة والضعف على قوة الحدث أو ضعفه أو شدته أو مرونته، كما أن ترتيب البنية الصوتية يصاقب في تشكله وتعالقه مسار المضمون، وذلك أن لكل وحدة صوتية وإيقاع نغمي ونمط أدائي نصيبا في بيان الدلالة وإيضاح المقصد. فضلا عن أثر التكرار الصوتي الذي تتردد في ضوئه بعض الأصوات أو الكلمات أو الآيات، مما يلفت إلى الإيقاع الناشئ عن هذا التكرير، خاصة على مستوى إيقاع الفاصلة القرآنية، كما أن للنبر والتنغيم وظائف نحوية تمييزية رفدت بعض الآيات بنغم وذبذبات تنسجم مع السياق الذي وردت فيه، ونجمت عن ذلك دلالات محدّدة لمآل المعنى، وذلك ما لمسناه في متن هذه السورة الكريمة.

كان للعلامة الصرفية دور مهم في تحديد عمق الدلالة في سورة الكهف وتبين مقاصدها من خلال البنيات التي صيغت الأصوات في قلبها، وذلك بعدما وقفنا على القيم الدلالية التي أثرت المضمون القرآني بمعان جليلة مثل علامة (اسم الفاعل) التي تحمل معنيين متلازمين: التأكيد والاستقبال بالإضافة إلى معان أخرى يكتسبها من خلال السياق. وهو ما لمسناه في صيغ: (جاعلون) و(صابرا) و(باسط).

تتأزر العلامات النحوية من حيث الرتبة والوصل والفصل والحركة الإعرابية وغيرها في شحن خطاب السورة بإشراقات دلالية تمنح القارئ يسرا في الوصول إلى المقاصد القرآنية. فالرتبة بشقيها (المحفوظة وغير المحفوظة) علامة حاضرة على مدار السورة، إذ بوساطتها يمكن تحديد موقع الكلمة في ترتيب جمل الآيات، ومن ثمة تحديد الوظيفة النحوية ومآل المعنى، كما أن علامة الفصل والوصل من أكثر العلامات ورودا في سورة الكهف، إلا أن أداتي (الواو) و(الفاء) كانتا الأكثر حضورا في وصل الجمل، وذلك لخصائصها المعنوية في خدمة السياقات التي وردت فيها، فضلا عن العلامة الإعرابية التي أماطت اللثام عن كثير من الوظائف النحوية لألفاظ السورة، وأزاحت اللبس عن كثير من المفردات التي أثارت قراءات متعددة أو تأويلات متنوعة في ظل سياقاتها مثل لفظي: "الولاية" و"الحق" في قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾.

تميزت سورة الكهف كذلك بعلامات معجمية لم تذكر في غيرها من سور القرآن الكريم مثل: (الكهف)؛ (تزاور)؛ (الردم)... مما أضفى على سياقات ورودها معاني مخصوصة، وتبين أن العلامة المعجمية مدخل مهم من مداخل فهم المعنى في سورة الكهف.

لقد أظهرت تجليات العلامة الوجودية وعلامة الحال (المشاهدة) والعلامة السيميائية في سورة الكهف أن هذه العلامات تثري المعنى بدلالات عميقة وقوية، وذلك أن الرهان على:

- العلامة الوجودية رهان على علامة تتميز عن غيرها من العلامات بميزتين أساسيتين:
- الاستمرارية والدوام في جميع المخلوقات والكائنات الوجودية.
- أي خرق أو اختلال في نظامها ينتج عنه اختلال في نظام الكون كله.

معنى هذا الكلام أن العلامة الوجودية تتحقق على مستوى النظام الذي يحكم نشأة الخلق في الوجود، ويحكم نموه وتكاثره واستمراره في الحياة. وقد كانت سورة الكهف مسرحاً مكتفياً لهذا الصنف من العلامات الذي حمل معاني إضافية تيسر الفهم والاستيعاب؛ ف (الشمس) -مثلاً- اختلفت دلالاتها بين الرحمة في سياق قصة أهل الكهف والإحالة المكانية في قصة ذي القرنين، فضلاً عما أوحى به علامات (السموات والأرض) من معان استدلالية تختص بوجود الله وعالمه العلوي الغيبي وقدرته على الخلق، وما أفادته علامة (الكلب) من دلالات على الرحمة وغيرها من المقاصد الجليلة.

- **العلامة الحالية** رهان على علامة تعتمد على الإيمان والإشارة والموقف الفعلي وسياق الحال، لأنها قد تغني عن استخدام اللفظ لدلالة الحال عليه إذا ما علم أطراف التخاطب بمضمونها. ولعل تصور حال أهل الكهف في رقدتهم وتقليبهم ووضعية كلبهم والهيبة التي تحيط بكهفهم خير مثال يولد مشاعر نفسية رهيبية وعجيبية تدفع إلى الرعب والفرار.

- **العلامة السيميائية** رهان على علامة تتحصل من وراء الظواهر، فهي تُستنبط من وراء الفهم الأولي، وتُستقرأ بناء على سياقات متعددة، وليست في متناول الجميع، بل تستلزم التدبر والتأمل والاستقراء، فضلاً عن امتلاك ما يكفي من المعرفة العلمية واللغوية وسياقات الفهم. ولعل الكشف عن دلالات الرحمة بناء على ما أوحى به مفردات: (الشمس) و(الكلب) و(الكهف) خير استشهاد قادتنا إليه العلامة السيميائية.

مازالت في الموضوع ثغور تحتاج لمزيد من التفصيل والتدقيق، ومازالت في سورة الكهف أسرار تحتاج من يكشفها، وقد غابت عني أو غفّلت عنها أو عجزت عن فك شفرتها لقصور في معرفتي على الرغم من بذلي أقصى الجهد في التقصي، وإعمال أعلى طاقتي في الاجتهاد والتحصيل، ولعل الله يبسر لغيري كشف ما لم أهدد إليه.

من جهة أخرى، لا بد لنا منهجياً من استعراض أهم التوصيات التي استلهمناها استشرافاً لأفق البحث والدراسة. إن تصور «(نحو العلامة)» إطار معرفي، واجتهاد علمي له رهانه وراهنيته من أجل فتح أفق جديد في التحليل والتأويل. لذلك، فهو نظر يسعى إلى بلورة آليات تفسيرية تركز على العلامة في كل تجلياتها اللغوية والمنطقية

والوجودية والسيميائية والشرعية. ومن ثمة، فالأمر يحتاج إلى تضافر الجهود، وانخراط الباحثين في مدارسته، والاهتمام بتطبيق آلياته وإغناء أسسه بمزيد من التدقيق والضبط والإحاطة حتى يكتمل ويستوي نظرية علمية جامعة ومنسجمة.

إن ما تناولناه من علامات في سورة الكهف إنما هو نماذج بارزة لم نستطع إيفاء الإحاطة التامة بكل المعين القرآني في هذه السورة. وعليه، فمجال التدبر القرآني في هذه السورة وفي سائر السور مازال يحتاج إلى إعمال النظر من طرف الباحثين، لكشف مزيد من المعاني والدلالات، وخاصة بالارتكاز على إجراءات هذا التصور، كما أن نحو العلامة ليس محصوراً في ما ذكرت من علامات، وإنما هو نحو لكل شيء بوصفه علامة، وحسبي أن أذكر مما لم أذكره منها: العلامة الإحصائية والعلامة الخطية وعلامات الأرقام... لذلك فالأمر مفتوح على مزيد من الإغناء والإثراء لكل من لمس في نفسه استعداداً للبحث والمدارسة في هذا المجال.

من العلامات التي أثارت إعجابي واستأثرت باهتمامي العلامة السيميائية في بعدها الشرعي، لأنها تأمل في مستوى عميق، تحتاج إلى استقراء عام في الحروف القرآنية وألفاظه الوجودية، والحيوانات المذكورة فيه والحشرات وأسماء سوره، وألوانه الواردة فيه ومفاهيمه وغيرها، لأنها تتطلب بعداً في التناول والتدليل والتدقيق. إن أفق السيميائيات الشرعية مجال يغري بمزيد من العناية والاهتمام في هذا الصدد.

وفي نهاية هذا المطاف أسأل الله العليّ القدير أن يجعل ما قدمته من جهد في ميزان حسناتي، ويدخره لي لديه يوم الفزع الأكبر، إن كان ما توصلت إليه من معان ودلالات صدقا وحقا في كلام الله، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله، والكمال لله والإحاطة للأنبياء. والحمد لله على كل حال، إنما النية كانت خيراً، ومدارسة القرآن كانت مسعى، فإن تعثرت في جهدي المقل، أو سقطت في الفهم المخل أرجو من الله أن يغفر زلتي، ويستر حويتي ويكتب أجر محاولتي. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. والحمد لله في المستهل والمنتهى.

## مصادر البحث ومراجعته

- مصحف القرآن الكريم (رواية حفص).
- الصحيحان: البخاري ومسلم.
- إبراهيم، مصطفى وآخرون (مجمع اللغة العربية بالقاهرة). المعجم الوسيط. دار الدعوة. (د. ت).
- إبراهيم، مصطفى. إحياء النحو. مكتبة لسان العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م.
- أبو السعود، محمد بن مصطفى. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أبو المكارم، علي. أصول التفكير النحوي. ط1، دار غريب، القاهرة 2006.
- أبو حيان، الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420 هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- الأزهري، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. ط1، تح: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2001م.
- إسماعيلي علوي، محمد. الألوان في القرآن - دراسة سيميائية نفسية - ط1، 2010.
- إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة الوجودي والكشف عن جماليات الدلالة والسياق في الخطاب القرآني. (كتاب قيد النشر).

- الأصفهاني، الراغب. المفردات في غريب القرآن. ط 1، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - 1412 هـ.
- الألويسي، شهاب الدين. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. ط 1، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ.
- الآمدي، أبو الحسن. الإحكام في أصول الأحكام. تح: عبد الرزاق عفيفي. المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- الأنباري، أبو البركات. أسرار العربية. ط 1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420 هـ - 1999 م.
- الأنصاري، فريد. سيمياء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة. سلسلة اخترت لكم، رقم 16، ط 1، منشورات ألوان مغربية، 2003 م / 1424 هـ.
- أنيس، إبراهيم. الأصوات العربية. ط 5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975.
- أنيس، إبراهيم. اللغة بين القومية والعالمية. دار المعارف بمصر، 1970.
- إيكو، أمبرتو (Umberto Eco). العلامة تحليل المفهوم وتاريخه. ترجمة: سعيد بنكراد، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2010 م.
- إيكو، أمبرتو (Umberto Eco). السيمياء وفلسفة اللغة. ط 1، ترجمة، تحقيق: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، 2005 م.
- البايي، أحمد. القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، دراسة لسانية في الصوتة الإيقاعية. ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد عمان - 2012.
- البركاوي، عبد الفتاح عبد العليم. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ظل نظرية السياق. دار الكتب، 1991.
- البقاعي، أبو بكر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.



- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات. النهاية في غريب الحديث والأثر. تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
- ابن الأنباري، أبو البركات. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. المكتبة العصرية، ط 1، 1424هـ - 2003م.
- ابن الأنباري، أبو البركات. البيان في غريب إعراب القرآن. تح: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العام للكتاب، 1400 - 1980.
- ابن الجزري، أبو الخير. النشر في القراءات العشر. تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
- ابن الجوزي. كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات. ط 1، تح: نورالدين بن شكري، أضواء السلف 1997.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. الشافية في علم التصريف. ط 1، تح: عبد المقصود محمد عبد المقصود. مكتبة الثقافة الدينية، 1425 هـ - 2004م.
- ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ابن السراج. الأصول في النحو. تح: الفتلي عبد الحسين. مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- ابن السعدي، تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ط 1، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.
- ابن السكيت، أبو يوسف. إصلاح المنطق. ط 1، تح: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، 1423 هـ - 2002 م.
- ابن تيمية، تقي الدين. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط 1، 1408هـ - 1987م.

- ابن تيمية، تقي الدين. النبوات. تح: عبد العزيز بن صالح الطويان. ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420هـ-2000م.
- ابن تيمية، تقي الدين. درء تعارض العقل والنقل. تح: الدكتور رشاد سالم محمد. ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1411هـ-1991م.
- ابن جنبي، أبو الفتح. المحتسب في تعيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1420هـ-1999م.
- ابن جنبي، أبو الفتح. سر صناعة الإعراب. ط1، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1421هـ-2000م.
- ابن جنبي، عثمان. الخصائص. ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ت).
- ابن جنبي، عثمان. المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. ط1، دار إحياء التراث القديم، 1373هـ - 1954م.
- ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. ط1، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة. 1421هـ - 2001م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تح: خليل شحادة. ط2، دار الفكر، بيروت، 1408هـ - 1988م.
- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد. حجة القراءات. تحقيق وتعليق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
- ابن سيده، أبو الحسن. المخصص. تح: خليل إبراهيم جفال. ط1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1417هـ-1996م.
- ابن سينا، الشفاء المنطق، 3- العبارة. تح: محمود الخضيرى. دار الكتاب العربي القاهرة، 1970م.
- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين. اللباب في علوم الكتاب. ط1، عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1419هـ -1998م.

- ابن عصفور، أبو الحسن. الممتع الكبير في التصريف. ط1، مكتبة لبنان، 1996.
- ابن عطية، الأندلسي. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط1، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، - 1422 هـ.
- ابن فارس، أحمد. معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- ابن كثير، أبو الفداء. تفسير القرآن العظيم. ط1، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت - 1419 هـ.
- ابن مالك، جمال الدين. شرح الكافية الشافية. تح: عبد المنهم هريدي. ط1، دار المأمون للتراث وجامعة
- ابن مالك، جمال الدين. شرح تسهيل الفوائد. ط1، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1410هـ - 1990م.
- ابن منظور. لسان العرب. ط3، دار صادر - بيروت، 1414 هـ.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف الأنصاري. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب. تح: عبد الغني الدقر الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف الأنصاري. شرح قطر الندى وبل الصدى. ط11، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1383هـ.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف الأنصاري. مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ط6، تح: مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، 1985.
- ابن يعيش، أبو البقاء. شرح المفصل للزمخشري. ط1، تقديم إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422 هـ - 2001 م.
- بنكراد، سعيد. السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها. ط3، دار حوار للنشر والتوزيع، سورية - اللاذقية، 2012م.

- بنكراد، سعيد. السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش س بورس. ط 1، المركز الثقافي العربي، 2005م.
- بنكراد، سعيد. سيمياء النص ومراتب المعنى. ط 1، منشورات الاختلاف، دار الأمان، منشورات ضفاف، 1439هـ - 2018م.
- بودرع، عبد الرحمن. في اللسانيات واللغة العربية: قضايا ونماذج. ط 1، دار كنوز المعرفة، 2016.
- بوعلام، ابن قاسم. الأمثال في القرآن: دراسة موضوعية وأسلوبية. ط 1، دار أبي رقاق للطباعة والنشر، 2008.
- بيار، غيرو (Pierre Guiraud). علم الدلالة. ترجمة: أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، 1986.
- البيهقي، أبو بكر. أحكام القرآن للشافعي - جمع البيهقي. ط 2، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، تقديم: محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1414 هـ - 1994 م.
- البيهقي، أبو بكر. السنن الكبرى. ط 3، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003 م
- الترمذي، محمد أبو عيسى. الجامع الكبير - سنن الترمذي. تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م.
- تشتشيرين، أ. ف. (Aleksi Vladimirovich Chicherin) الأفكار والأسلوب: دراسة في الفن الروائي ولغته. ترجمة: حياة شرارة، دار الشروق الثقافية العامة. بغداد، 1964.
- تمام، حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. ط 5، عالم الكتب، 1427هـ-2006م.
- التهانوي، محمد بن علي. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم. ط 1، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، عبد الله الخالدي، ترجمة: جورج زيناني. مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، - 1996م.

- التوحيدى، أبو حيان. المقابسات. تح: السندوى حسن، ط 2، دار سعاد الصباح، 1992م.
- الثعالى، أبو منصور. فقه اللغة وسر العربىة. ط 1، تح عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربى 1422هـ - 2002م.
- الثمانى، عمر بن ثابت. شرح التصريف. ط 1، تح: إبراهيم بن سليمان البعىمى، مكتبة الرشد، 1419هـ - 1999م.
- الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبىين. دار ومكتبة الهلال، بىروت، 1423هـ.
- الجاحظ، أبو عثمان. رسائل الجاحظ. تح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجى، القاهرة، 1384 هـ - 1964 م.
- الجرجانى الشرىف. التعرىفات. ط 1، ضبطه وصححه جماعه من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمىة، 1403 هـ - 1983م.
- الجرجانى، عبد القاهر. أسرار البلاغه. ط 1، تح: عبد الحمىد هنداوى، دار الكتب العلمىة، بىروت، 1422هـ.
- الجرجانى، عبد القاهر. دلائل الإعجاز فى علم المعانى. ط 3، تح: محمود محمد شاكرا. مطبعة المدى بالقاهرة - دار المدى بجده، 1413 هـ - 1992م.
- جرجى زىدان. اللغة العربىة كائن حى. مؤسسه هنداوى للتعلىم والثقافة، القاهرة - مصر، 2012م.
- جرجى، زىدان. الفلسفه اللغوىة والألفاظ العربىة، تأرىخ اللغة العربىة، دار الحدائث، لبنان، بىروت، ص 1، 1987.
- جمعه، فتحى. اللغة الباسله. ط 5، دار النصر للتوزىع والنشر، 2000م.
- الجوزى، جمال الدىن أبو الفرج. زاد المسىر فى علم التفسىر. ط 1، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربى - بىروت - 1422 هـ.

- الجوزية، ابن قيم. التبيان في أقسام القرآن. تح: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الجوزية، ابن قيم. بدائع الفوائد. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الجوهري، أبو نصر. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. ط4، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، 1407هـ - 1987م.
- الحاج صالح، عبد الرحمان. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. موفم للنشر - الجزائر، 2012.
- حساني، أحمد. العلامة في التراث اللساني العربي - قراءة لسانية سيميائية-. ط1، دار وجوه للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الرياض، 1436هـ - 2015م.
- حسنين، صلاح الدين صالح. الدلالة والنحو. ط1، توزيع مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع.
- حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي. روح البيان. دار الفكر - بيروت.
- حماسة هلال، عبد اللطيف. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي. ط1، دار الشروق، 2000.
- حماسة هلال، عبد اللطيف. فتنة النص: بحوث ودراسات نصية، ط 1، دار غريب، 2008.
- الحمد، غانم قدوري. المدخل إلى علم الأصوات العربية. ط 1، دار عمار، عمان الأردن، 1425هـ - 2004م.
- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). ط1، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ - 1993م.
- حنون، مبارك. دروس في السيميائيات. ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987م.
- حيدة، جميلة. النقد الأدبي المعاصر حول الشعر بالمغرب (1960م-1990) أطروحة جامعية لنيل درجة الدكتوراه مرقونة مسجلة بجزارة كلية الآداب والعلوم الإنسانية (وجدة)، تحت رقم 118.

- الخالدي، صلاح. مع قصص السابقين في القرآن، دروس في الإيمان والدعوة والجهاد. ط 1، دار القلم، دمشق، 1409 هـ - 1989 م.
- خضير عبيد، عبد الحسن، الأصل والفرع في النحو العربي، من سيبويه إلى ابن هشام. دراسة نحوية. مؤسسة مصر مرتضي للكتاب العراقي، العراق - بغداد 2009.
- الخليل، ابن أحمد. العين. تح مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- داوود، محمد محمد. العربية وعلم اللغة الحديث. دار غريب للطباعة، القاهرة، 2001.
- دبة، الطيب. التفكير السيميائي في اللغة والأدب، دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي. ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، 2015.
- الرازي، زين الدين، مختار الصحاح. ط 5، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420 هـ - 1999 م.
- الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. ط 3، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ.
- الرفاعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. ط 8، دار الكتاب العربي - بيروت - 1425 هـ - 2005 م.
- رمضان، عبد التواب. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط 3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417 هـ - 1997 م.
- الزبيدي، محمد. تاج العروس من جواهر القاموس. تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت).
- الزجاجي، أبو القاسم. الإيضاح في علل النحو. ط 5، تح: مازن المبارك، دار النفائس - بيروت، 1406 هـ - 1986 م.
- الزجاجي، أبو القاسم. مجالس العلماء. تح: هارون، عبد السلام محمد، ط 2، مكتبة الخانجي-القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، 1403 هـ - 1983 م.

- الزركشي، أبو عبد الله. البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. 1376 هـ - 1957 م،
- الزمخشري. جار الله. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ط3، دار الكتاب العربي - بيروت - 1407 هـ.
- الزمخشري، جار الله. المفصل في صنعة الإعراب. ط 1، تح: علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، 1993.
- السامرائي، محمد فاضل. معاني الأبنية العربية. ط 2، دار عمار، عمان - الأردن، 2007م- 1428هـ.
- السامرائي، محمد فاضل، معاني النحو. ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر، 1420هـ - 2000م.
- السرخيني، محمد. محاضرات في السيميولوجيا. سلسلة الدراسات النقدية. ط1، دار الثقافة للتوزيع والنشر، الدار البيضاء، 1887م.
- السعران، محمود. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي. ط 2، دار الفكر العربي، - القاهرة، 1997.
- السكاكي، أبو يعقوب. مفتاح العلوم. ط 1، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1407 هـ - 1987.
- السهيلي، أبو القاسم. نتائج الفكر في النحو. ط 1، دار الكتب العلمية - بيروت، 1412 - 1992 م.
- السهيلي، أبو القاسم. الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام. ط 1، تح عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ- 2000م.
- سيوييه، الكتاب. تح: عبد السلام محمد هارون. ط 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ- 1988 م.
- سيد قطب، إبراهيم. في ظلال القرآن. ط 17، دار الشروق - بيروت - القاهرة - 1412هـ.
- السيلكوتي، عبد الحكيم. حاشية القاضي عبد الحكيم السيلكوتي على تفسير البيضاوي. (مخطوط على الشابكة).



- السيوطي، جلال الدين. الأشباه والنظائر. ط 1، دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م.
- السيوطي، جلال الدين. الاقتراح في أصول النحو وجدله. ط 1، حققه وشرحه: فجال محمود، دار القلم، دمشق، 1409 - 1989 م.
- السيوطي، جلال الدين. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. ط 1، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، 1418هـ 1998م.
- السيوطي، جلال الدين. معترك الأقران في إعجاز القرآن. ط 1، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1408 هـ - 1988م.
- السيوطي، جلال الدين. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق عبد الحميد هندراوي. المكتبة التوفيقية، مصر.
- الشاطبي، أبو إسحاق. الموافقات. تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط 1، دار ابن عفان، 1417هـ-1997م.
- الشافعي، أبو عبد الله. الرسالة. ط 1، تح: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، 1358هـ - 1940م.
- شاهين، عبد الصبور. المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.
- شاهين، محمد توفيق. أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية. ط 1، مكتبة وهبة، 1400هـ-1980م.
- الشايب، فوزي. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة. ط 1، عالم الكتب الحديث، 2004م.
- الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي = الخواطر. مطابع أخبار اليوم (د.ت. رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م).
- الشعراوي، محمد متولي. سورة الكهف. دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، القاهرة - جمهورية مصر العربية.

- شلي، محمد أحمد محمود. دلالات الأفراد والثنية والجمع في القرآن الكريم. سلسلة دراسات قرآنية، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم – الإمارات، 2013.
- الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ – 1995 م.
- الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. ط 1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت – 1414 هـ.
- شولز، روبرت (Robert Schulze). السيمياء والتأويل. ط 1، ترجمة: سعيد الغانمي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994 م.
- الصغير، محمد حسين علي. الصوت اللغوي في القرآن. ط 1، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان، 1420 هـ – 2000 م.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل. تفسير غريب القرآن. ط 1، تح: حلاق محمد صبحي، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1421 هـ – 2000 م.
- الطباطبائي، حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط 1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، 1998.
- الطبري، ابن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. ط 1، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ – 2000 م.
- طبل، حسن. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. دار الفكر العربي، القاهرة، 1998 م.
- طحان، رمون. وفريجة، أنيس. الألسنية العربية. ط 2، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1981 م.
- طنطاوي، محمد سيد. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ط 1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.
- الطيب، دبة. التفكير السيميائي في اللغة والأدب، دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي. ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2015 م.

- عباس، حسن. النحو الوافي. ط 15، دار المعارف (د. ت).
- عباس، حسن. خصائص الحروف العربية ومعانيها. منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998.
- عبد الجليل، عبد القادر. الأصوات اللغوية. ط 2، دار صفاء للتوزيع والنشر - عمان، 1435هـ - 2014م.
- عبد الحميد، محمد محيي. التحفة السنوية بشرح المقدمة الأجرومية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 2007م.
- عبد المرطي، زكريا. الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني. ط 1، مكتبة زهراء الشرق، 1997.
- العثيمين، محمد بن صالح. تفسير سورة الكهف. ط 1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ.
- العسكري، أبو هلال. الفروق اللغوية. تح وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
- العطية، خليل إبراهيم. في البحث الصوتي عند العرب. منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد - الجمهورية العراقية 1983م.
- عكاشة، محمود. التحليل اللغوي في ظل علم الدلالة. دراسة في الدلالة الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية، ط2، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011.
- العكبري، أبو البقاء. اللباب في علل البناء والإعراب. ط 1، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، 1416هـ - 1995م.
- علي، نجات. النطق بالأصوات اللغوية العربية. ط 1، الدار\_ المصرية\_ اللبنانية، 2019م.
- عياشي، منذر. العلاماتية (السيمبولوجيا) قراءة في العلامة اللغوية. ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، 2013.

- عيساوي نورالدين. بناء المعنى من خلال التمثيل البلاغي المكي والمدني، (سورتا الكهف والنور نموذجان). بحث مرقون نال شهادة الماستر في اللسانيات وتحليل الخطاب. تحت إشراف الدكتور الحبيب المغراوي. وحدة التكوين والبحث "الدرس اللغوي والخطاب الشرعي"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال 2016.
- غريب قادر، فخريّة. تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيات المعاصرة. ط 1، عالم الكتب الحديث، 2011م.
- الغزالي، أبو حامد. المستصفى. ط 1، تح: عبد الشافي، محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، 1413هـ - 1993م.
- الغزالي، أبو حامد. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. ط 1، تح: عبد الوهاب الجابي. الجفان، والجابي - قبرص 1407هـ - 1987م.
- غلفان، مصطفى. اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول. ط 1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، يناير 2017م.
- فاخوري، عادل. علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة. ط 2، دار الطليعة، بيروت، 1994م.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1982م.
- فخري، خديجة. نحو العلامة نحو تصور جديد لتحليل الخطاب تطبيقات على القرآن الكريم. بحث مرقون نال شهادة الماستر في اللسانيات وتحليل الخطاب. إشراف الدكتور محمد إسماعيلي علوي. وحدة التكوين والبحث "الدرس اللغوي والخطاب الشرعي"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، العام 2019.
- الفيروزآبادي، مجد الدين. القاموس المحيط. ط 8، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1426هـ - 2005م.

- قاسم، حسام أحمد. الأسس المنهجية للنحو العربي. ط1، دار الآفاق العربية. 2006.
- قاسم، سيزا. نصر حامد، أبو زيد. أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، إشراف سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، طبعة دار العالم العربي، دار إلياس العصرية، القاهرة.
- القاضي، عبد الجبار. المحيط بالتكليف. تح: عمر السيد عزمي، مراجعة فؤاد الأهواني. الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.
- قحطان عبد الله، عدنان. قضايا السياق والدلالية عند المفسرين. ط1، عالم الكتب الحديث، 2018.
- قدوري، غانم الحمد. المدخل إلى علم أصوات العربية. منشورات المجمع العلمي، بغداد، 1423هـ-2002م.
- القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تح: محمد الحبيب بن الخوجة. دار الكتب الشرقية، تونس، 1966.
- القرطبي، شمس الدين. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن. ط2، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، 1384هـ - 1964م.
- القزويني الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة. ط3، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت.
- القفطي، جمال الدين. إنباه الرواة على أنباه النحاة. ط1، المكتبة العنصرية، بيروت، 1424هـ.
- القنوجي، أبو الطيب محمد. فتح البيان في مقاصد القرآن. تقديم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412هـ-1992م.
- الكاتب، ابن وهب. البرهان في وجوه البيان. تح: حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب (القاهرة) - مطبعة الرسالة، 1389هـ - 1969م.
- كشك، أحمد. النحو والسياق الصوتي. دار غريب للنشر والتوزيع، 2010.
- الكفوي، أبو البقاء. الكليات. تح: عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة - بيروت. د ت.
- ليونز، جون (John Lyons). اللغة وعلم اللغة. ط1، دار النهضة العربية. 1987م.

- الماوردي، أبو الحسن علي البغدادي. تفسير الماوردي = النكت والعيون. السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- مايو، عبد القادر محمد. الوجيز في اللغة. ط1، دار القلم العربي، 1998م.
- المبرد، أبو العباس. المقتضب. تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب - بيروت.
- مختار عمر، أحمد. دراسة الصوت اللغوي. عالم الكتب - القاهرة، 1997م - 1418هـ.
- مختار عمر، أحمد. علم الدلالة. ط5، عالم الكتب، القاهرة، 1998.
- مختار عمر، أحمد. لغة القرآن - دراسة توثيقية فنية - ط2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - 1418هـ - 1997م.
- المرابط، عبد الواحد. السيمياء العامة وسمياء الأدب. ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، دار الأمان، الرباط، 2010م.
- المرادي، بدر الدين بن علي. الجنى الداني في حروف المعاني. ط1، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413 هـ - 1992 م.
- المرادي، بدر الدين بن علي. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. ط1، شرح وتح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، 1428هـ - 2008م.
- المسدي، عبد السلام. الأسلوب والأسلوبية. ط3، الدار العربية للكتاب، دت.
- المسدي، عبد السلام. التفكير اللساني في الحضارة العربية. ط2، الدار العربية للكتاب، 1986م.
- المسدي، عبد السلام. السياسة وسلطة اللغة. ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة مصر، 2007.
- المسدي، عبد السلام. العربية والإعراب. ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010.
- مسلم، مصطفى. مباحث في إعجاز القرآن. ط3، دار القلم - دمشق، 1426 هـ - 2005 م.

- مطهري، صفية. **الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية**. من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 2003.
- مقبول، إدريس. **سبويه معتزليا، حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي**. ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015.
- مكّي، بن أبي طالب القيسي. **الرعاية لتجويد القراءة**. ط 2، وتحقيق لفظ التلاوة. تح: أحمد فرحات، دار عمار، عمان - الأردن، 1404هـ - 1984م.
- الملخ، حسن خميس. **التفكير العلمي في النحو العربي**. ط1، دار الشروق، عمان، الأردن. 2002.
- الملخ، حسن خميس. **نظرية الأصل والفرع في النحو العربي**. ط1، دار الشروق، 2001.
- المهيري، عبد القادر. **نظرات في التراث اللغوي العربي**. ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1993.
- النسفي، أبو البركات حافظ الدين. **تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. ط 1، تح: يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ - 1998 م.
- نصر حامد، أبو زيد. **إشكالية القراءة وآليات التأويل**. ط7، المركز الثقافي العربي، البيضاء - المغرب، 2005.
- النعيمي، فيصل غازي. **العلامة والرواية، دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد**. دار مجدلاوي، عمان - الأردن، 2009.
- النقاري، حمو. **المنهجية الأصولية من خلال أبي حامد الغزالي وتقي الدين بن تيمية**. ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013م.
- نحر، هادي. **النحو القرآني الدلالي**. ط 1، علم الكتب الحديث، إربد - الأردن، 2018.
- النوري، محمد جواد. **علم الأصوات العربية**. ط 1، جامعة القدس المفتوحة - عمان الأردن، 1996م.
- ويليك، رينيه (René Wellek). **مفاهيم نقدية**. ترجمة: محمد عصفور. سلسلة عالم المعرفة العدد 110، الكويت، فبراير 1987.

- يونس علي، محمد محمد. المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة في العربية - ط 1، دار المدار الإسلامي، 2007م.

## ➤ مجالات ومراجع أخرى

- أدروا، يوسف. دور الخصائص النطقية لأصوات اللغة في توجيه المعنى القرآني: سورتا المعوذتين نموذجاً. مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد 2، سبتمبر 2015.
- إسماعيلي علوي، محمد. العلامة والمعنى. محاضرات ماستر الدرس اللغوي والخطاب الشرعي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال (موسم 2013/2014).
- إسماعيلي علوي، محمد. المنطق الوجودي للنحو العربي وتمثلاته على مستوى القواعد. (مقال قيد النشر).
- إسماعيلي علوي، محمد. نحو العلامة والتفسير النحوي واللغوي للقرآن الكريم. مقال منشور على الحساب الخاص بالدكتور محمد إسماعيلي على الفيسبوك بتاريخ 2020/04/23.
- إسماعيلي علوي، محمد. تكامل مستويات الدرس اللساني في تحليل الخطاب القرآني وتجديد النظر فيه: دراسة لسانية تحليلية لسورة يوسف، مجلة تجسير، المجلد الثالث، العدد الأول، 2021.
- أمعشوشو، فريد. المنهج السيميائي، مجلة ضفاف، العدد 6، مايو 2004.
- بلقاسم دقة، علم السيمياء في التراث العربي، مجلة التراث العربي، العدد 91، 2003.
- بنكراد، سعيد. المؤول والعلامة والتأويل، مجلة فكر ونقد، العدد: 16، عام 1991.
- بودرع، عبد الرحمان. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، مجلة الفيصل، العدد 190، أكتوبر 1992.
- بولخوط، محمد. الأثر الإيقاعي للتنغيم في سورة المائدة. مجلة العلامة، العدد 04، يونيو 2017.



- الجاسم، محمود حسن. المعنى وبناء القواعد النحوية. مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد الأول والثاني، 2009.
- حساني، أحمد. الدلالة بين ضرورة النص وإمكان التأويل - مقارنة لسانية لآليات القراءة وثقافة المقروء في التراث العربي. مجلة اللسانيات، المجلد 11، العدد 11.
- حمداوي، جميل. الاتجاهات السيميوطيقية، التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية. موقع شبكة الألوكة. 2010. <https://www.alukah.net>
- درقاوي، مختار. كروش، حيزرية. تحليل الخطاب القرآني في ضوء المنهج السيميائي. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثاني، 2017.
- الدكير، عبد النبي. التداخل والتكامل المصطلحي في العلوم اللغوية من أين؟ وكيف؟ دراسات مصطلحية، العدد الأول، 2001.
- الدكير، عبد النبي. نحو العلامة وتعليم العربية لغير الناطقين بها. أعمال ندوة تعليم اللغات نظريات ومناهج وتطبيقات، أيام 24/23/22 من أكتوبر 2002، منشورات جامعة المولى إسماعيل كلية الآداب، بمكناس.
- الشافعي، إبراهيم. الصوت العربي وقيمته الدلالية. شبكة الألوكة الأدبية واللغوية. [https://www.alukah.net/literature\\_language/0/141362](https://www.alukah.net/literature_language/0/141362)
- الصاعدي، عبد الرزاق. طفولة العربية ومراهقتها، جريدة الجزيرة، تصدرها مؤسسة الجزيرة للطباعة والنشر، الرياض، عدد (2016/06/11).
- عبد المؤمن، محمود محمد. دور الرتبة في الدرس النحوي - عرض ودراسة - حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، العدد العشرون للعام 1437هـ / 2016م.
- العبد، محمد سليمان. من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم. المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد 36، السنة 1989.

- العموش، خلود. الجملة الابتدائية ووظائفها النصية. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد السادس، العدد 4، 2010.
- عنبر، عبد الله. نظرية النحو الجرجاني. مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مجلد 29، عدد 2، عام 2002.
- عيساوي، نورالدين. من المعنى اللغوي إلى العلامة السيميائية: ورقة علمية محكمة شارك بها الباحث في الملتقى الوطني الثاني عن بعد في تخصص الإعلام والتواصل والسيميائيات من 15 إلى 19 يوليوز 2020، كلية الآداب سايس-فاس.
- فاخوري، عادل. حول إشكالية السيميولوجيا (السيمياء)، مجلة عالم الفكر، المجلد 24، العدد 3، 1996.
- فوزي هادي الهنداوي، وكرنفال أيوب، سحر العنونة، سيمياء العنوان في النصوص الإبداعية، مجلة كلية اللغات العدد، 33.
- كاظم حميدي، خالد. سيميائية العنوان في سورة الكوثر، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 35، 2014.
- المغامسي، صالح بن عواد. سلسلة محاسن التأويل. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. <http://www.islamweb.net>.
- ميموني، إدريس. الحلقة الثالثة من سلسلة حلقات تكوينية لفائدة طلبة الدكتوراه، "نظرية النحو البياني المفهوم والموضوع" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، يوم 2018/05/15.
- ميموني، إدريس. مستلزمات الإبلاغ اللغوي في الخطاب الأصولي وعلاقته بالمقاصد الشرعية، مجلة كلية الآداب، بني ملال.
- Emile Benveniste. **Problèmes de linguistique générale**. Tome2, Ed Gallimard, 1974.
- F.de Saussure. **Cours de Linguistique Générale**. Ed Arbre d'Or, Genève aout 2005.

# الفهارس

## 1- فهرس الآيات

- 264 ..... أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُحُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا.
- 324 ..... أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ ۖ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ.....
- 101 ..... ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ.....
- 217 ..... إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ.....
- 169 ..... إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً.....
- 188 ..... إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.....
- ..... إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا \* فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا \* ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا \* نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۗ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى.....
- 197 ..... إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ.....
- 322 ..... أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۗ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ.....
- 221 ..... أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ.....
- 159 ..... أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ.....
- 315 ..... أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا.....
- 315 ..... أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا.....
- 291 ..... التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...
- 233 ..... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ.....
- 229 ..... الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ.....
- 332 ..... اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً.....
- 306 ..... اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَةً.....
- 105 ..... اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَتَجَرَّيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.....
- 310 ..... أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَبْصَارِ.....
- 139 ..... أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَبْصَارِ.....
- 120 ..... أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَبْصَارِ.....

- 270 ..... أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى
- 222 ..... الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
- 169 ..... أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا
- 261 ..... أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا
- 306 ..... أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
- 223, 242 ..... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا
- 220 ..... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا
- 54 ..... أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ
- 262 ..... أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا \* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي حَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا
- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
- 138 ..... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا ۖ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ
- 163 ..... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا ۖ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا
- 206 ..... إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا \* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا
- 302, 303
- 198 ..... إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا \* فَأَتْبَعَ سَبَبًا
- 244 ..... إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
- 54 ..... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
- 217 ..... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى
- 212 ..... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً
- 199 ..... أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا
- 181 ..... أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا
- 304 ..... أَوْمًا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
- 220 ..... أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
- أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا
- 189 ..... أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا
- 163

- 270 ..... آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ
- 270 ..... آوَى إِلَيْهِ أَحَاهُ
- 107 ..... نُثِبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
- 286, 287 ..... حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْبَعِ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
- 140 ..... خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ
- 147 ..... دُفِيَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ
- 173 ..... رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
- 183 ..... رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا
- 128 ..... رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
- 209 ..... سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا
- 251 ..... سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
- سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَلْبُهُمْ ۗ
- 192 ..... قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِتْ فِيهِمْ مِّنْهُمُ أَحَدًا
- 227 ..... عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا
- 226 ..... عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
- 173 ..... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ
- 190 ..... فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بَعْضُ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَنِي شَيْئًا نُّكْرًا
- 169, 184 ..... فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ
- 173 ..... فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ
- 269 ..... فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا
- 296 ..... فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا
- 169 ..... فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
- 182 ..... فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّن السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا
- فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ
- 279, 280 ..... هَٰذِهِ أَبَدًا
- 305 ..... فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُو مِن دُونِهِ إِلَّا هَا
- 267 ..... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ
- 267 ..... فَالْعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا
- 210 ..... فَمَا اسْتَطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا
- 325 ..... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرِكْهُ يَلْهَثْ

- 254 ..... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
- 173 ..... فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
- 190 ..... فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا
- 111 ..... فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ
- 322 ..... قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
- 259 ..... قَالَ أَخْرَجْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
- قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا
- 238 ..... عَجَبًا
- 259 ..... قَالَ أَفْتَلْتِ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا
- 224 ..... قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا
- 185 ..... قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا
- قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا\* وَأَمَا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَوْفَ نُؤْتِيهِ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا
- 161 ..... الْحُسْنَىٰ وَسَوْفَ نُؤْتِيهِ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا
- 253 ..... قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لَدِّي عُذْرًا
- 203 ..... قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا
- قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَاتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ \* قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ
- 334 ..... أَجْمَعِينَ
- 173, 282 ..... قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي
- 329 ..... قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
- 209 ..... قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا
- 327 ..... قَالُوا أءَ ذَا مِثْنًا وَكُنَّا تِرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
- 212 ..... قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ
- 251 ..... قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
- 217 ..... قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَابُ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ
- قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۗ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَأَبْصُرُ بِهِ وَأَسْمِعُ ۗ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا
- 192 ..... حُكْمِهِ أَحَدًا
- 138 ..... قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
- قُلِ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۗ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا
- 192 ..... يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا

- فُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ  
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ..... 236
- فُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ..... 329
- فَيَمَّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ..... 224
- كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۖ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ..... 184
- كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ..... 3
- كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ فَجَاءُوا بِرُكُومٍ وَعَلِمَ بِمَا  
لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا  
يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ..... 191
- كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ..... 214
- لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ..... 201
- لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ..... 110
- لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ..... 192, 235
- لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ..... 101
- لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ..... 276
- مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ..... 305
- مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ..... 234
- مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ..... 267
- مَا دَهَمَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ..... 30
- مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ..... 319
- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۖ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ..... 310
- مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ فَاتِنَاتٍ تَأْتِيَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ..... 233
- مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ..... 176
- مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ..... 254
- نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..... 118
- هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۖ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ..... 202
- هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ..... 321
- هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .. 315
- وَإِنَّا عَلَيْهِمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ..... 257

- وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي  
أَحَدًا ..... 192, 283
- وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ..... 54
- وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُم مِّنَ الْغَرَقَانَا وَأَلْفَلَاكٌ فَارَّةٌ فَتَنَّا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ..... 309
- وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ  
إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ..... 91
- وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ..... 205
- وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذُوا بِهِ نَبَاتٍ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ  
..... 163, 222
- وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا ..... 135
- وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ ..... 270
- وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ..... 79
- وَالَّذِينَ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ..... 126
- وَأَمَّا الْعُلَاكُم فَمَا كَانَ آبَاؤَهُمْ مُؤْمِنِينَ فَحَسِبْنَا أَن يَرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ..... 331
- وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ..... 228
- وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ..... 186
- وَإِنَّا صَعِيدًا لَّجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا جُزْرًا ..... 183
- وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرْرًا ..... 183, 213
- وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ ..... 178
- وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُفُودٌ ۖ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۖ لَوِ اطَّلَعَتْ  
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمِّتُ مِنْهُمْ رُجْبًا ..... 240
- وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ ..... 136
- وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ..... 203
- وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ..... 169
- وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ..... 310
- وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ..... 310
- وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّ شَامِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ..... 126
- وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ..... 263



- 236 ..... وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١٦٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ
- 163 ..... وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا
- 173 ..... وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
- وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا
- 237 .....
- 174 ..... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
- 103 ..... وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ
- 127 ..... وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا
- 214 ..... وَعَدًّا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
- 198 ..... وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ
- 307 ..... وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ
- 218 ..... وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
- 204 ..... وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
- 199 ..... وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا
- 261 ..... وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا
- 278 ..... وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ لَمَّا جَاءَهُمْ وَقَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ۚ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ
- 306 ..... وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ
- 215 ..... وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ
- 92 ..... وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا
- 118 ..... وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً
- 201 ..... وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا
- 212 ..... وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
- 169, 246 ..... وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا
- 247 ..... وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
- 87 ..... وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
- 221 ..... وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأَوَّلِ
- 257 ..... وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا
- وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
- 329 .....
- 317 ..... وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

- 332, 333 ..... وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
- 150 ..... وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ
- 150, 297 ..... وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
- 318 ..... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
- 193 ..... وَمَنْ يُعْطِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ
- 248 ..... وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا
- 317 ..... وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
- وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا  
310 ..... مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
- 310 ..... وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا
- 257 ..... وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ
- وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً  
192, 207 ..... إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا
- 215 ..... وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا
- 328 ..... وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا
- 185 ..... وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
- 192 ..... وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا
- وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا \* وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا  
197 ..... كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً  
293 .....
- 87 ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ
- 99 ..... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
- يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ۚ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا  
147 ..... مَعْرُوفًا
- 302 ..... يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ
- 87 ..... يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ

## 2- فهرس الأحاديث

- 221 ..... أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ .....
- 319 ..... الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّن فِي السَّمَاءِ .....
- 256 ..... الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ .....
- 79 ..... الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِّنَ الْيَدِ السُّفْلَى .....
- 53 ..... إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مِّنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا .....
- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بئراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ التَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي .....
- 338 ..... فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْحَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلَاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: أَقْتَلْتِ نَفْسًا زَكِيَّةً بِعَيْرِ نَفْسٍ؟ .....
- 285 ..... إِنَّهُ ذَلِكِ يَوْمٌ أُحِدَ مِنَ الْعَطَشِ .....
- 183 ..... تَسُومُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسُومَتْ .....
- 56 ..... عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ .....
- 99 ..... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي مَا يُرْوَى أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ، قَالَ: بَعَثْتُ قُرَيْشَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ .....
- 171 ..... فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ، قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حَوْتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكَتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدَتِ الْحَوْتُ فَهُوَ .....
- 311 ..... فَنَزَلَ الْبَيْتُ فَمَلَأَ حُقْفَهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ فِيهِ، حَتَّى رَفَعِي فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ " : فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ" .....
- 339 ..... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ أَبُو دَاوُدَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى فَمَا فَضَّلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى؟ .....
- 145 ..... كَانَتْ الْأُولَى نِسْيَانًا، وَالْوَسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا .....
- 253 ..... كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأٌ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ فَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ .....
- 4 ..... كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْدَمٌ .....
- 245 ..... لِلْمُتَكَلِّفِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ يَنَازِعُ مِنْ فَوْقِهِ وَيَبْعَاطَى مَا لَا يَبَالُ وَيَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ .....
- 74 ..... مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ .....
- 326 .....

وكانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِدَلِّكَ، ثُمَّ  
يَرْجِعُ إِلَى حَدِيحَةِ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ..... 171  
وَيَلُ لِّلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ افْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ. وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشْرَةَ. قُلْتُ :  
يا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ ..... 337

### 3- فهرس الأشعار

- 19 ..... إِمَّا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ \* \* \* وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعُ .
- 19 ..... بِهِ انْكِشَافٌ حُجُبِ الْمَعَانِي \* \* \* وَجُلُوءٌ الْمَفْهُومِ ذَا إِذْعَانَ .
- 19 ..... فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى \* \* \* مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا فَاتَّسَعَ .
- 240 ..... قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلَمَى وَإِنَّ \* \* \* كَانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنَّ .
- 260 ..... قَدْ لَقِي الْأَفْرَانُ مِنِّي نُكْرًا \* \* \* دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا .
- 239 ..... قِيلَ لَهُمْ أَلَا ارْكَبُوا أَلَاتًا \* \* \* قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ آلافا .
- 83 ..... وَالْحَبْرُ الْجُزْءُ الْمُتَمِّمُ الْقَائِدَهُ \* \* \* كَاللَّهِ بَرُّ وَالْأَيَادِي شَاهِدَهُ .
- 19 ..... وَبَعْدَ، فَالنَّحْوُ صِلَاحُ الْأَلْسِنَةِ \* \* \* وَالنَّفْسُ إِنْ تَعْدَمَ سِنَاهُ فِي سِنِهِ .
- 83 ..... وَرَفَعُوا مُبْتَدَأً بِالْإِبْتِدَاءِ \* \* \* كَذَلِكَ رَفَعِ حَبْرٍ بِالْمُبْتَدَأِ .
- 224 ..... يَتَّبَعُ فِي الْإِعْرَابِ الْأَسْمَاءِ الْأُولَى \* \* \* نَعَتْ وَتَوَكِيدٌ وَعَطْفٌ وَبَدَلٌ .
- 260 ..... قَدْ لَقِي الْأَفْرَانُ مِنِّي نُكْرًا \* \* \* دَاهِيَةً دَهِيَاءَ إِذَا إِمْرًا .

## 4- فهرس المحتويات

إهداء.....	أ.....
شكر وعرفان.....	ب.....
مقدمة.....	1.....
الفصل الأول: نحو العلامة والسيمائيات الشرعية المفهوم والوظيفة.....	14.....
المبحث الأول: مدخل مفهومي: النحو والعلامة ونحو العلامة.....	15.....
1- تمهيد.....	16.....
2- المقصود بـ "النحو".....	16.....
1-2- النحو المنطقي الوجودي.....	16.....
3- العلامة: المفهوم والمسار.....	24.....
1-3- العلامة: المفهوم.....	24.....
1-3-1- العلامة لغة.....	24.....
1-3-2- العلامة اصطلاحاً.....	25.....
1-3-2- العلامة المسار.....	27.....
1-3-2-1- العلامة في التراث العربي.....	27.....
1-3-2-2- العلامة في بعض الدراسات اللغوية الحديثة.....	36.....
1-3-2-3- العلامة في نحو العلامة.....	44.....
4- نحو العلامة: إطار معرفي.....	48.....
1-4- نحو العلامة: مقومات التصور.....	48.....
2-4- الخطاب القرآني ونحو العلامة.....	52.....
المبحث الثاني: السيمائيات الشرعية ونحو العلامة.....	55.....

56	1- تمهيد .....
56	2- مفهوم السيميائيات الشرعية .....
58	2-2- السيميائيات اصطلاحا .....
60	2-3- السيميائيات الشرعية .....
61	3 - أهمية السيميائيات الشرعية في نحو العلامة .....
61	3-1- مشروعية التدبير السيميائي .....
64	3-2- تكامل المعنى اللغوي والعلامة السيميائية .....
68	خلاصة الفصل الأول .....
69	الفصل الثاني: نحو العلامة: بحث في الأسس والمنطق الوجودي وأنواع العلامات .....
70	المبحث الأول: الأسس المعرفية والمنطقية والوجودية لنحو العلامة .....
71	1- تمهيد .....
71	2- القرآن الكريم والسنة المباركة مصدران أساسيان في التفكير بالعلامة .....
71	2-1- القرآن كتاب علامات .....
73	2-2- السنة المباركة وتوظيف العلامات .....
76	3- اللغة العربية والنحو الوجودي الإنساني .....
76	3-1- قواعد العربية والمنطق الوجودي .....
78	3-1-1- قاعدة الرفع والنصب والجر .....
83	3-1-2- قاعدة الابتداء والإخبار .....
84	3-1-3- قاعدة إعراب المضارع .....
86	3-2- منطق الأصل والفرع في النحو العربي .....
86	3-2-1- الأصل والفرع وقواعد النحو .....
89	3-2-2- الجذر الاشتقاقي .....

91	3-3- منطلق الأفراد والمثنى والجمع
92	3-3-1- الأفراد والتفرد
94	3-3-2- المثنى والتثنية
99	3-3-3- الجمع والجماعة
100	3-4- من التذكير والتأنيث في الوجود إلى التذكير والتأنيث في اللغة العربية
100	3-4-1- التذكير والتأنيث في الوجود
102	3-4-2- التذكير والتأنيث في اللغة العربية
105	3-5- منطلق القوة والضعف بين الوجود واللغة العربية
105	3-5-1- مبدأ القوة والضعف في الوجود
106	3-5-2- مبدأ القوة والضعف في النحو العربي
110	3-6- حقيقة الاستثناء في الوجود واللغة العربية
110	3-6-1- الاستثناء في الوجود
112	3-6-2- الاستثناء في اللغة العربية
114	المبحث الثاني: أنواع العلامات
115	1- تمهيد
115	2- أصناف العلامة اللغوية
115	2-1- العلامة الصوتية
122	2-2- العلامة الصرفية
128	2-3- العلامة النحوية
133	2-4- العلامة المعجمية
137	3- أنواع العلامة غير اللغوية
137	3-1- مقومات العلامة الوجودية



- 141 ..... 2-3- محددات العلامة الحالية / الحال المشاهدة
- 148 ..... 4- أثر العلامة السيميائية في بناء المعنى
- 153 ..... خلاصة الفصل الثاني
- 154 ..... الفصل الثالث: معاني العلامة اللغوية في سورة الكهف
- 155 ..... المبحث الأول: الدلالات العامة لسورة الكهف
- 156 ..... 1- تمهيد
- 156 ..... 2- المضامين الواردة في سورة الكهف ودلالاتها العامة
- 156 ..... 1-2- ترسيخ أساس التوحيد ونبذ الشرك
- 157 ..... 2-2- تحقيق الاعتبار والاتعاظ بعلامة القصة
- 157 ..... 1-2-2- قصة أهل الكهف من الآية: 8 إلى الآية: 22
- 157 ..... 2-2-2- قصة صاحب الجنتين من الآية: 32 إلى الآية: 44
- 159 ..... 2-2-3- قصة آدم وإبليس الآية 50
- 159 ..... 2-2-4- قصة موسى والخضر (عليهما السلام) من الآية: 60 إلى الآية: 82
- 160 ..... 2-2-5- قصة ذي القرنين: من الآية: 83 إلى الآية: 98
- 162 ..... 2-3- إثارة الانتباه بعلامة المثل والتحذير بمشاهد من يوم القيامة
- 164 ..... 2-4- تناسب مطلع السورة مع ختامها
- 165 ..... المبحث الثاني: سورة الكهف: قراءة في العنوان
- 166 ..... 1- تمهيد
- 166 ..... 2- العلامة اللغوية في اسم سورة الكهف
- 166 ..... 1-2- دلالة العلامة الصوتية
- 169 ..... 2-2- دلالة العلامة المعجمية
- 171 ..... 2-3- دلالة العلامة النحوية

- 173 ..... 3- أثر العلامة السيميائية في فهم اسم سورة الكهف
- 177 ..... المبحث الثالث: أثر العلامة اللغوية في توجيه المعنى في سورة الكهف
- 178 ..... 1- تمهيد
- 178 ..... 2- تجليات العلامة الصوتية في سورة الكهف
- 178 ..... 1-2- أثر الخصائص الجرسية في توجيه المعنى
- 185 ..... 2-2- أثر علامة التكرار الصوتي في فهم المعنى
- 195 ..... 3-2- دلالات العلامة الصوتية في فواصل سورة الكهف
- 195 ..... 2-3-2- أهمية العلامة الصوتية في الفاصلة القرآنية
- 195 ..... 2-3-2- معاني علامة الفاصلة في سورة الكهف
- 200 ..... 4-2- أثر علامتي: النبر والتنغيم في معاني سورة الكهف
- 200 ..... 1-4-2- علامة النبر
- 204 ..... 2-4-2- علامة التنغيم
- 208 ..... 3- أثر العلامة الصرفية في توجيه المعنى في سورة الكهف
- 208 ..... 1-3- دلالات علامة الفعل
- 208 ..... 3-1-1- الفعلان: (تستطع)، (تسطع)
- 210 ..... 3-1-2- الفعلان: (استطاعوا)، (اسطاعوا)
- 211 ..... 3-2- دلالات علامة اسم الفاعل
- 213 ..... 3-1-2- اسم الفاعل: (جاعلون)
- 214 ..... 3-2-2- اسم الفاعل: (صابرا)
- 215 ..... 3-2-3- اسم الفاعل: (باسط)
- 216 ..... 3-3- دلالة صيغة المصدر
- 216 ..... 3-3-1- المصدر: (غورا)

- 217 ..... 3-4- دلالات علامة الإفراد والتثنية والجمع
- 217 ..... 3-4-1- لفظ: (فتية)
- 219 ..... 3-4-2- مفردتا: (أيقاظا) و(رقود)
- 220 ..... 3-4-3- مفردات: (جنة) و(جنتين) و(جنات)
- 221 ..... 4- أثر العلامة النحوية في توجيه المعنى في سورة الكهف
- 221 ..... 4-1- معاني علامة الرتبة
- 222 ..... 4-1-1- الرتبة المحفوظة
- 226 ..... 4-1-2- الرتبة غير المحفوظة
- 230 ..... 4-2- معاني علامة الفصل والوصل
- 230 ..... 4-2-1- مواضع الوصل
- 237 ..... 4-2-2- مواضع الفصل
- 242 ..... 4-3- أثر العلامة الإعرابية في المعنى
- 249 ..... 4-4- معاني علامات نحوية أخرى
- 259 ..... 5- أثر العلامة المعجمية في توجيه المعنى في سورة الكهف
- 259 ..... 5-1- مفردتا: "إمرا" و"نكرا"
- 262 ..... 5-2- مفردتا: "سدا" و"ردما"
- 264 ..... 5-3- عبارتا: "من عندنا"؛ "من لدنا"
- 267 ..... 5-4- مفردة: "باخع"
- 268 ..... 5-5- مفردة: "تزاور"
- 269 ..... 5-6- مفردتا: "أوى" و"أوا"
- 271 ..... خلاصة الفصل الثالث
- 272 ..... الفصل الرابع: تجليات العلامة الوجودية والحالية والسيمائية في سورة الكهف

273	المبحث الأول: مظاهر العلامة الحالية المشاهدة في سورة الكهف
274	1- تمهيد
275	2- حال الاطلاع على أهل الكهف (المشاهدة والمعاينة)
278	3- أثر مدة لبث أهل الكهف على حالهم
279	4- توظيف الحال والإحالة الإشارية (هذه)
283	5- حركة تقليب الكفين
284	6- حدث قتل الغلام
286	7- حالا غروب الشمس وطلوعها على القومين
289	المبحث الثاني: تجليات الدلالة الإيجابية للعلامة الوجودية
290	1- تمهيد
291	2- علامة الأصل والفرع للأشياء في الوجود
291	1-2 - أطوار الخلق الإنساني
295	2-2- تكامل التذكير والتأنيث من حيث الأصالة والفرعية
297	3- علامة الزوجية / التثنية
301	4- علامة الحياة والموت
305	5- ذكر السماوات والأرض
309	6- دلالات مفردة (البحر)
313	المبحث الثالث: مظهرات العلامة السيميائية في سورة الكهف
314	1- تمهيد
314	2- العلامة الأولى: إثبات عقيدة التوحيد
316	3- العلامة الثانية: الرحمة
317	1-3- ذكر الكهف / رحمة

318	2-3- سلوك العبد الصالح (الخضر) / رحمة
319	3-3- حوار العبد المؤمن مع صاحب الجنتين / رحمة
320	3-4- منهج ذي القرنين / رحمة
321	3-5- ذكر الشمس / رحمة
324	3-6- ذكر الكلب / رحمة
326	4- العلامة الثالثة: مظاهر قدرة الله المطلقة
330	5- العلامة الرابعة: دلالات تغليب التذكير على التأنيث بين الأصالة والفرعية
332	6- العلامة الخامسة: الصراع الوجودي بين الإيمان والكفر / الخير والشر
335	7- العلامة السادسة: (ذو القرنين) رمز للإصلاح / (يأجوج ومأجوج) رمز للفساد
337	8- العلامة السابعة: ذكر الكلب / عنوان الوفاء والولاء
340	خلاصة الفصل الرابع
342	خاتمة
348	مصادر البحث ومراجعته
368	الفهارس
379	4- فهرس المحتويات